بخرقه مصرورة وعليه صاحب خبر واقف وقال خذ هذا الدينار والله ما أملك ذهبا غيره فأخذه حمزة وأراد أن يرده فقال له سر اخذه ولا تخدع فيه والله ما هو بدينار قال فخرجت فقال لى صاحب الخبر ما أعطاك يزيد قلت أعطانى دينارا وأردت ان أرده عليه فاستحييت فلما صرت الى منزلى حللت الصرة فاذا فص ياقوت كأنه سقط زند فخرجت الى خراسان فبعته من رجل يهودى بثلاثين الفا فلما بعته وقبضت المال وصار فى يدى قال والله لو أبيت الا بخمسين ألفا لأخذته ثم انه دفع الى مائة دينار زيادة على أن الانسان يتعين عليه التفرس أولا والتكهن ليختار لحاجته من ينهض بحملها او يقوم بكلها حتى تنزل من جانبه بالرحب ويتلقاها بالبشر ويكون بها كفيلا قال أبو الطيب

ولم أرج الا أهل ذاك ومن يرد * مواطر من غير السحائب يظلم

والا فيكون قد أخطأ فى التأميل قبل التأمل وأضاع الفراسة قبل الافتراس والناس يختلفون فى الهمم ويتفاوتون فى القيم قال أبو الطيب

ما كل من طلب المعالى ناقدا * فيها ولا كل الرجال فحول

وقال الآخر

أملتهم ثم تأملتهم * فلاح لى أن ليس فيهم فلاح

وقال ابن نباتة السعدى من أبيات

ولكنما سامرت أحلام نائم * وحاورت وسنانا ينام وأسهر
يفكر لما جئت مستصرخا به * ولا يصرخ المكروب من يتفكر

وقد أخذ المعنى فى الاصل من قول الحماسى

لا يسألون أخاهم حين يندبهم * فى النائبات على ما قال برهانا

ومما يعد قول الطغرائى من قول الارجانى

فان يك أعدائى على تناصروا * فما هو الا من تخاذل اخوانى
ولم أدع للعلى صديقا أجابنى * ولم أرض خلا للوداد فأرضانى

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد الخياط

أعنا على وجدى فليس ينافع * اخاؤكما خلا اذا لم تعيناه
أما سبة أن تخذلا اذ اصبابة * دعاوجده الشوق القديم فلباه

وقال الآخر

واخوان تخذتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادى
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب * نعم صدقوا ولكن من ودادى
وقالوا قد سعينا كل سعى * لقد صدقوا ولكن فى فسادى

وقال ابن الرومى

تخذتكم درعا حصينا لتدفعوا * سهام العدا عنى فكنتم نصالها
وقد كنت أرجو منكم خير ناصر * على حين خذلان اليمين شمالها
فان كنتم لم تحفظوا لمودتى * زمانا فكونوا لا علىّ ولا لها

عشرة من اشراف القبائل لهم هيبة وجمال فدخلوا عليه وعليهم ثياب رقيقة فلم يكلمهم احد فنهضوا ثم دخلوا عليه فى اليوم الثانى وعليهم البيض والمغافر والسلاح كأنهم الجبال فسأل الملك أحدهم عن صنيعهم امس واليوم فقالوا ذاك لباسنا فى أهلنا وهذا فى حربنا فقال انصرفوا الى صاحبكم وقولوا له ينصرف فقد عرفت قلة أصحابه والا بعثت له من يهلكه ومن معه فقالوا كيف تقول هذا من أول خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون يغنون الشام وقد غزاك فى بلادك ودوّخها وقد سبى وهو فى طلبك لا ترد له راية ولا غاية قال وما الذى يريد قال انه أقسم أن لا يرجع حتى يطأ أرضك ويختم على أعناق أولاد الملوك ويأخذ الجزية قال الملك ونحن نبر قسمه ثم دعا بصحاف من ذهب وجعل فيها من تراب قصره ودعا بأربعة من أولاد الملوك وبعث مالا كثيرا وقال ليطأ هذا التراب ويختم على هذه الغلمة ويأخذ منا المال ففعل قتيبة ذلك وقرر عليهم مالا ومضى وقد أذعنت له ممالك ما وراء النهر واشتهرت فتوحاته حتى سمع معبد المغنى انه فتح سبعة حصون

قفوا وقفة المعذور عنى بمعزل * وخلوا نبالى للعداونبالها

وقال آخر

وكنت أخى باخاه الزمان * فلما انقضى صرت حربا عوانا
وكنت أعدك للنائبات * فها أنا أطلب منك الامانا

وقال آخر

أيا مولاى صرت قذى لعينى * وسترا بين جفنى والمنام
وكنت من الحوادث لى عياذا * فصرت من المصيبات العظام

وقال الارجانى

ترجع الايام فيما وهبت * لوم طبع ومتى كانت كراما
كم أناس خلتهم لى جنة * يوم روع فغدوا فى سهاما

كتب المعتمد بن عباد الى ابن عمار الاندلسى

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم * وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب
فلم ترنى الايام خلا تسرنى * مبادية الاساءنى فى العواقب
ولا قلت أرجوه لدفع ملمة * من الدهر الا كان احدى النوائب

فاجابه ابن عمار

فديتك لا تزهد فثم بقية * سترغب فيها عند وقع المصائب
فأبق على الخلصان ان لديهم * على البدء كرات بحسن العواقب
ولو لمعت لى من سمائك برقة * ركبت الى مغناك هوج السحائب
فقبلت من يمناك أعذب مورد * وقضيت من لقياك أكد واجب

ذكرت بقول المعتمد فلم ترنى الايام البيت قول بعض أهل العصر فى الشيخ صدر الدين بن الوكيل فانه كان يقبل أول الامر فى الصحبة ثم يستحيل فى الآخر

وداد ابن الوكيل له شبيه * ٣ بلبادين خلق فى المسالك ٣
فأوله حلى ثم طيب * وآخره زجاج مع لوالك ٣

ويشبه هذا قول الآخر فى هجو شريف

يا مشبه الكشك أجداد مطهرة * ويستحيل الى داء وتخليط
ما أنت الا كبيس التمر أوله * عذب وآخره يدعى بقلوط

يقال ان جالينوس قال فى الكشك أبوان كريمان أنتجا ثيما وما أحسن قول الآخر يهجو من أبوه شريف

ان فاتنى بأبيه * فلم يفتنى بامه
أو رام هجوى ظالما * سكت عن نصف شتمه

وهو مأخوذ من قول عنترة العبسى

انى امرؤ من خير عبس منصبا * نصفى وأحمى سائرى بالمنصل

وهذا البيت يؤيد قول من لحن الناس فى اطلاقهم سائرا على معنى الجميع وانما هو بمعنى الباقى فمن قال قدم سائر الحاج ويريد جميعهم فقد لحن وأنشد الحريرى فى درة الغواص

فى المشرق لا يرتقى اليها أصنع سبعة أصوات صعبة المأخذ وسماها مدن معبد معارضة لقتيبة * وأقام قتيبة بالمشرق واليا عليه ثلاث عشرة سنة عظيم الرتبة مرهوب الجانب وكان شرف بيته ثم عمل على خلع سليمان بن عبد الملك لما سمع انه عازم على ولاية يزيد بن المهلب (حكى) الجاحظ قال لما بلغ قتيبة ان سليمان يريد عزله عن خراسان كتب اليه ثلاث صحائف وقال للرسول ادفع اليه هذه فان دفعها الى يزيد بن المهلب فادفع اليه هذه فان شتمنى فادفع اليه الثالثة فلما دفع له الكتاب الاول اذ فيه يا أمير المؤمنين ان بلائى فى طاعتك وطاعة أبيك كيت وكيت فدفعه الى يزيد فدفع اليه الرسول الكتاب الثانى وفيه يقول عجبا كيف تأمن ابن رجمة على أسرارك ولم يكن أبوه يأمنه على أمهات أولاده يعنى يزيد بن المهلب فشتم قتيبة فدفع اليه الثالث وفيه من قتيبة الى سليمان أما بعد والله لاوثقن لك اخية لاينزعها المهر الارن فقال سليمان جددوا له عهدا على عمله ثم فسدت على قتيبة بطانته فقتلوه فى خلافة سليمان وقام العزاء فى المشرق عليه وقال رجل من الاعاجم يا معشر العرب قتلتم قتيبة

شاهدا على هذه الدعوى قول الشاعر

ترى الثور فيها يدخل الظل رأسه * وسائره بادا الى الشمس أجمع

وغالب الناس لا يكاد يسلم من هذا اللحن على أن صاحب الصحاح قال وسائر الناس جميعهم وتسابّ شريف هو وآخر فقال الشريف ما تقول في وأنت لا تتم صلاتك الا بالصلاة على وعلى آبائي وأجدادي فقال له والله اني أسلك من بينهم كما تسل الشعرة من العجين لاني أقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الطيبين الطاهرين (رجع) قال علقمة بن لبيد العطاردي لابنه يا بني ان نزعت بك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من ان صحبته زانك وان أصابتك خصاصة مانك وان قلت سدد قولك وان صلت شد دصولك وان مددت يدك بفضل مدها وان بدت منك ثلمة سدها وان رأى منك حسنة عدها وان سألته أعطاك وان سكت عنه ابتدأك وان نزلت بك احدى الملمات واساك من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق * ذكر صاحب الاغاني في اخبار علوية أن من جملتها انه دخل على المأمون وعنده جملة من المغنين وهو يرقص ويصفق ويغني ويقول

عذيري من الانسان لان جفوته * صفا لي ولان صرت طوع يديه

واني لمشتاق الى ظل صاحب * يروق ويصفو ان كدرت عليه

فسمع المغنون والمأمون منه ما لم يعرفوه واستظرفه المأمون وقال ادن يا علوية ورددده عليه سبع مرات فقال المأمون في الآخرة يا علوية خذ الخلافة واعطني هذا الصاحب (قلت) وما صاحب يبذل فيه الخلافة المأمون في سعة الملك وابهته وصفاء الوقت من الاكدار الا أعز من الكبريت الاحمر بل ما خلقه الله ولا أوجده (ذكرت) بوصية علقمة لولده قول الفضل بن عبد الرحمن لرقية بنت عتبة بن ابي لهب انظري لي امرأة معروفة النسب كريمة الحسب فائقة الجمال مليحة الدلال ان قعدت أشرفت وان قامت اضعفت وان مشت ترقرقت تروع من بعيد وتفتن من قريب تسر من عاشرت وتكرم من جاورت وتبذ من فاخرت ودودا ولودا لا تعرف اهلها ولا تسر الا بعلها فقالت له يا ابن العم اخطب هذه من ربك في الآخرة فانك لا تجدها في الدنيا * وقال ابو موسى المكفوف للخياط اطلب لي حمارا ليس بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر ان خلا الطريق تدفق وان كثر الزحام ترفق لا يصدم بي السواري ولا يدخلني تحت البواري ان اكثرت علفه شكر وان قللته صبر وان ركبته هام وان ركبه غيري نام فقال له النخاس اصبر أعزك الله عسى ان يسخ الله القاضي حمارا فتصيب حاجتك (رجع) وعلى الصحيح فالكمال معدوم الا في الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولا بد في الانسان من لو ولولا ومن كانت ماهيته متضادة فالنقص فيه أولى والاعتدال بعيد من المركب وما سلك الصواب صديق الا ويشكب فلا تغتر برأي الرجال المهذب

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

قال الحريري

ولو انتقدت بني الزما * ن وجدت اكثرهم سقط

قال بعضهم لو انصف الحريري لقال كلهم فالبس أخاك على علاته واغتفر له بعض صوابه جل زلاته وقد هون الامر في الصحبة مؤيد الدين الطغرائي في قوله

والله لو كان فينا الجد ما ملناه في * ثابوت واستفتحنا به غزونا

ولقتيبة أخبار وألفاظ تدل على غزارة علمه وعقله وفصاحته كتب اليه الحجاج اني قد طلقت بنت قطن الهلالية عن غير ريبة فتزوجها فكتب اليه ليس كل مطالع الامير أحب ان اطلع فقال الحجاج ويل ام قتيبة اعجابا بقوله وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج أنت قدح ابن مقبل فلم يدر الحجاج ما أراد فسأل قتيبة وكان عالما برواية الشعر فقال قتيبة ان ابن مقبل نعت قدح حاله فقال

غدا وهو مجدول فراح كأنه * من المس والتقليب بالكف أفطح

اذا امتحنته من معد قبيلة * غدا به قبل المفيضين يقدح

يصف هذا القدح وهو السهم الذي يستقسم به على عادة العرب في الميسر وهو اصطلاح على نوع من أنواع القمار معروف فيقول ان هذا القدح لكثرة فوزه وخروجه دون اقداح الجماعة بكثرة تقليبه والتعجب منه يقدح صاحبه النار قبل خروجه ثقة بفوزه وقال قتيبة ان هذا القدح فاز سبعين مرة لم يخب منها مرة واحدة حتى ضرب به المثل * ولما دخل قتيبة خراسان

اخالك اخالك فهو اجل ذخر * اذا نابتك نائبة الزمان
وان زادت اساءته فهبها * لما فيه من الشيم الحسان
تريد مهذبا الا عيب فيه * وهل عود يفوح بلا دخان

وقال ايضا وان لم يكن من الباب

غائظ صديقك تكشف عن ضمائره * وتهتك الستر عن محجوب أسرار
فالعود ينبيك عن مكنون باطنه * دخانه حين تلقيه على النار

وقلت انا في شرط الصحبة

صديقك مهما جنى غطه * ولا تخف شيأ اذا أحسنا
وكن كالظلام مع النار اذ * يوارى الدخان ويبدى السنا

وكاني بالطغرائي وقد جرد هذا الصاحب فانجزم وطلب اقباله على النصرة له فانهزم وسامه الوقوع على المساعدة فتعلى ورام النجدة منه فقر أعبس وتولى * سأل أبو جعفر المنصور بعض الخوارج فقال أخبرني أي أصحابي كان أشد اقداما في مبارزتك فقال ما أعرف وجوههم ولكن أعرف أقفاءهم فقل لهم يدبروا أعرفك بهم * وأخذ ابن الرومي هذا المعنى وزاده وزنا فقال

قرن سليمان قد أضربه * شوق الى وجهه سيتلفه
كم يعد القرن باللقاء وكم * يكذب في وعده ويخلفه
لا يعرف القرن وجهه ويرى * قفاه من فرسخ فيعرفه

ذكرت بالقفا قول أبي الفضل الميكالي

لنا صديق تجيد لقسما * راحتنا في أذى قفاه
ماذاق من كسبه ولكن * أذى قفاه أذاق فاه

وذكرت بالصفع هنا ما حكي عن شرف الدين بن الشيرجي وكان الحي وشهاب الدين التلعفري من أنهما اجتمعا في ليلة أنس عند الناصر فاتفق أن قام شرف الدين الى الطهارة وعاد فامره الناصر بالاشارة ان يصفع التلعفري فلما صفعه امسك التلعفري بذقن شرف الدين وانشد ويده في ذقنه لم يفلتها

قد صفعنا في ذا المحل الشريف * وهو ان كنت ترتضي تشريفي
قارب للعبد من مصيف صفاع * يا ربيع الندى والاخريفي

قلت تأمل هذا النظم ما ألطفه وما أحسن مقدمه ومصرفه وهذه التورية التي اتفقت له بديها وساعده اللطف الزائد فيها وكاني بذقن الشيرجي وهي في يد ذلك الخريف وقد ذكر الربيع والمصيف وختم بالخريف هذا وكونه قال في وسكت أحلى ما سمع من النكت ولو كمل ما بقي له هذه الحلاوة والاشارة أبلغ عند ذي اللب من العبارة لذي الغباوة فارعها السمع واضحك الى أن تشرق العين بالدمع فاكل من ذنب ندر ولا كل من خبر خبر وقد رأيت البيتين في ديوان الاسعردي ومثل هذه الاشارة قول الآخر

أبا جعفر لست بالمنصف * ومثلك من قال قولا يفي
فان أنت أنجزت لي موعدي * والا هجوت وادخلت في

قام اليه بعض الشعراء وأنشد يقول

شد العصاب على البرى وما جنى

حتى يكون لغيره تنكيلا

والجهل في بعض الامور وان غلا

مستخرج للعاملين عقولا

فقال قتيبة قبحك الله من مشير والله لا أقمت معي في بلد ثم أخرجه من خراسان * ونظر في بعض مغازيه الى رجل من الازد معه ترس من جلد بعير قد تشعب من جميع نواحيه فقال يا أخا الازد ترس ابن أبي ربيعة خير من ترسك يريد قول عمر بن أبي ربيعة في قصيدته المشهورة وقد تستر بنسوة من الحي فكان مجني دون من كنت أتقي

ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فقال الرجل أيها الامير هذا الجن أو في من ذلك الجن * ومن كلام قتيبة لا تستعن على من تطلب اليه حاجة بمن له عنده طمع فانه لا يؤثرك على نفسه ولا يكذب فانه يقرب لك البعيد ويبعد القريب ولا يأتي بحق فانه ربما أراد نفعك فضرك * ومر يوما بكناسة فيها عظام وأقذار فقال ان الذي يبخل بما يصير آخره الى هذا لبخيل

وقد علم الناس ما بعده * فقط الحديث ولا تكشف

وقد ذكر بعضهم ايضا المحرور فى هذا البيت

مكان أقمت به تسعة * واخرجت منه بلطف خفى

وعلى ذكر الصفع قيل ان صبيا قال ليهودى قف يا عمى حتى أصفعك فقال له اليهودى انا مستعجل ولكن اصفع اخى عنى * أنشدنى لنفسه الشيخ ابراهيم بن علام النورى المعمار

سألته فى صفعة قال لى * جنابه الصفعة ما منه بد

صاع من التمر احلى به * قلت نعم اعطيك صاعا ومد

وقال أيضا

ومفتن يهوى الصفا * ع ولم يكن اذ ذاك فنى

سلمته عنق الدقيـ * ـق فراح يخطله بجن

ما ان اذنت له رضا * لكنه من خلف اذنى

لولا يد سبقت له * لأمرته بالكف عنى

وأنشدنى أيضا لنفسه

وصاحب أنزل بى صفعة * فاغتظت اذ ضيع لى حرمتى

وقال فى ظهرك جاءت يدى * فقلت لا والعهد فى رقبتى

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

يحتاج ذا التاج من يرصعه * بدرة تحت دالها كسره

فمن يرى عنقه الطويل ولا * ينزل فيه يموت بالحسره

وقال ابن دانيال فى البرهان وقد صفع وهو أرمد

صفع البرهان وما رحما * فبكى من بعد الدمع دما

قد كان شكا رمدا صعبا * فازداد بذاك الصفع عمى

نزلوا سحرا فى ساحله * فرأى الاصباح بهم ظلما

من كل فتى بالصفع بدا * مثل القصار اذا احتزما

فسقاه بها صرفا سبعا * وسقاه بها سبعين بما

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب أيضا

وما انساه فى النيروز لما * تامر والامارة فيه تكفى

وقد اومت اليه كل كف * رات ذاك القذال بكل خف

فطرز عنقه بالصفع منا * وما انموذج التطريز مخفى

وما استعمل التطريز احد أحسن من هذا خصوصا وقد رشحه بقوله مخفى وقلت انا فى ذلك

ورب صديق غاظ حين جاءه * من القوم صفع دائم الهطل بالنطل

فقلت له تأبى المروءة أننا * نخاليك يا بستان فينا بلا نخل

كان بمصر شاعر يقال له أبو المكارم بن وزير بلغ ابن سناء الملك أنه هجاه فأدبه وشتمه فكتب اليه ابن المنجم الشاعر يقول

قل للسعيد أدام الله دولته * صديقنا ابن وزير كيف تظلمه

(والمهلب أوهن شوكة الازارقة بيدك وفرق ذات بينهم بكيدك)

هو المهلب بن أبى صفرة واسمه ظالم بن سراق بن صبح الازدى العتكى البصرى أمير كبير مشهور الذكر شجاع جواد نشأ فى دولة آل أبى سفيان ثم أمره مصعب ابن الزبير على البصرة نيابة عنه فى أيام أخيه عبد الله بن الزبير ثم ولاه عبد الله خراسان وقتل الخوارج واستقر على ذلك الى أن مات فى زمن الحجاج فى سنة ثلاث وثمانين من الهجرة وهو أول من اتخذ الركب الحديد وكانت قبل ذلك من الخشب * وكان يقال ساد الاحنف بحلمه ومالك ابن مسمع بعبيته للعشيرة وقتيبة بدهائه وساد المهلب بهذه الخلال جميعها وسيأتى فى آخر الترجمة نبذ من أخباره وألفاظه * فاما الازارقة فهم الخوارج القائلون بمذهب نافع بن عبد الله بن الازرق الخارجى خرجوا معه من البصرة والاهواز وغيرها من بلاد فارس واتبعوه وعظمت شوكتهم وتملكوا الامصار وكانت له آراء ومذاهب دانوا بها معه منها انه كفر عليا كرم الله وجهه بسبب التحكيم المشهور وقال أنزل الله فى حقه ومن الناس من يعجبك قوله

صفعته اذ غدا يجول منتقما * منه ومن بعد هذا ظلت تشتمه
هجو بهجو وهذا الصفع فيه ربا * والشرع لا يقتضيه بل يحرمه
فان تقل ما الهجو عنده اثر * فالصفع والله ايضا ليس يؤلمه

وسمعت أنا امرأة تسأل من في رقبته دمل ما هذا فقال لها طلوع فقالت أشهى والله أن انزل في هذا الطلوع وانشدني القاضي شهاب الدين محمود لنفسه اجازة في صفع وقال لكمت ودفعت قوله

يا سمي الصفع لكما * ومعيد الدال عينا
قل لمن يختار ما اختبر * ت فانا قد رأينا

وما اظرف قول القائل

حباها يا كرام وقام مبادرا * الى وتد المقياد علق خفها
وكان اذا مارابه سوء فعلها * يسل قفاه ثم يصفع كفها

وقال ابن دانيال في السراج الحوراني

رأيت سراج الدين للصفع صالحا * ولكنه في علمه فاسد الذهن
أستره بالكف خوف انطفائه * وآفته من طفئه كثرة الدهن

وما أحسن قول القائل

أرى الصفع ورد منه القذالا * وأوسع في أخدعيه المجالا
وأسلاه عن حب ذات اللمى * وان هي فاقت وراقت جمالا
لئن كان قد حال ما بينه * وبين الحبيبة صفع توالى
فقد يحدث الظرف بين المضاف * وبين المضاف اليه انفصالا

ما أحسن ذكر الظرف ههنا ومن شواهد فصل المضاف من المضاف اليه قول الشاعر

كما خط الكتاب بكف يوما * يهودي يقارب أو يزيل

فكف مضاف الى يهودي ولكن الظرف فصل بينهما وهو يوما وما أحسن قول ابن سكرة الهاشمي أو ابن حجاج

قال غلامي ومقلتاه تكف * وجسمه ظاهر السقام دنف
خدمتنا هذه التي كثرا الا رجاف في امرها فليس يقف
قد عزلونا عنها فقلت نعم * وصادفا عين واو نون الف

---

*(تنام عني وعين النجم ساهرة * وتستحيل وصبغ الليل لم يحل)*

(اللغة) النوم معروف وهو ضد اليقظة (العين) حاسة الابصار وهي مؤنثة والجمع اعين وعيون واعيان قال الشاعر كأعيان الجراد المنظم وتصغيرها عيينة ومنه قيل للحاسوس ذو العينين (النجم) الكوكب ومتى اطلق فالمراد به الثريا فان اخرجت منه الالف واللام تنكر (ساهرة) السهر ضد النوم وقد سهر بالكسر فهو سهران وساهر واسهره غيره (وتستحيل) الاستحالة التغير وحالت القوس واستحالت بمعنى اذا انقلبت عن حالها التي عمرت عليها وحصل فيها العوجاج (الصبغ) اللون تقول صبغت الثوب اصبغه واصبغه صبغا بالفتح وبالكسر ما يصبغ به فعلى هذا اللفظ الصحيح في البيت صبغ بالفتح (الليل) ضد النهار وهو من لدن

الآية وأنزل في حق ابن ملجم ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ومنها انه كفر من لم يقل برأيه واستحل دمه وكفر القعدة عن القتال وتبرأ ممن قعد عنه أو كان على دينه وحكم ان من ارتكب كبيرة خرج عن الاسلام وكان مخلدا في النار مع سائر الكفار واستدل بكفر ابليس وقال ما ارتكب الا كبيرة حيث أمر بالسجود فامتنع والا فهو عارف بوحدانية الله عز وجل الى غير ذلك من المذاهب التي أجمعت عليها الازارقة (وحكى) عن خالد ابن خداش قال لما تفرقت الازارقة وآراء الخوارج ومذاهبهم أقام نافع بن الازرق بسوق الاهواز يعترض الناس وكان متشككا في ذلك فقالت له امرأته ان كنت كفرت بعد ايمانك وشككت فدع كلمتك ودعوتك وان كنت قد خرجت من الكفر الى الايمان فاقتل الكفار حيث لقيتهم تعني المسلمين المخالفين لمذهبه وأتخن في النساء والصبيان كما قال نوح عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فقبل قولها وبسط سيفه فقتل الرجال والنساء فاذا وطئ بلدا كان ذلك دأبه الى أن

غروب الشمس الى وقت طلوعها وهو الليل الطبيعي والليل الشرعي من لدن اقبال الظلام في الشرق الى وقت الفجر الثاني واما سليمان الاعمش فقال النهار الشرعي من اول بزوغ الشمس محتجا بقوله صلى الله عليه وسلم صلاتنا النهار عجما وان اي لا يجهر فيهما واعمري ان ماقاله لجيد وان كان الصحيح خلافه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرر أن صلاة النهار عجماء فعلم من هذا ان صلاة الليل غير عجماء وهي الجهور فيها والله تعالى قال ان قرآن الفجر كان مشهودا أي مجهورا به ومايجهر فيه يكون حكمه داخلا في الليل ويقال انه قيل لابي حنيفة الا تمضي الى الاعمش تسلم عليه قال كيف أسلم على من لم يصم رمضان قط وقال وكيع سمعت الاعمش يقول لولا الشهرة لصليت الفجر ثم تسحرت قال الشيخ الامام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي كان هذا مذهب الاعمش وهو على الذي روى النسائي من حديث عاصم عن زر عنه عن حذيفة قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ضوء النهار الا ان الشمس لم تطلع ذكر ذلك في تاريخه الكبير الذي قرأته عليه حوادث واجازنيه تراجم (قلت) وأكد الامام فخر الدين مذهب الاعمش ونصره بحث قال منه لو بحثنا عن حقيقة الليل في قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل وجدناها عبارة عن زمان غيبة الشمس بدليل ان الله تعالى سمى مابعد المغرب ليلا مع بقاء الضوء فيه فثبت ان يكون الامر من الطرف الاول من النهار كذلك فيكون ماقبل طلوع الشمس ليلا وان لا يوجد النهار الا عند طلوع القرص اه (قلت) الآية الكريمة قد بينت حرمة أكل الصائم في قوله تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر فقد أبانت غاية الاكل بحتى فهذا نص صريح في غاية مدة أكل الصائم في الليل والخيط الابيض هو الفجر الثاني الذي يستطيل في الافق من القبلة الى الشمال وليس الفجر الكاذب الذي يأخذ أولا من ذيل الافق الى قريب من ثلثه طولا وهو المسمى بذنب السرحان وهذا الفجر الكاذب من الادلة القوية على الفاعل المختار لان تعليله يشق على الحكيم اذ لا سبب له غير الشمس لكونه أولا يبدأ آخذا الى فوق ثم يذهب ويأخذ بعد قليل في الافق عرضا من اليمين الى الشمال فان كان ذلك بواسطة الشمس فكان ينبغي ان يكون في الغرب مثله عند العشاء الاخيرة فاذا غاب الشفق يظهر بعد قليل بياض مستطيل شبيه بذنب السرحان وقد قال بعض الحمقى ان في جبل قاف طاقة اذا حاذتها الشمس خرج الضوء من تلك الطاقة فاذا بعدت انحسرت بطل الضوء فاذا قاربت الشمس الظهر بدا الضوء الثاني فحصل الفجران وهذا من خرافات العقول وأكاذيب الاوهام وأباطيل الحدس وقد ذكر شهاب الدين أحمد بن ادريس المالكي القرافي في كتابه الاستبصار فيما تدركه الابصار تعليل ذلك وفيه نظر (الاعراب) * (تنام) مضارع نام فهو نائم والجمع نيام وجمع نائمة نوم على الاصل ونيم على اللفظ وتقول نمت وأصله نومت بكسر الواو فلما سكنت سقطت لاجتماع الساكنين ونقلت حركتها الى ماقبلها وكان حق النون ان تضم لتدل على الواو الساقطة كما ضمت القاف من قلت لان أصلهم كسروها للفرق بين المضموم والمفتوح وأما كلت فانما كسروها لتدل على الياء الساقطة وأما على مذهب الكسائي فالقياس يستمر لانه يقول أصل قال قول بضم الواو وأصل كال كيل بكسر الياء والامر منه ثم بفتح النون وكذلك بناء

يجيبه أهلها فيضع عليهم الجبايية والخراج واشتدت شوكته وفشا أعماله في السواد الاعظم فارتاع لذلك أهل البصرة فمشوا الى الاحنف ابن قيس وشكوا اليه أمرهم وقالوا لبس بيننا وبين القوم الا ليلتان فقال لهم الاحنف ان سيرتهم في مصركم ان ظفروا بكم مثل سيرتهم في سواكم فخذوا في جهاد عدوكم وقد حرضهم الاحنف فاجتمعوا اليه بزهاء من عشرة آلاف في السلاح وأمر عليهم مسلم بن عبيس وكان شجاعا عابدا وخرج بهم فلما صاروا بموضع يعرف بدولاب خرج اليه نافع بن الازرق على الشراة وكانوا ستمائة نفر فاقتتلوا قتالا شديدا حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وتضارب بالاسياف فقتل في المعركة ابن عبيس وهو أمير أهل البصرة وقتل نافع بن الازرق أيضا فعجب الناس من قتل الاثنين ثم ولي على أهل البصرة الربيع ابن عمرو وعلى الازارقة عبيد الله بن الماحور فقتل الربيع وتولى الحجاج بن رباب فقتل وتولى حارثة بن بدر ونادى في الناس بأن اثبتوا فاذا فتح الله عز وجل فللعرب زيادة فريضتين ثم وللموالي زيادة فريضة وثبت الناس فالتقوا وقد فشت

المستقبل لان الواو المنقلبة ألفا سقطت لاجتماع الساكنين وهنا أيضا حذفت الهمزة التى للاستفهام لان أصله أتنام عنى وحذفها جائز فى ضرورة كما تقدم (عنى) جار ومجرور أصله عن الجارة ودخلت نون الوقاية على النون الاصلية فلهذا شددت فى اللفظ وكتبت بنون واحدة والياء ضمير المتكلم فهو مجرور وبعن ومن العرب من لا يدخل نون الوقاية على عن ولا على من ويقول عنى ومنى بنون واحدة مخففة وعن هنا معناها التجاوز أى تتجاوز أمرى وتنام وتقدم الكلام على تقسيم عن فى أول القصيدة (وعين النجم) الواو للابتداء وعين مرفوع على انه مبتدأ والنجم مجرور بالاضافة والاضافة هنا معنوية وهى مقدرة باللام (ساهرة) مرفوع على انه خبر المبتدا والاحسن ان تكون ساهرة منصوبة على الحال والخبر محذوف كما قرئ ونحن عصبة بالنصب معناه ونحن نرى عصبة فكذا يقدر هنا وعين النجم ترى ساهرة اذا المعنى أتنام عنى وهذه عين النجم ترى ساهرة لاجلى وتستحيل على وهذا صبغ الليل يرى غير حائل وفى تقديره هكذا تو بيخ له لكونه من ذوى الحواس وقد نام عنه واستحال عليه وهذا ان غير حاسين ومع ذلك فقد سهرت عين النجم ورئت فى حاله غير نائمة ولم يستحل صبغ الليل رحمة له ووفاء واذا جعلت ساهرة خبر العين النجم وصبغ مبتدا ولم يحل الخبر وكانت الجملة فى الموضعين فى تقدير الحال ذهب معنى التقريع والتو بيخ الذى تقرر ويعود المعنى أتنام عنى والحال من النجم والليل كذا وكذا وان شئت قدرت عين النجم خبرا والمبتدا محذوف تقديره وهذه عين النجم ساهرة ويكون فيه معنى زائد فى التو بيخ لانك اذا قلت أيخفى عليك ما أردت وهذا الطفل قد فهمه فيه معنى زائد على قولك أيخفى عليك ما أردت والطفل قد فهمه (وتستحيل) الواو عاطفة الجملة الفعلية على مثلها وهما تستحيل وتنام تستحيل فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم وفاعله ضمير مستتر فيه كما فى تنام (وصبغ) الواو للابتداء وصبغ مرفوع اما على انه مبتدا والخبر محذوف تقديره يرى أو على أنه خبر مبتدا محذوف تقديره وهذا صبغ الليل على ما تقدم (الليل) مجرور بالاضافة المعنوية وهى مقدرة باللام (لم) حرف يجزم الفعل المضارع وهى من خصائصه وعملت فيه الجزم لانها دخلت عليه فنقلته من الاستقبال الى المضى فاختصت به لهذا المعنى وكان عملها الجزم قياسا على ان الشرطية لانها تدخل على الماضى فتنقله من المضى الى الاستقبال وهى مع ذلك تقتضى شرطا وجزاء وهما جملتان فطالما اقتضته وكان لابد من العمل فناسب أن يكون الجزم ليقابل طول ما اقتضته بهذه الخفة (يحل) فعل مضارع مجزوم بلم وكان أصله يحول فاجتمع ساكنان وهما الواو واللام آخر الفعل لدخول الجازم والاول حرف علة فحذف وبقى آخر الفعل ساكنا ثم اضطر الشاعر الى حركة الساكن فكسره اذ القاعدة فى الساكن انه اذا حرك كسر لانهما أخوان فى أن كل واحد منهما مختص بنوع من الكلام فالجر بالاسماء والجزم بالافعال وما أحسن قول من قال دخول لم على المضارع كدخول الدواء المسهل على الجسد ان وجد فضلة ازالها والا أضعف البدن وكذا ان كان المضارع فيه علة متوسطة أو متطرفة اذهبها وان كان صحيحا أضعفه لانه ينقله من الحركة الى السكون ولو أن جالينوس كان يعلل نحو العرب ما أتى بأحسن من هذه المناسبة وقد قيل انه كان يعرف النحو اليونانى وبقى فى البيت سؤال وهو أن مفعول تستحيل ما هو لان تستحيل من الاستحالة وهى استفعال من الاحالة تقول

بينهم الجراح وما تضا الخيل الاعلى القتلى فبينما هم كذلك اذ أقبل من اليمامة مدد عظيم للازارقة فاجتمعوا وهم مريحون مع أصحابهم وحملوا على الناس فلما رأتهم الجيوش ورأهم حارثة نكص براياته وانهزم وقال لاصحابه

كرنبوا ودولبوا

وحيث شئتم فاذهبوا أير الحمار فريضة لعبيدكم والخصيتان فريضة الاعراب فتتابع الناس على اثره منهزمين وتبعهم الخوارج فالقوا نفوسهم فى دجيل فغرق منهم خلق أكثرهم من الازد وفى ذلك يقول شاعر الازارقة

يرى من جاء ينظر فى دجيل
شيوخ الازد طافية لحاها

وقلق أهل البصرة لذلك ودخل قلوبهم الرعب من الخوارج فبينما هم كذلك اذ ورد المهلب بن أبى صفرة متوجها الى خراسان وقد كتب له عبد الله بن الزبير عهده بها فاقام بالبصرة قال الاحنف لوجوه أهل البصرة والله ما للخوارج غير المهلب فكلموه فى ذلك فقال هذا عهدى على خراسان وما كنت لادع أمر أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير فاتفق أهل البصرة مع الاحنف على أن يقتلوا

استحال زيد على عمرو فالجواب انه محذوف تقديره على وحسن حذفه كونه معلوما من السياق لانه اذا قال تنام عيني علم ان معنى قوله وتستحيل أي على فهو جار ومجرور موضعه النصب على المفعولية (المعنى) أتنام عيني وهذه عين النجم تراها ساهرة لما أقاسيه وأكابده من الفكر وتستحيل على وصبغ الليل كما تراه لم يحل ولم يتغير وفي هذا ادماج لانه أدمج في هذه العبارة أن الليل طويل عليه لم يتسلل من سواده الى الفجر وما أحسن قول ابن الساعاتي

نمتم عن سهادي جفني ولا * يعلم ما ضر ساهرا من ينام
ما رعيتم حق الجوار وان كا * ن بادني الجوار يرعى الزمام

وقال الارجاني

فلا تنكروا حق المشوق فانما * لنا وعليكم أنجم الليل تشهد
أبيت نجي الهم في كل ليلة * كأن بها طرفي طراف ممدد

وقال ابن الهبارية

لقد ساهرتني عيون الدجى * وقد نمن عني عيون الملاح
اذا ما شكا الليل هجر الصباح * شكوت الى الليل هجر الصباح

وقال ابن خفاجة

لا تسألوا عني الخيال فانه * ما زارني عنكم فيعلم ما بي
واستخبروا الليل العيت نجومه * فنضا ولم ينصل دجاه خضابي
سهرت كواكبه معي ورقدتم * أنتم كواكبه وهن صحابي

وقلت أنا في هذه المادة

أشكو الى البدر ليالي الجفا * وليس يدري ما بعضنائك
فهو سميري أتسلى به * وانما البدر محيالك

وما أحسن قول القائل في طول الليل

كأن الثريا راحة تشبر الدجى * لتعلم طال الليل أم قد تعرضا
فليل تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

وأخذه الشيخ صدر الدين بن الوكيل وزاده فقال

بكف الثريا وهي جذما تقاس لي * شقاق دجى مدت من الشرق للغرب
ولو ذرعوها بالذراع لما انقضت * فما تنقضي بالليل أو ينقضي نحبي

وقال شرف الدين أحمد بن نصير بن كامل بن علي بن منقذ

ورب ليل تام فيه نجمه * قطعته سهرا فطال وعسعسا
وسألته عن صبحه فأجابني * لو كان في قيد الحياة تنفسا

ومثله قول الآخر

مات الظلام بليل * احييته حين عسعس
لو كان لليل صبح * يعيش كان تنفس

وقال شرف الدين أحمد المذكور

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا

كتابا على ابن الزبير يأمره فيه بقتال الخوارج فكتبوه وفيه (أما بعد) فان الحسن ابن عبد الله كتب الي يخبرني أن الازارقة أصابوا جندا من المسلمين وانهم قد أقبلوا نحو البصرة وكنت قد كتبت عهدك على خراسان ووجهتك وقد رأيت أن تبتدئ بقتال الخوارج فان الاجر فيه أعظم من سيرك الى خراسان فلما قرأ المهلب الكتاب قال والله ما أسير اليهم حتى تجعلوا لي ما غلبت عليه وتقووني من بيت المال وانتخب من فرسانكم ورجالكم من شئت فأجابوه الا طائفة من بني مسمع فقدها عليهم المهلب وسار الى الخوارج فكان عليهم أشد من كل من قاتلهم وبلغ ابن الزبير افعال الكتاب فلم يقل شيأ وأقره على ذلك ثم ان المهلب أخذ بالحزم في القتال واعمال الرأي والمطاولة فاز كى العيون وأقام الحرس وخندق ولم يزل الجند على مصافهم والناس على راياتهم وأخماسهم فكانت الازارقة اذا أرادوا اتيان المهلب وجدوا أمرا محكما ثم خرج المهلب يوما على تعبية حسنة وخرج الخوارج على مثل ذلك الا انهم أحسن

وبنات نعش فى الحداد سوافرا * أيقنت ان صباحه قد ماتا

وما أحسن اعتذار الارجانى عن طول الليل

لا أدعى جور الزمان ولا أرى * ليلى يزيد على الليالى طولا
لكن مرآة الصباح تنفسى * للهم أصدأ وجهها المصقولا

وما أرشق قول خالد الكاتب

رقدت ولم ترث للساهر * وليل المحب بلا آخر

وانصف من قال

ومالى لنا الاسواء وانما * تفاوته أنا سهرنا ونمتم

وقال زكى الدين بن أبى الاصبع

وساق اذا ما ضاحك الكاس قابلت * فواقعها من ثغره اللؤلؤ الرطبا
خشيت وقد أمسى نديمى على الدجا * فاسدلت دون الصبح من شعره الحجبا
وقسمت شمس الطاس بالكاس انجما * فيا طول ليل قصرت شمسه شهبا

أخذ الاصل من قول القائل

ترى الشمس قد مسخت كوكبا * وقد طالت فى عداد النجوم

(رجع) وأين صاحب الطغرائى من قول أبى الطيب

لا أستزيدك فيما فيك من كرم * أنا الذى نام اذ نبهت يقظانا

وهو مأخوذ من قول بشار بن برد

اذا أيقظتك حروب العدا * فنبه لها عمرا ثم نم

ولا عذر فى نومه واستحالته على الطغرائى لان هذا الصاحب سائر على مطايا الراحة والامن والطغرائى قد اقتعد فى ذروة القلق والجد والروع والطلب وهيهات بينهما فرق بعيد وبون وقد ضل من اعتقد أن الصاحب له فى الشدائد عون ويا ويل الشجى من الخلى وهان على الاملس ما لاقى الدبر ومن هذا قول ابن قلاقس الاسكندرى

يغيظنى وهو على رسله * والمرء فى غيظ سواه حليم

يقال ان أبا أيوب المرزبانى وزير المنصور كان اذا دعاه المنصور يصفر لونه ويرعد فاذا خرج من عنده تراجع له لونه فقيل له أنا نراك مع كثرة دخولك الى أمير المؤمنين وأنسك به تتغير اذا دخلت اليه فقال مثلى ومثلكم فى هذا مثل بازى ديك تناظرا فقال البازى للديك ما أعرف أقل وفاء منك لاصحابك قال وكيف ذلك قال تؤخذ بيضة فيحضنك أهلك وتخرج على أيديهم فيطعمونك باكفهم حتى اذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد الا طرت من هنا الى هناك وصحت وان علوت حائط دار كنت فيها سنين طرت منها وتركتها وصرت الى غيرها وأما انا فأوخذ من الجبال وقد كبرت فى قماط عينى وأطعم الشئ اليسير وأسامر فامنع من النوم وأونس اليوم واليومين ثم أطلق على الصيد فاطير وحدى وآخذه وأجيء به الى صاحبى فقال له الديك ذهبت عنك الحجة أما لو رأيت بازين فى سفود ما عدت اليهم ابدا وأنا فى كل وقت أرى السفافيد مملوءة ديوكا فلا تكن حليما عند غضب غيرك وأنتم لو عرفتم من المنصور ما أعرفه لكنتم أسوأ حالا منى عند طلبه لكم (قلت) وكأن أبا أيوب كان قد استشعر ارتياع المنصور به فانه أوقع

عدة وأكرم خيلا وأكثر سلاحا من أهل البصرة وذلك انهم أكلوا ما بين كرمان الى الاهواز فخافوا فى المغافر والدروع يسحبونها فالتقى الناس واشتد القتال وصبر بعضهم على بعض عامة النهار ثم شدت الخوارج على الناس شدة منكرة فجفل الناس فانصاعوا منهزمين وأسرع المهلب حتى سبقهم الى مكان يفاع ثم نادى الناس الى الى عباد الله فثاب اليه جماعة من قومه حتى اجتمع اليه نحو من ثلاثة آلاف فلما نظر الى من اجتمع اليه رضى جماعتهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الله يكل الجمع الكثير الى أنفسهم فيهزمون وينزل النصر على الجمع اليسير فيظهرون ولعمرى انى الآن بجماعتكم لراض وأنتم والله أهل الصبر وفرسان المصر وما أحب أن أحدا منكم انهزم معكم ولو كانوا فيكم ما زادوكم الا خبالا عزمت على كل نفر منكم الا أخذ عشرة أحجار معه ثم امشوا بنا نحو عسكرهم فانهم الآن آمنون وقد خرجت خيولهم فى طلب اخوانكم فقبلوا منه ثم أقبل بهم زحفا فلا والله ما شعرت الخوارج الا بالمهلب يضاربهم فى جانب عسكرهم ثم استقبلوا

به فيما بعد وعذبه وأخذ أمواله وكانت أموالا عظيمة وما أفاده الدهن الذى ضرب به المثل شيأ فان فى أفواه العوام دهن أبى أيوب قيل انه كان يدهن حاجبيه بدهن يسحر فيه فتصور اذا رآه فلا يتمكن منه (رجع) واستعارة العين للنجم فى بيت الطغرائى من أحسن ما يكون قال ابن نباتة السعدى

وخطة ضيم قد أبيت وليلة * سريت فكان المجد ما أنا صانع
هتكت دجاها والنجوم كأنها * عيون لها ثوب السماء مراقع

وقال الارجانى

ثم خافت لمارأت أنجم الليـ * ـل شبيهات أعين الرقباء

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز

ما راعنا تحت الدجى شئ سوى * شبه النجوم بأعين الرقباء

ومن الالغاز فى السماء والنجوم

وحسناء خرساء لا تنطق * يروقك ملبسها الازرق
وأحسن من كل مستحسن * عيون لها فى الدجى تبرق

وقال ابن طباطبا العلوى

وقد لاحت الشعرى العبور كأنها * طرف تقلب بالدموع هموع

وقال أيضا

وكأن النجوم لما تدانى الصبح أجفان مستهام كئيب
شاخصات الى السماء فما تطـ * ـرف أجفانها من التغريب
زاهرات كأنهن من الحجـ * ـل على حندس كدهر الاديب

وما أحسن هذا الالتفات والطف تخيله وقد استعمل أبو العلاء المعرى دهر الاديب أيضا فقال

خبرينى ماذا كرهت من الشيـ * ـب فلا علم لى بذنب المشيب
أضياء النهار أم وضح اللؤ * لؤ أم كونه كثغر الحبيب
واذكرى لى فضل الشباب وما يجـ * ـمع من منظر بروق وطيب
غدره بالخليل أم حبه للغـ * ـنى أم أنه كدهر الاديب

وهذا هو تشبيه المعقول بالمحسوس وهو أعلى مراتب التشبيه طبقة لانه ينشأ عن لطف ذوق وسلامة فطرة وصحة تخيل فهو صعب على من يرومه متقاعس عن جذب زمامه لان العلوم العقلية تستفاد من الحواس فى المقادير والالوان والطعوم والرائحة وطيب النغم ونعومة الملمس وخشونته ولهذا قالوا من فقد حاسة فقد علما واذا كان كذلك فالمحسوس أصل والمعقول فرع وتشبيه المعقول بالمحسوس من باب رد الفرع أصلا والاصل فرعا وأحسن ما جاء فيه قول القائل

وكأن النجوم بين دجاها * سنن لاح بينهن ابتداع

وقول الآخر

كأن القلب واللوان ذهن * يحوم عليه معنى مستحيل

وقول الآخر

أميرهم عبد الله بن الماخور وأصحابه وعليهم الدروع والسلاح فجعل الرجل من أصحاب المهلب يتعرض وجه الرجل بالحجارة حتى يثخنه ثم يضربه بسيفه فلم يقاتلهم الا ساعة حتى قتل ابن الماخور وضرب الله وجوه أصحابه وأخذ المهلب معسكر القوم وما فيه ومضى المنهزمون الى كرمان واصبهان ثم ولى مصعب ابن الزبير العراق ورجع اليه المهلب فقاتل معه المختار بن أبى عبيد الى أن قتل ورجع الى الازارقة فلم يزل يغاديهم القتال ويراوحهم وهو مع ذلك شديد الاحتراز على عسكره والتحفظ واليقظة الى أن بلغ مدة طويلة وبلغ الخوارج قتل مصعب بن الزبير أمير العراق واستيلاء عبد الملك بن مروان قبل أن يبلغ المهلب وأصحابه فناداهم الخوارج ما تقولون فى مصعب قالوا امام هدى ولينا فى الدنيا والآخرة قالوا فما تقولون فى عبد الملك قالوا ذاك ابن اللعين قالوا فانتم منه برآء فى الدنيا والآخرة قالوا نعم ونحن اذا أعداء كعداوتنا لكم قالوا فان امامكم المصعب قد قتله عبد الملك وانكم ستجعلون عبد الملك غدا امامكم وأنتم اليوم تتبرؤن منه وتلعنون

كأن انتضاء البدر تحت غمامة * نجاة من الباساء بعد وقوع

وقول أبي طالب الرقي

ولقد ذكرتك والظلام كأنه * يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

وقول لحظة البرمكي

ورق الجو حتى قيل هذا * عتاب بين جنة والزمان

قرأت على الشيخ الامام الاديب الكاتب شهاب الدين أبي الثناء محمود قوله في كتابه حسن التوسل يصف حصنا

كأنه وكان الجو يكنفه * وهم تمثله في طيها الفكر

وقول ابن الهبارية

كم ليلة بت مطويا على حرق * اشكو الى النجم حتى كاد يشكوني

والصبح قد مطل الشرق العبور به * كأنه حاجة في نفس مسكين

وقول أبي القاسم سعد بن ابراهيم

تتنفس الصهباء في لهواته * كتنفس الريحان في الآصال

وكأنما الخيلان في وجناته * ساعات هجر في زمان وصال

وهو مأخوذ برمته من قول الآخر

اسفر ضوء الصبح من وجهه * فقام خال الخد فيه بلال

كأنما الخال على خده * ساعة هجر في زمان الوصال

وأخذه الشهاب بن المعمار فقال في خال قبيح على خد مليح

وجهك الزاهر نور * فيه خال غير حالي

ساعة من ليل هجر * في نهار من وصال

وكلاهما أخذ المعنى من المعتمد بن عباد حيث قال

أكثرت هجرك غير أنك ربما * عطفتك أحيانا على أمور

فكأنما زمن التهاجر بيننا * ليل وساعات الوصال بدور

وقول الآخر

ولي سنة لم أدر ما سنة الكرى * كأن جفوني مسمعي والكرى العذل

وما أحلى قول أبي حفص عمر بن علي المطوعي

قم هات دهقانية * وعليك بالكاس الدهاق

أوما ترى نور الخلا * ف كأنه نور الوفاق

وقوله أيضا

أوما ترى نور الخلاف كأنه * لما بدا للعين نور وفاق

أو كف سنور ولكن نشره * يسعى بغمار المسك في الآفاق

وعلى ذكر الفار حكى ان نخس القضاة ابن بصاقة امسك له فارة بيضاء فصنع لها قفصا وكتب عليه من نظمه

وفأرة بيضاء لم تمتهن * يوما باطعام السنانير

أباه قالوا كذبتم يا أعداء الله فلما كان من الغد تبين لهم قتل مصعب فبايع المهلب الناس لعبد الملك فناداهم الازارقة يا أعداء الله بالامس تتبرؤن منه وتلعنون أباه واليوم تبايعونه بالخلافة وقد قتل امامكم الذي كنتم تتولونه فايهما المهدي وأيهما الضال فقالوا رضينا بذلك ونرضى بهذا دون كل منهما أرواحنا وأموالنا فقالوا لا والله ولكنكم اخوان الشياطين وطلبة الدنيا ثم ولي عبد الملك وأمر الحجاج على العراق وأمره بامداد المهلب فشمر الحجاج لذلك وتتابع المدد الى أن قال المهلب لتدولي العراق وال ذكر ثم ان الحجاج كتب الى المهلب يستبطئه في منابزة الازارقة ويستعجزه فحبس المهلب رسول الحجاج أياما حتى رأى صنع الخوارج وجلدهم وثباتهم وكتب الى الحجاج يقول ان الشاهد يرى ما لا يراه الغائب فان كنت تصبتني لحرب هؤلاء القوم على أن أديرها كما أرى فان أمكنتني فرصة انتهزتها وان لم تمكني توقفت فانا أدبر ذلك بما يصلحه وان أردت مني أن أعمل وأنا حاضر برأيك وأنت غائب فان كان صوابا فلك وان كان خطأ فعلي فابعث من رأيت مكاني والسلام ولما طالت الحرب

اذ فأرة المسك سمنابها * وهذه فأرة كافور

ومما يستغرب انه وجد فى ذخائر سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن بويه عمامة فى عنقها سلسلة تأكل كل يوم رطلى لحم بالبغدادى

* (فهل تعين على غى هممت به * والغى يزجر أحيانا عن الفشل) *

(اللغة) الاعانة المساعدة فى الخير والشر (الغى) الضلال تقول غوى بالفتح يغوى غيا وغواية فهو غاو وغو وأغواه غيره فهو غوى على فعيل قال الاصمعى لا يقال غيره وأنشد قول المرقش

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

سأل بعض المغفلين انسانا فاضلا انقال له كيف تنسب الى اللغة فقال لغوى فقال أخطأت فى ضم اللام انما الصحيح ما جاء فى القرآن قال الله تعالى انك لغوى مبين (الزجر) المنع والنهى يقال زجره وازدجره فانزجر وازدجر (احيانا) الحين الوقت وجمعه أحيان (الفشل) الجبن يقال فشل بالكسر فشلا اذا جبن (الاعراب) فهل الفاء قد تقدم الكلام عليها وهل حرف استفهام وهى أخت الهمزة ولهما صدر الكلام تقول أزيد قائم وأقام زيد وهل زيد قائم وهل قام زيد وانما كان الاستفهام لصدر الكلام لانه طلب الفهم وقيل لانه طريق الى الفهم وقيل لانه قسم من أقسام الكلام فوجب ان يتميز عن غيره من أول مرة وقيل لان أداة الاستفهام تنقل معنى الجملة من الخبر الى الاستخبار فاشبه النفى والتمنى وغيرهما ولما كانت الهمزة وهل غير مختصتين كانتا غير عاملتين والهمزة أعم من هل لانك تقول أزيدا ضربت أم عمرا وهل لا تقع هنا لان أم المتصلة لا تقع بعد هل حيث وجدت هل وجد الفصل أى الانقطاع وأيضا فان قولك أزيدا ضربت قد فصلت فيه بين همزة الاستفهام وبين الفعل بالمفعول ولا يجوز ذلك فى هل فلا تقول هل زيدا ضربت وتقول أتضرب زيدا وهو أخوك ولا تقول هل تضرب زيدا وهو أخوك لانك فى الهمزة تدعى ان الضرب واقع به وأنت توبخه وفى هل لا تدعى ذلك بل تستفهم عنه فقط وقد تجىء هل بمعنى قد كقوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم وقوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر وقد تجىء أيضا بمعنى ما كقوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله (تعين) فعل مضارع من اعان يعين اعانة مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره أنت (على غى) جار ومجرور وعلى تكون للاستعلاء حسا مثل ركبت على الفرس أو معنى نحو تكبر عليه وفلان علينا أمير وقوله تعالى وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين وفيه لطيفة وذلك انه أتى بعلى للهدى وبنى للضلال لان صاحب الهدى والحق كانه مستعل على ما هو عليه كالجواد يركض به كيف شاء وصاحب الضلال والباطل كانه منغمس فيما هو فيه ورأسه منخفض لا يدرى أين يتوجه وهذا من لطائف القرآن وغوامض معانيه ألا ترى الى لفظ الهدى كيف وقع بعلى فى قوله تعالى على هدى من ربهم والى لفظ الضلال كيف وقع بنى فى قوله تعالى انك لفى ضلالك القديم وقد تكون بمعنى فى التى للظرفية نحو قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها وقد تكون بمعنى عن كقول الشاعر

اذا رضيت على بنو قشير * لعمر الله أعجبنى رضاها

وقد تكون اسما وذلك اذا دخل عليها حرف الجر نحو نزلت من عليه أى من فوقه والقول فيها

بين المهلب وبينهم ورأى اتفاق أهوائهم وثباتهم علم انه لا يظفر الا بالاختلاف اذا وقع بينهم وكان فى عسكرهم حداد يسمى ابزن يصنع النبال المسمومة يرمى بها أصحاب المهلب فوجه المهلب رجلا من أصحابه بكتاب وألف درهم الى عسكر الخوارج وقال ألق الكتاب فى العسكر واحذر على نفسك وكان فى الكتاب الى الحداد أما بعد فان نصالك قد وصلت الينا وقد وجهت اليك بالف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال فوقع الكتاب الى قطرى فدعا ابزن وقال ما هذا الكتاب قال لا أدرى قال فما هذه الدراهم قال لا أعلم علمها فامر به فقتل فخافه عبد ربه الصغير وكان من كبارا القوم فقال له قتلت رجلا على غير بينة ولا تبين أمره فقال فما هذه الدراهم قال يجوز ان يكون أمرها كذبا ويجوز ان يكون حقا قال قطرى قتل رجل فى صلاح الناس غير منكر وللامام أن يحكم بما يراه صلاحا وليس للرعية أن تعترض عليه فتنكر له عبد ربه فى جماعة معه فلم يفارقوه فبلغ ذلك المهلب فدس اليه رجلا نصرانيا فقال له اذا رأيت قطريا فاسجد له فاذا نهاك فقل له انما سجدت لك ففعل

بانها اسم كالقول فى من وفى على لغات تقول جاء السيل من عل ومن علو بضم الواو وفتحها وكسرها مع سكون اللام ومن على ومن علو ومن علا بكسر اللام مع الياء وضمها مع الواو وفتحها مع الالف ومن عال فهذه ثمان لغات واما انشده البغداديون لابن ثروان من قوله

يارب يوم لى لا أظله * أرمض من تحت وأضحى من علله

فقال ابو على الهاء فيه مشكلة وأبطل أن تكون ضميرا أو هاء سكت (زجر) هممت فعل ماض تقول هم بهم وانما يفك الادغام عند اتصال الفعل بضمير الرفع واما اذا دخل الجازم على المضارع من هذا المشدد فانت مخير بين الفك والادغام والفك لغة القرآن وهى للحجازيين قال الله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه ومن يحلل عليه غضبى ولا تمنن تستكثر واغضض من صوتك والادغام لغة بنى تميم وعليها قوله تعالى ومن يشاقق الله ولك أن تقول حل واحلل ومد وامدد وغض واغضض والتاء ضمير الفاعل وهو المتكلم (به) جار ومجرور والباء هنا يحتمل أن تكون للالصاق وقد تقدم الكلام عليها وهممت وما بعده صفة لغى فى موضع جر (والغى) الواو للابتداء والغى مرفوع على أنه مبتدأ (يزجر) فعل مضارع من زجر يزجر وارتفع لخلوه عن الناصب والجازم وفاعله ضمير مستتر فيه يرجع الى المبتدا الذى هو الغى والجملة من الفعل والفاعل فى موضع رفع على انها خبر الغى (أحيانا) منصوب على انه ظرف زمان والعامل فيه يزجر (عن الفشل) جار ومجرور وعن هنا للمجاوزة ومفعول يزجر محذوف للعلم به لان التقدير يزجر الانسان عن الفشل وعن الفشل فى موضع نصب لتعلقه بالفعل وهو يزجر (المعنى) يقول لصاحبه أتنام عنى وتستحيل على فهل لك فى أن تعين صاحبك على غى هم به وسيأتى تفسير ذلك الغى فيما بعد فان الغى يمنع الانسان فى بعض الاوقات عن الجبن واعانة المرء صاحبه فى الحق أمر مندوب اليه قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وهذا فى الواجبات وقال صلى الله عليه وسلم والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه وهذا فى الامور المباحة فاما المحظورة فلا ومن فعل فقد شارك وصار له كفل منه وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقيل له يا رسول الله أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما قال تحجبه عن الظلم فذلك نصرك اياه وحدث عمرو بن سعيد بن سالم الباهلى قال كنت من حرس المأمون بحلوان حين خرج من خراسان بعد قتل الامين واستيثاق الخلافة له فخرج لينظر الى العسكر فى بعض الليل فعرفته ولم يعرفنى فاغفلته وجئت من ورائى حتى وضع يده على كتفى فقال من أنت قلت أنا عمرو عمرك الله ابن سعيد أسعدك الله ابن سالم سلمك الله فقال انت الذى كنت تكلؤنا فى هذه الليلة فقلت الله يكلؤك يا أمير المؤمنين فانشأ المأمون يقول

ان أخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

ثم قال يا غلام أعطه لكل بيت ألف دينار فوددت ان تكون الابيات طالت فأجد الغى فقلت يا أمير المؤمنين وأزيدك بيتا فقال لى هات فقلت * وان غدوت ظالما غدا معك * فقال يا غلام أعطه لهذا البيت ألف دينار فما برحت من موضعى حتى أخذت خمسة آلاف دينار (قلت) ما فهم المأمون من هذا البيت الاخير الا ما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تمام حديثه المتقدم * وأما الجبن فامر مذموم قال صلى الله عليه وسلم لا تمنوا لقاء العدو واذا لقيتموهم

النصرانى ذلك فقال له قطرى انما السجود لله فقال ما سجدت الا لك فقال له رجل من الخوارج قد عبدك من دون الله وتلا قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فقال قطرى ان هؤلاء النصارى قد عبدوا عيسى بن مريم فما ضره عيسى شيأ فقام رجل من الخوارج الى النصرانى فقتله فانكر ذلك عليه وقال قتلت ذميا فاختلفت الكلمة فبعث اليهم المهلب رجلا يسألهم عن شئ تقدم به اليه فاتاهم الرجل فقال أرأيتم لو أن رجلين خرجا مهاجرين اليكم فمات أحدهما فى الطريق ويلغكم الآخر فامتحنتموه فلم يجز المحنة ما تقولون فيهما فقال بعضهم أما الميت فهو من أهل الجنة وأما الذى لم يجز المحنة فكافر حتى يجيزها وقال قوم آخرون بل هما كافران حتى يجيزا المحنة فكثر الخلاف فخرج قطرى الى حدود اصطخر وأوقع المهلب بمن بقى منهم مع صالح بن مخراق وزحف الى البقية وخندق عليه ثم أقام أياما وأوقع بينهم الفتنة حتى وقع بين قطرى وعبد ربه فانحاز الى عبد ربه جماعة وولوه عليهم وذهب قطرى باصحابه وقاتل المهلب جيش عبد ربه فقتل عبد ربه بعد

فاصبروا وفي رواية فاثبتوا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف وفي كتاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه الى خالد بن الوليد رضي الله عنه احرص على الموت توهب لك الحياة وقال عمر رضي الله عنه الجراءة والجبن من الغرائز التي يضعها الله حيث شاء فالجبان يفر عن أهله وولده والجري يقاتل عمن لا يؤوب الى رحله * وقال خالد بن الوليد عند موته لقد لقيت كذا وكذا زحفا وما في جسدي موضع قيس شبر الا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية ثم ها أنا أموت على فراشي حتف أنفي فلا نامت عيون الجبناء * ووقع في أبي فراس الحرث بن حمدان نصل نشاب أقام في بدنه ثلاثين شهرا حتى خرج فقال فيه

فلا تصفن الحرب عندي فانها * طعامي مذ بعت الصباوشرابي
وقد عرفت وقع المسامير مهجتي * وشقق عن زرق النصول اهابي
ومجت في حملو الزمان ومره * وأنفقت من عمري بغير حساب

وقال أبو الطيب

رماني الدهر بالأرزاء حتى * فؤادي في غشاء من نبال
فصرت اذا أصابتني سهام * تكسرت النصال على النصال
وهانا لا أبالي بالرزايا * لأني ما انتفعت بان أبالي

(رجع) ويدخل في قول الطغرائي اغراء المحبين من يألفونه ويحبونه بالاقدام على الزيارة وركوب الاخطار وتهوين الخطوب في الوصال ويتوصلون الى ذلك بأنواع من سحر الكلام والمغالطة التي يستعملها البلغاء في الاغراء والتحذير ويسمى أرباب المعقول هذا النوع الخطابة ومن أحسن ما جاء في ذلك قول القائل

قم بنا نفديك نفسي * نجعل الشك يقينا
قالي كم يا حبيبي * يا أثم القائل فينا

وهو مأخوذ من قول الآخر

لا أنس لا أنس قولها بمنى * ويحك ان الوشاة قد علموا
ونم واش بنا فقلت لها * هل لك يا هند في الذي زعموا
قالت لماذا ترى فقلت لها * كي لا تضيع الظنون والتهم

(وقلت) انا كائن حاضر أسمع مخاطبتهما

هذا محب وما يخالصه * في دينه أن وشاته أثموا
قوا صليه واصغى لمغالطة * يقبلها من طباعه الكرم
يا ويح وصل أتى بحيلته * ان كنت لم ترع عندك الذمم

وأنشدني من لفظه الشيخ العلامة أثير الدين أبو حيان بالقاهرة سنة سبعمائة وثمان وعشرين قال أنشدني أبو عبد الله فتح الدين البكري قال أنشدني الجمال الكاتب محمد بن أبي العز المكرم لأبيه

الناس قد أثموا فينا بظنهم * وصدقوا بالذي أدرى وتدرينا
ماذا يضرك في تصديق ظنهم * بان نحقق ما فينا يظنونا
حلي وحلك ذنبا واحدا ثقة * بالعفو أجمل من اثم الورى فينا

وقائع طويلة وانفصل جند الازارقة وتشتتوا في البلاد وتخطفهم الناس وكتب المهلب الى الحجاج بالفتح يقول الحمد لله الكافي بالاسلام فقد ماسواه بان حكم بان لا ينقطع المزيد منه حتى ينقطع الشكر من عباده أما بعد فقد كنا نحن وعدونا على حالين مختلفين يسرنا منهم أكثر ما يسوءنا ويسوءهم منا أكثر ما يسرهم على اشتداد شوكتهم فقد كان على أمرهم حتى ارتاعت الفتاة وتوهم به الرضيع فانتهزت منهم الفرصة في وقت امكانها وأدنيت السواد حتى تعارفت الوجوه فلم تزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فكتب اليه الحجاج يشكره ويذكر بلاءه ويأمره بالقدوم عليه واستخلاف أحد بنيه فقدم على الحجاج فاجلسه على السرير الى جانبه وأظهر اكرامه وبره وقال يا أهل العراق أنتم عبيد عتقاء المهلب ثم قال أنت والله كما قال لقيط الايادي

وقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بامر الحق مضطلعا
لا يطعم النوم الا ريث يبعثه * هم يكاد حشاه يقصم الضلعا
حتى استمر على شزر مريرته * مستحكم الرأي لا نكسا ولا ضرعا

فقام رجل وقال أصلح الله

ذكرت بالمغالطة هنا مغالط المنطق فمنها قولك الفول يغذو الحمام والحمام يغذو البازى يلزم من ذلك ان تكون النتيجة الفول يغذو البازى وهى كاذبة مع صدق المقدمتين وقد ذكرها الشيخ شهاب الدين أحمد بن ادريس القرافى فى أنوار البروق من جملة عشر مغالط وهى أحسنها الاني امتحنت بها جماعة من الاذكياء الفضلاء فلم ينتبهوا لمكان الغلط فى ذلك ووجهه ان الضرب الاول من الشكل الاول شرط انتاجه ان يكون الحد الاوسط محمولا فى الصغرى موضوعا فى الكبرى كقولك العالم متغير وكل متغير حادث فالنتيجة العالم حادث فلما كان هنا نفس محمول الصغرى موضوعا فى الكبرى انتج صدقا بخلاف المسئلة الاولى لان المحمول فى الصغرى انما هو لفظة يغذو وليس هو الموضوع فى الكبرى وانما الموضوع فيها مفعول يغذو وهو الحمام فلم يتحد الحد الاوسط وهذا نظير قولك زيد مكرم عمرا وعمرو مكرم خالدا فانه لا ينتج صدقا أن زيدا مكرم خالدا نعم لو قلت ان زيدا مكرم عمرا ومكرم عمرو مكرم خالدا أنتج ان زيدا مكرم خالدا فاعرف ذلك فانك تركب من هذه القاعدة مغالط كثيرة * ومن مغالط شهاب الدين القرافى قولك الوتد فى الحائط والحائط فى الارض فيلزم منه انتاج الوتد فى الارض وهو كاذب بخلاف قولك الدراهم فى الكيس والكيس فى الصندوق فالنتيجة الدراهم فى الصندوق وهى صادقة وانما صدق الانتاج هنا وفى الاولى كذب لان الحائط فى الاولى لم يغب بجموعه فى الارض كما غاب الكيس بجموعه فى الصندوق ومن مغالطه أيضا وهو مشهور بين أرباب المنطق فى الاستدلال على ان السارية ذهب أو الجبل ذهب أو ما وقعت عينك عليه ذهب قولك مثلا هذا الجبل ذهب لان كل من قال انه ذهب قال انه جسم وكل من قال انه جسم صادق فينتج كل من قال انه ذهب صادق ووجه الغلط أن صحة المقدمات غير مسلمة لان منها انه قال انه ذهب وهذا كذب ومنها كل من قال انه ذهب قال انه جسم وبعض هذه المقدمة ممنوع واذا كذبت احدى المقدمتين أو بعض المقدمة تبعته النتيجة فى الكذب وما أحسن ما أنشدته بحلب سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة لنجم الدين الوارسى وهو

لا تخطبن سوى كريمة معشر * فالعرق دساس من الطرفين
أولست تنظر فى النتيجة أنها * تتبع الاخس من المقدمتين

وهذا فى غاية الحسن وهذه المغالطة عظيمة يمكن الذكى ان يرتب عليها أنواع المحالات ويستدل على سائر الاجسام انها ياقوت أو ذهب أو غير ذلك * وأنشدنى الشيخ الامام الاديب الكاتب شهاب الدين أبو الثناء محمود قال أنشدنى لنفسه الشيخ الامام مجد الدين بن الظهير الاربلى أبياتا كتبها من نظمه على الجزولية فى النحو

مقدمة فى النحو ذات نتيجة * تناهت فاغنت عن مقدمة أخرى
حباها بها بحر من العلم زاخر * ولا عجب للبحر أن يقذف الدرا
وأوضحها بالشرح صدر زمانه * ولم ير شرحا غيره يشرح الصدرا

---

*(انى أريد طروق الحى من اضم * وقد حماه رماة من بنى أسد)*

(اللغة) الطروق هو المجىء بليل يقال أتانا فلان طروقا وقد طرق يطرق فهو طارق قال ابن الجواليقى فى التكملة الصواب أن يقال طوارق الليل وجوارح النهار لان أبا زيد حكى عن

الامير والله لكانى أسمع قطربا وهو يقول المهلب كما قال لقيط ثم أنشد هذا الشعر فصبر الحجاج حتى ظهر عليه وسئل المهلب ما أعجب ما رأيت من قتال الازارقة قال رأيت رجلا منهم يطعن الرجل فيمشى فى الرمح الى طاعنه وينال منه وهو يقول وعجلت اليك رب لترضى وكانت مدة اقامة المهلبى على قتال الخوارج ومصابرته لهم تسع عشرة سنة الى أن فتح الله على يديه وطهر منهم الارض ومات على فراشه ومن أخباره المستحسنة انه أقبل يوما من بعض غزواته فتلقته امرأة فقالت له أيها الامير انى نذرت ان أقبلت سالما أن أصوم شهرا وتهب لى جارية وألف درهم ففحك وقال قد وفينا نذرك فلا تعودى لمثله فليس كل أحد يفى لك به * ووقف له رجل فقال أريد منك حويجة فقال اطلب لها رجيلا يعنى أن مثلى لا يسئل الا حاجة عظيمة ومر يوما بالبصرة فسمع رجلا يقول هذا الاعور سادا الناس ولو خرج الى السوق لا يساوى أكثر من مائة درهم فبعث اليه مائة درهم وقال لو زدتنا فى الثمن زدناك فى العطية ولما هزم قطرى بن الفجاءة دخل عليه المغيرة وأنشده

/ مى العباد لعمرى لاغياث لهم

العرب جرحته نهارا وطرقته ليلا قال الله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار وقال الجوهرى جرح واجترح أى اكتسب وذكرت هنا أبياتا نظمها أحد الامشاطى من أهل العدم وذلك فى سنة ست وعشرين وسبعمائة وهى

وقالك اللواحظ بعد هجر * حباك كرما وأنعم بالمزار
وظل نهاره يرمى بقلبى * سهاما من جفون كالشفار
وعند النوم قلت لمقلتيه * وحكم النوم فى الاجفان جارى
تبارك من توفاكم بليل * ويعلم ما جرحتم بالنهار

(الحى) واحد أحياء العرب وهم القوم النازلون بمكان (واضم) بكسر الهمزة جبل بأرض المدينة قال الشاعر * شبت بأعلى عائذ من اضم * (حماه) منه (رماة) جمع رام (ثعل) أبو حى من طيئ وهو ثعل بن عمرو أخو نبهان وهم الذين عناهم امرؤ القيس بقوله

رب رام من بنى ثعل * مخرج كفيه من سترة

وبنو ثعل مشهورون بإتقان الرمى وقد أكثر الشعراء من نسبة ذلك اليهم قال ابن قلاقس

وحى من كنانة قد رمونى * بما حوت الكنانة من سهام
اذا انتضلوا وما ثعل أبوهم * رموك بكل رامية ورامى

ومن هذه القبيلة عمرو بن المشيخ الثعلى الذى قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى وفود العرب فاسلم وهو ابن مائة وخمسين سنة وكان أرمى العرب بالسهام واياه عنى امرؤ القيس بقوله رب رام البيت وهذا من جملة ما استشهد به ابن قتيبة فى كتاب طبقات الشعراء على قرب زمن امرئ القيس من زمن النبى صلى الله عليه وسلم وأنه كان قبله بمقدار أربعين سنة (الاعراب) انى ان حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر وانما عملت هذا العمل لانها واخواتها أشبهت الفعل ووجه الشبه أن معنى ان أكدت وحققت وكأن شبهت ولكن استدركت وليت تمنيت ولعل ترجيت ولانها مفتوحات الآخر كما تفتح آخر الفعل ولانها تدخلها نون الوقاية كالفعل فاعطى هذا الباب أحسن حالات العمل وأقواها وهو تقدم المفعول على الفاعل فشبه اسمها بالمفعول وخبرها بالفاعل (فان قلت) أحسن الحالات للفعل تقديم الفاعل (قلت) انما منع ليكون للاصل مزية وتعلم فرعيته ان وباجرائها فى العمل وقد أحسن محاسن الشوا حيث قال فى جارية زرقاء العيون

وغادة قلت لها الا * رعيت فى الحب لنا الا
وطرفك الازرق ما باله * يحدث فينا لحظه القتلا
قالت الا يقتل طرف حكى * لون سنان الرمح والنصلا
قد علمت ان على أنها * حرف وقد أشبهت الفعلا

وقيل انما قدم المنصوب على المرفوع ولم يعكس لان كان تقدمت هذا النوع وفازت بذلك العمل وانما قلنا بتقديم كان واخواتها لانها مختلف فى حرفيتها فقوم قالوا انها افعال سلبت الدلالة على مصادرها وقوم قالوا بحرفيتها فلما تقدمت كان واخواتها اختصت بذلك العمل وجاءت هذه بعد فاختصت بهذا العمل فرقا بين العاملين ومنهم من قال انها نصبت الاسم لاغير والخبر مرفوع بما كان عليه أولا لان ان انما تدخل على المبتدا والخبر وليس بشئ لان المبتدا

الا المهلب بعد الله والمطر
هذا يجود ويحمى عن ديارهم
وذا يعيش به الانعام والشجر
فقال هذا والله هو الشعر وأمر له بعشرين ألفا * ومن كلامه عجبت لمن يشترى العبيد بماله ولا يشترى الاحرار بفضاله * وكان يقول لولده اذا غدا عليكم الرجل ورائح فكفى بذلك تقاضيا * وتذاكروا عنده الثياب فقال أحسن ثيابكم ما رأيتموه على غيركم * وكان كثيرا ما يامر بصلة الرحم والمكيدة فى الحرب (وحكى) أن عبد الرحمن ابن الاشعث لما خرج على الحجاج بالجيش الذى كان يغشاه معه الى قتال رتبيل كاتب المهلب وهو بخراسان يدعوه الى خلع الحجاج فقال المهلب لاغدر بعد سبعين سنة ثم كتب الى الحجاج أما بعد فان أهل العراق مع ابن الاشعث قد أقبلوا اليك وهم مثل السيل المنحط من أعلى الى أسفل ليس يرده شئ حتى ينتهى الى قراره ولا هل العراق شدة فى أول حربهم وبهم صبابة الى نسائهم وأبنائهم فلا شئ يردهم دون أهليهم فلا تستقبلهم وخل لهم السبيل حتى يأتوا البصرة فيضاجعوا نساءهم ويتشموا أبناءهم فترق قلوبهم ويخلدوا الى المقام فى منازلهم ويتفرقوا

أولى بأن يبقى على حاله والكلام فى هذا الباب متسع فلذا اقتصرت منه على ماذكر وان تكسر فى مواطن ستة الاول أن تقع مبتدأة كقوله تعالى انا أعطيناك الكوثر الثانى أن تكون أول الصلة كقولك جاءنى الذى انه شجاع ومنه قوله تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة واحترزنا بأول الصلة من مثل جاءنى الذى عندك أنه كريم لانها تفتح الثالث أن يتلقى بها القسم كقوله تعالى حم والكتاب المبين انا أنزلناه الرابع أن تحكى بقول مجرد من معنى الظن كقوله تعالى قال انى عبد الله واحترز بمجرد من معنى الظن من نحو قولك أتقول أنك فاضل فهنا تفتح الخامس أن تحل محل الحال نحو زرت زيدا وانى ذو محبة فيه وكقوله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون السادس أن تقع بعد فعل معلق باللام نحو قوله تعالى والله يعلم انك لرسوله فهذه هى المواطن التى يجب الكسر فيها ولها أماكن أخر تكسر فيها وأماكن أخر يجوز فيها الفتح والكسر منها أن تقع بعد اذا التى للمفاجأة كقولك خرجت فاذا انه واقف ومنها ان تقع بعد قسم وليس مع أحد معموليها اللام كقولك حلفت انك ذو تعب ومنها أن تقع بعد فاء الجزاء نحو من يأتنى فانى أكرمه ومنها أن تقع خبرا عن قول وفاعل القولين واحد نحو قولى انى أحمد الله وما عدا هذه المواضع فانها تكون فيها مفتوحة وتدخل اللام على خبر المكسورة اذا قصد المبالغة فى التوكيد وانما أدخلوا اللام على الخبر دون الاسم كراهية الجمع بين أداتى التوكيد ودخولها على الخبر مشروط بان لا يتقدم معموله نحو ان زيدا لطعامك آكل ولا يكون منفيا نحو ان زيدا لا يقوم ولا ماضيا ما لم يصرفا حالا من قد نحو ان زيدا لقام فقد دخل على المفرد نحو ان زيدا لقائم وعلى المجرور نحو وانك لعلى خلق عظيم وعلى الجملة الاسمية نحو ان زيدا لأبوه قائم وعلى الفعل المضارع نحو ان زيدا ليقوم وان زيدا لسوف يفعل وعلى الماضى الذى لم يتصرف نحو ان زيدا لعسى أن يفعل وعلى الماضى المتصرف المقرون بقد نحو ان زيدا لقد أتى وتدخل على معمول الخبر نحو ان زيدا لطعامك آكل وان عبد الله لفيك راغب وعلى ضمير الفصل كقوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق وعلى اسم ان اذا تأخر عن الخبر الظرف نحو ان عندك لزيدا أو الجار والمجرور نحو ان فى الدار لزيدا ولها أحكام أخر منها أنها اذا خففت يقل عملها وقد تعمل مع لزوم اللام فى خبرها ومنه قراءة ابن كثير وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم والاهمال أكثر نحو وان كل لما جميع لدينا محضرون واذا دخلت عليها ما كفتها عن العمل وقد تحذف نون الوقاية معها وهو والاكثر فيقال انى والاصل انني وكذا باقى ادوات الباب تقول ليتنى وهو الكثير وتقول ليتى وهو القليل وتقول لكنى ولكننى وهما متساويان ولعلى ولعلنى وكأنى وكأننى (رجع) والياء فى انى فى موضع النصب على اسمية ان ولم يظهر الاعراب لان الضمائر مبنية (اريد) فعل مضارع ماضيه أراد رفع لخلوه عن الناصب والجازم وفاعله مستتر فيه تقديره أنا والجملة فى موضع رفع لانها خبران (طاروق الحى) طاروق منصوب على المفعولية لاريد والحى مضاف اليه والاضافة معنوية مقدرة باللام (من اضم) جار ومجرور ومن هنا لبيان الجنس (وقد جاءه) الواو واو الحال وقد حرف تحقيق جاء فعل ماض والهاء فى موضع نصب على المفعولية وهى ترجع الى الحى (رماة) مرفوع على انه فاعل جاء (من بنى ثعل) من هنا لبيان الجنس وثعل اسم مجرور بالاضافة وهو ممنوع من الصرف لان فيه

عن ابن الاشعث فأوقع بمن حاربك منهم فان الله ناصرك عليهم فلما قرأ الحجاج كتابه قال ويلى على ابن المارى والله ما الى نظر وانما نظر الى ابن عمه ولم يقبل منه ذلك وكان ذلك مراد المهلب وتلطف له فى على هذه النصيحة البليغة ومما روى من شعره

انا اذا أنشأت قوما لئام
قالت لنا أنفسهم أزدية
عودوا
لا يوجد الجود الا عند ذى كرم
والمال عند لئام الناس موجود
(وأن هرمس أعطى بليناوس ما أخذ منك)

هرمس هذا هو الذى تزعم قوم من الصابئة أنه نبى مرسل وأنه ادريس عليه السلام ويسندون اليه شرائعهم فى تعظيم الكواكب السبعة والبروج الاثنى عشر والتقرب اليها بالذبائح والدخن وما أشبه ذلك من مذاهبهم قال أبو معشر البلخى هو أول من تكلم فى الاشياء العلوية من الحركات النجومية وجده كيومرث وهو آدم عليه السلام علمه ساعات الليل والنهار وهو أول من بنى الهياكل ومجد الله فيها وأول من نظر فى الطب وتكلم فيه وصنف لأهل زمانه

العلمية والعدل التقديرى أى قدر فيه أنه معدول عن ثاعل (فان قلت) لاى شئ كان هو معدولا عن ثاعل ولم يكن ثاعل معدولا عنه (قلت) لان الاصل فى صيغة اسم الفاعل هذا الوزن وذلك معدول عنها وانما صرف هنا للضرورة على قول أو للتناسب على قول وقوله وقد جاء الى آخر البيت فى موضع النصب على الحال * وذكرت بالعدل والمعرفة هنا قول شرف الدين بن عنين

شكا ابن المؤيد من عزله * وذم الزمان وأبدى السفه
فقلت له لا تذم الزمان * فتظلم أيامه المنصفه
ولا تعجبن اذا ما صرفت * فلا عدل فيك ولا معرفه

وقول نور الدين الاسعردى فى بعض مدرسى العجم

يقولون ان الجد بالقصف مولع * فقلت لهم ما اعتاد شيأ سوى القصف
فقالوا أساعلما ولفظا بجلس * فلم منعوا عن صرفه راغم الانف
فقلت لتأنيث به والعجمة * فقالوا وقد تلغى الضرورة للصرف
ولا بد من تقطيعه عند قبضه * فقد زاد بسط الكف فى جهة الوقف

قلت لا يخفى ما فى البيت الثالث من محاسن باب ما لا ينصرف وما فى الرابع من محاسن العروض * وما أحسن ما أنشد فيه من لفظه المولى القاضى شرف الدين أبو عبد الله الحسين ابن ريان

أتيت حانة خمار وصاحبها * محارف متقن للنحو ذو لسن
وحوله كل هيفا منعمة * وكل عاق رشيق أهيف حسن
فقال لى اذ رأى عينى قد انصرفت * الى النساء كلام الحاذق الفطن
أنث وركب وصف واعدل بمعرفة * واجمع وزد واستراح من عجمة وزن

وظرف من قال

وذى أدب بارع نكته * وأولجت فيه قداعنف
فقلت فديتك أعصر عليه * ففيه اللذاذة لو تعترف
فقال أجدت ولكن لحنت * لقولك أعصر بفتح الالف
فقلت لك الويل من أحمق * فقال وأحمق لا ينصرف

قيل ان بعض السؤال وقف على باب نحوى فقرعه فقال النحوى من بالباب فقال سائل فقال انصرف فان اسمى أحمد قال النحوى لغلامه أعط سيبويه كسرة * وحكى أن جماعة من النحاة اختلفوا فى بناء سراويل وهل هو منصرف فدخل البرقى عليهم فقال فيم أنتم قالوا فى بناء سراويل فما عندك فيه قال مثل ذراع البكر أو أشد * وقال رجل نحوى لبعض العوام اسمعيل ينصرف أو لا فقال اذا صلى العشاء فما قعوده * ومدح شاعر طلحة صاحب البريد باصبهان فلم يثبه فقال

لو كنت أقنع من مدحى بلا صفد * لا كتلت من طلحة كرين من خبز

فقال له طلحة لحنت لانك صرفت طلحة فقال الشاعر انما طلحة الذى لا ينصرف هو طلحة الطلحات فأما أنت فانك تبلغ الصين بنفخة واحدة (المعنى) يقول لصاحبه انى الذى طلبت

كتبا كثيرة بأشعار موزونة بلغتهم فى معرفة الاشياء العلوية والارضية وأول من أنذر بالطوفان ورأى أن آفة سماوية تلحق الارض من الماء والنار * وكان مسكنه مصر فعند ذلك بنى الاهرام ومدائن التراب وخاف ذهاب العلم بالطوفان فبنى البرابى والجبل المعروف ببرباة اخميم وصور فى ذلك الموضع الصناعات وصناعها نقشا وأشار الى صفات العلوم لمن بعده حرصا على تخليدها من بعده وتزعم الصابئة أن النبوة من بعده لا تعقب بلينوس وكان اسمه بلينوس فزيد فيه تعظيما لاسمه وكذلك يقال فى ارسطاطاليس فان اسمه ارسطو وكان كل من مهر فى علومه زيد فى اسمه * وكان بلينوس قد أخذ العلوم والاسرار عن هرمس هذا وهو هرمس الهرامسة وزعم آخرون أن هرمس صاحب بلينوس كان بعد الطوفان وهو وغيره هذا وقال الكندى وهو صاحب كتاب الحيوانات ذوات السموم وكان طبيبا فيلسوفا عالما بطبائع الادوية جوالا فى الارض طوافا فى البلاد عالما بنصبة الدنانير وطبائعها وطبائع أهلها وأدويتها وهو صاحب الطلسمات الاندلسية مثل السودانية

اعانتك عليه هو انى أريد طروق الحى أى النزول على اضم ليلا وقد جاء رماة من بنى نمل وهم المقيمون فى الحى فهل لك فى الاعانة على المسير اليهم * وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن طروق الرجل أهله ليلا وفى النهى فوائد منها أن أهله لم يكن استعدن له كما هى عادة المرأة مع بعلها فيراها على حال يكرهها ومنها أن يحصل لهم فى ذلك الوقت ازعاج بقدومه وهم فى وقت يسكنون فيه ويجدون الدعة فيحصل منه استثقال ومنها أن يشوش على جيرانه بحركته فى ذلك الوقت ومنها غير ذلك وهذه الحالة أعنى كون الرماة يحمون الحى مما لا يهابه العشاق ولا يصدهم عن زيارة أحبابهم ولا يمنعهم عن الوصول اليهم لانه قيل

علامة الحب أن يستصغر الخطر * وان تزور ونار الحرب تستعر

وما أحسن قول القائل

وان نذرت فيك العشيرة قتلتى * فللموت عندى فى هواك سلام

ومن أعجب الاشياء خوفى من العدا * ولى كل يوم فى هواك حمام

وقال أبو الطيب

يهون على مثلى اذا رام حاجة * وقوع العوالى دونها والقواضب

وقال ابن الساعاتى

رعاك الله ياسلمى رعاك * ودارك بالاوى ذات الاراك

أخاف سيوف قومك من معد * وما كانت بأقتل من هواك

وأنشد فى جمال الدين المعروف بالحمانى قال أنشدنى عفيف الدين التلمسانى لنفسه

أسير ولو أن الصباح مواكب * وأسرى ولو أن الظلام قتام

وأغشى بيوت الحى لا متريبا * وأطرق ليلى والوشاة نيام

اذا لم يكن للصب اقدام صبوة * تحل تلاف النفس وهو حرام

فليس له بين المحبين رحلة * ولا بين هاتيك الخيام مقام

وأول هذه الابيات ماخوذ من قول يوسف بن عبد الصمد

فاطعن ولو أن الثريا ثغرة * واضرب ولو أن السماك وريد

وافتح ولو أن السماء معاقل * واهزم ولو أن النجوم جنود

بل ماخوذ من قول أبى العلاء المعرى

أسير ولو أن الصباح صوارم * وأسرى ولو أن الظلام حلائل

الا أنه غير الصوارم والحلائل بالمواكب والقتام ومن هذه المادة قول أبى العلاء أيضا

وكان حبك قد رحلك فى السرى * فالطم بأيدى العيس وجه الكثيب

واهجم على جنح الدجى ولوانه * أسد يصول من الهلال بغيهب

وقول أبى طالب المأمونى

اذا ما طوى الليل الذى بين أضلعى * تعشقت لجا من دجى الليل ماطما

فأمسى شجا فى ثغرة الليل رائحا * وأضحى قذى فى مقلة الصبح غاديا

وقول أبى فراس بن حمدان

لقيت نجوم الافق وهى صوارم * وخضت سواد الليل وهو خيول

النحاس وغيرها * وكان بابنوس هذا تلميذ سافر معه البلاد فلما خرجا من الهند الى فارس خلفه ببابل وكان قد أخذ عنه جميع علومه وظهرت له فى الطب وابراء المرضى وقائع معجزة الى أن كثرت فيه أقاويلهم وقالوا هو نبى وقالوا هو ملك وزعموا أن مولده روحانى وأن الله تعالى رفعه فى عمود من نور واقليدس ينسب اليه وهو الذى وضع علم الطب فى هيكل يعرف بهيكل اسقبلينوس ويدل على ذلك قول جالينوس فى بعض كتبه ان الله تعالى لما خلصنى من دبيلة قتالة كانت عرضت لى حججت الى بيته المسمى بهيكل اسقبلينوس ويقال ان هذا الهيكل بمدينة رومية كانت فيه صورة تكلم الناس مركبة على حركات نجومية وانه كان فيها روحانية كوكب من الكواكب السبعة (وحكى) جالينوس ان الله تعالى أوحى الى اسقبلينوس انى الى أن أسميك ملكا أقرب من تسميتك انسانا وكان معظما عند اليونان يستسقون بقبره ويوقدون عليه كل ليلة ألف قنديل تخلف ابنين ماهرين فى صنعة الطب وعهد اليهما أن لا يعلما الطب الا لاولادهما وأهل

ولم أرع للنفس الكريمة نخلة * عشية لم يعطف على خليل
ولا أن لقيت الموت حتى تركتها * وفيها وفي حد الحسام فلول
ومن لم يعش الله فهو ممزق * ومن لم يعز الله فهو ذليل

وما أحسن قول الارجاني

سحبت ذيل الدجى حتى طرقتهم * بسحرة وقميص الليل أطمار
أزورهم وسنان الرمح من بعد * الى بالمقلة الزرقاء نظار

وقوله أيضا

لما علمت الحي قالت خيفة * لا أنت ان علم الغيور ولا أنا
فدنوت طوع مقالها متخفيا * ورأيت خطب القوم عندي أهونا

ونقلت من خط السراج الوراق له

أغنتهم تلك القدود عن القنا * ونضوا عن البيض الصفاح الاعينا
وحواطروق الحي حتى لم يكن * مسرى الخيال اليه أمر امكنا

ولا أرى أن الحالة تشق في الزيارة الا عند العود ولهذا قيل

يا ليل ما جئتكم زائرا * الا وجدت الارض تطوى لي
ولا انثنى عزمي عن بابكم * الا تعثرت باذيالي

*(يحمون بالبيض والسمر اللدان به * سود الغدائر حمر الحلى والحلل)*

(اللغة) يحمون يمنعون (البيض) جمع أبيض وهو السيف (السمر) جمع أسمر وهو الرمح (اللدان) جمع لدن وهو اللين (الغدائر) ضفائر الشعر واحدتها غديرة (الحلى) ما تتحلى به المرأة من خاتم وسوار وقلادة وغير ذلك (الحلل) جمع حلة وهي البردة اليمانية والحلة ازار ورداء ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين (الاعراب * يحمون) فعل مضارع من حمى يحمي والواو ضمير الفاعلين والنون علامة الرفع للفعل المضارع والفرق بين الواو والنون اللتين تكونان في زيدون جمع المذكر السالم هو أن الواو التي في جمع المذكر السالم علامة الرفع والنون نون الجمع والواو التي في الفعل المضارع مثل يفعلون ضمير الفاعلين والنون علامة الرفع للفعل المضارع فهما هنا عكس تينك هناك وتقدم الكلام على موجب اعراب الفعل المضارع في قوله أريد بسطة كف والواو هنا في يحمون ضمير يرجع الى رماة الحي (بالبيض) جار ومجرور والباء هنا للاستعانة وقد تقدم الكلام عليها (والسمر) الواو واو العطف وقد عطفت اسما على اسم وقد تقدم الكلام على تقسيمها في أول القصيدة * ولا بأس بالكلام على حكمها في العطف فأقول ان الواو للجمع المطلق ولا تقتضي الترتيب بدليل قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر والنذارة قبل العذاب بدليل قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله تعالى حكاية عن منكري البعث وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وانما يريدون نحيي ونموت وقوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي وقد تقدم الكلام على هذه الآية وقول الشاعر

حتى اذا رجب تولى وانقضى * وجمادیان وجاء شهر مقبل

والادلة على عدم ترتيبها كثيرة وذهب قطرب والربعي الى انها مرتبة مستدلين على ذلك بقوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم والجواب أن الذكر هنا بالشرف لا

بالترتيب

بيتهما ولا يدخلان في هذه الصناعة غريبا وكان تعليم الطب تلقينا الى أن وضع أبقراط الكتب وهو السادس عشر من ولده قال جالينوس وأما صورته يعني المصورة في الهيكل فصورة رجل ملتح قائما منشر المجموع الثياب يدل بهذا الشكل على انه ينبغي للاطباء أن يستعدوا في جميع الاوقات آخذا في يده عصا معوجة ذات شعب يدل ذلك على انه يمكن في صناعة الطب أن يبلغ من استعمالها من السن أن يحتاج الى عصا يتوكأ عليها وقيل انما صور العصا لانها من شجرة الخطمي وانه يطرد بها الامراض وأما شعبها فتدل على كثرة أصناف الطب والتفنن فيه ثم صور على تلك العصا صورة حيوان طويل العمر وهو الثعبان ويقرب هذا الحيوان منه لاشياء كثيرة أحدها انه حيوان حاد البصر كثير السهر وكذلك ينبغي للطبيب أن يكون في المعرفة والاجتهاد كذلك والثاني انه يسلخ لباسه الذي يسمونه الشيخوخة فكذلك يمكن الطبيب أن يسلخ الشيخوخة بما يفيده من الصحة والثالث انه طويل العمر وعلى ذلك يحرص بعض الاطباء ويروى انه عاش تسعين سنة

بالترتيب كما تقول جاء الخليفة والسلطان والوزير والامراء (مسئلة) من نسب الشافعي الى أنه فهم الترتيب في الوضوء من الواو فقد غلط وانما أخذ الترتيب من السنة ومن سياق النظم وتأليفه وذلك أن الله تعالى ذكر الوجوه ووزنها فعول كرؤس وذكر الايدي ووزنها أفعل كأرجل وأدخل ممسوحا بين مغسولين وقطع النظير عن النظير فلولا أن الحكمة في ذلك التنبيه على الترتيب لكان الاحسن بالبلاغة أن يقال وأيديكم وأرجلكم وامسحوا برؤسكم كما يقال رأيت زيدا وعمرا ودخلت الحمام ولا يقال رأيت زيدا ودخلت الحمام ورأيت عمرا ولو قيل ذلك لكان هجنة في الكلام ومن أحسن من الله قيلا (فان قلت) لم يقطع النظير عن النظير بل عطف مغسولا على مغسول وممسوحا على ممسوح ويحتج لهذا بشئ روى عن علي وابن عباس رضي الله عنهم وبالقراءة الظاهرة وهي جر أرجلكم في قراءة ابن كثير وحمزة وأبي عمرو وعاصم في رواية أبي بكر عنه عطفا على مسح الرؤس وقراءة النصب لنافع وابن عامر والكسائي وعاصم في رواية حفص عنه ليست عطفا على الايدي بل هي عطف على موضع الرؤس كما قال الشاعر

معاوي انا بشر فأسجح * فلسنا بالجبال ولا الحديدا

(قلت) هذا خلاف قول الجماعة ونقل الثقات عن علي الغسل وقد ذكر ابن ماجه في سننه حديثا لابي حية عن علي في باب غسل القدمين وحديث المقداد بن معديكرب وحديث الربيع وكذلك كل من وصف وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن بن أبي ليلى أجمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على غسل القدمين قال أبو اسحق وقد لقي عبد الرحمن مائة وعشرين صحابيا وقال أبو اسحق أيضا قال عطاء بن أبي رباح وقد لقيت عشرة من الصحابة ولم أر أحدا منهم يمسح على القدمين قال أبو اسحق هذا مذهب الشافعي وبه قال من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وحذيفة وأنس بن مالك وأبو هريرة وتميم الداري وسلمة بن الاكوع وعائشة رضي الله عنهم ثم قال وهو مذهب الشعبي والحكم والحسن وابن سيرين والزهري وعكرمة ومحمد بن علي بن الحسين وجعفر ابن محمد وعطاء الخراساني وقول مالك والليث والاوزاعي والثوري وأبي حنيفة وأصحابه وأحمد وأبي اسحق وأبي ثور وابن عيينة والحسن بن صالح وداود بن علي وأبو اسحق هذا هو الفيروزابادي صاحب التنبيه في الفقه وأما ابن أبي شيبة فقد ذكر في مصنفه بأسانيد صحيحة عن الشعبي وعكرمة والحسن ان مذهبهم المسح وما أدري من أين لابي اسحق هذا النقل عنهم ورواية الجمهور والمشاهير تصلح أن تكون تفسير الكتاب الله تعالى وانما القفال نقل في تفسيره عن ابن عباس وأنس وعكرمة والشعبي وأبي جعفر محمد بن علي الباقر أن الواجب فيهما المسح وهذا مذهب الامامية وهو باطل لان قراءة الجر عارضناها بقراءة النصب والاخبار الكثيرة وردت بالغسل والغسل يشمل المسح ولا ينعكس فالغاسل ماسح وزيادة وليس الماسح غاسلا فالغسل أقرب الى الاحتياط وأيضا فرض الغسل محدود كما في اليدين الى المرفقين وغسل الرجلين محدود الى الكعبين والمسح غير محدود كما في الرأس فالرجلان مغسولتان (فان قلت) الكعب عبارة عن العظم الذي تحت مفصل القدم وقال الاصمعي ومحمد بن الحسن الكعب عبارة عن عظم مستدير مثل عظم البقر والغنم موضوع تحت عظم الساق والقدم وعلى هذا يجوز مسح ظاهر القدم الى هذا الموضع (قلت) قال

*ومن كلامه الصنعة عند الكفور اضاعة للنعمة المتعبد بغير معرفة كحمار الطاحون يمشي ولا يبرح ولا يعرف ما هو فاعل في تدبيره (وأفلاطون أورد على ارسطاليس ما نقل عنك) هو أفلاطون بن ارسطس الالهي آخر المتقدمين الاوائل معروف بالتوحيد والحكمة ولد في زمان أردشير الاول وتتلمذ لسقراط ولما اعتل سقراط ومات مسموما قام مقامه وجلس على كرسيه وقد أخذ العلم عن سقراط وطيمارس وكان قد رحل الى مصر فأخذ أيضا عن أصحاب فيثاغورس وغيره وضم الى علومه الالهية العلوم الطبيعية والرياضية وهو أحد المشائين المشهورين ومعنى المشائين انه كان من رأيه الرياضة للبدن بالسعي المعتدل لتحليل الفضول ومدارسة الحكمة في تلك الحالة ويقال انه أمر الملوك باتخاذ بيوت الحكمة لتعليم أولادهم فكانوا يتخذون البيوت المذهبة المزخرفة ويصورون فيها أصناف الصور المستحسنة التي ترتاح اليها النفوس ثم يتعلم فيها الصبي فاذا حفظ علما أو حكمة صعد يوم عيد على درج في مجلس بديع الصنعة وقد اجتمع كبار أهل المملكة فيتكلم

صاحب الصحاح الكعب العظم الناشز عند ملتقى الساق والقدم وأنكر الاصمعي قول الناس انه في ظهر القدم وأيضا فلو كان الكعب على ماذكره الامامية لكان الحاصل في كل رجل كعب واحد فكان ينبغي أن يقال وأرجلكم الى الكعاب كما أنه لما كان الحاصل في كل يد مرفق واحد لاجرم قال وأيديكم الى المرافق وأيضا فالذي قاله الامامية والاصمعي عظم خفي لا يعرفه الا من نظر في علم التشريح والعظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم معلومان لكل أحد ومناط التكليف العام يكون أمرا ظاهرا لا خفيا وأيضا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الصقوا الكعاب ولا يكون الالصاق الا فيما ذهب اليه الجمهور وهما العظمان الناشزان ومنه قيل للمرأة كاعب وهي التي نهد ثديها وقولهم في النصب انه عطف على الموضع فما به الضرورة ولا ضرورة في القرآن فان القرآن على أكمل الوجوه ويكفي هذا القدر في هذه المسئلة وذكرت بالعطف على الموضع قول شهاب الدين بن محاسن الشواء

هاتيك ياصاح ربا العلع * ناشدتك الله فعرج معي
وانزل بنا بين بيوت النقا * فقد غدت آهلة المربع
حتى نفيل اليوم وقفا على الساكن أو عطفا على الموضع

(وجمع) السمر مجرور لانه عطف على البيض (اللدان) صفة السمر لانه تبعه في جمعه وتعريفه وتأنيثه وجره (به) جار ومجرور والضمير يعود الى الحمى والباء هنا ظرفية بمعنى في والتقدير يحمون سود الغدائر حمر الحلى والحال بالبيض والسمر اللدان في الحمى أو يحمون في الحمى سود الغدائر (سود) جمع أسود وهو منصوب على انه مفعول به ليحمون (الغدائر) مجرور بالاضافة الى سود وسود هنا ليس مفعولا في الحقيقة بل هو صفة للمفعول وهو من باب حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه تقديره يحمون الرماة بالبيض والسمر التي بالحمى أبكارا سود الغدائر أوملاحا أونساء كيف أردت وهذا كثير في الكلام قال الله تعالى فان لم يصبها وابل فطل أي مطر وابل والاضافة هنا لفظية (حمر) صفة لسود بل صفة ثانية للمحذوف المقدر وهو المفعول حقيقة على ماتقرر و(الحلى) مضاف اليه وان أردت جعلته بدل الكل من الكل أعني حمر الحلى بدل كل من سود الغدائر (والحال) معطوف على الحلى (المعنى) هؤلاء الرماة الذين هم من بني ثعل يحمون بالبيض التي هي السيوف والسمر اللينة أي الرماح في الحمى أبكارا سود الضفائر حمر الحلى والبرود يعني ان حليهن من الذهب الاحمر ولباسهن من الحرير الاحمر قال أبو الطيب

من الجآذر في زي الاعاريب * حمر الحلى والمطايا والجلابيب

وقال أيضا

بكل فلاة تنكر الانس أرضها * ظعائن حمر الحلى حمر الايانق

ومن قول الطغرائي أخذ ابن الساعاتي قوله

من الظباء اللواتي لا ذمام لها * من أين يعرفن رعي العهد والذمم
بيض التراقب سمر الخط يحجبها * سود الذوائب حمر الحلى والنعم

ولا شك ان اللباس الاحمر يزيد الحسن رونقا ويفيده روحة وبهاء آخر * قال أبو حنيفة وهب بن عبد الله السوائي مارأيت ذا لمة سوداء في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالحكمة التي حفظها على رؤس الاشهاد وعليه التاج ويسمى حكيما كل ذلك ترغيب للصبي في الاشتغال لما يحصل له من الشرف والسرور وفي يوم من هذه الايام ظهر أمر ارسطاطاليس كما سيأتي ذكره * ولافلاطون آراء ومذاهب أخذها عنه أرسطاطاليس وخالفه في بعضها مثل حدوث العالم وغيره وكان يصور ولافلاطون الصورة ويؤتى بها اليه فيقول من خلق هذه الصورة كذا ومن خالها كذا فصورت صورته وسئل عنها فقال من خلق صاحب هذه الصورة كذا وكذا وهو محب للزنا فقيل انها صورتك فقال نعم ولولا أني أحبس نفسي عن الزنا لفعلت * ومن كلامه ان الله تعالى يقدر ما يعطي من الحكمة يمنع من الرزق فقيل له ولم قال لان الحكمة حظ النفس الناطقة والمال حظ النفس الشهوانية والناطقة غالبة على الشهوانية فالمال والحكمة متغايران فلا يجتمعان * وقال لا ينبغي أن تفعل شيأ اذا عيرت به غضبت فانك اذا فعلت ذلك كنت أنت القاذف لنفسك * وقال عقول الناس مدونة في رؤس أقلامهم وظاهرة في اختياراتهم * وقيل له بماذا ينتصف

وأما قول الشاعر

همان عليها حمرة في بياضها * تروق به العينين والحسن احمر

فانه عنى به الحسن في حمرة اللون مع البياض دون غيره من الالوان وقال الحريري في درة الغواص أما قولهم الحسن أحمر فمعناه انه لا يكتسب ما فيه الجمال الا بتحمل مشقة يحمر منها الوجه كما قالوا للسنة الجدبة حمراء وكنوا عن الامر المستصعب بالموت الاحمر اه (قلت) ويحتمل أن يكون المراد بقولهم الموت الاحمر انه القتل الذي يرى فيه سفك الدم وقول الطغرائي من قول أبي الطيب

ديار اللواتي دارهن عزيزة * بسمر القنا يحمين لا بالتمائم

وقول أبي اسحق الغزي

وبورك في خيام قبيل سلمى * وفي تلك المضارب والحجال

فما أوتادهن سوى المواضي * ولا أطنابهن سوى العوالي

وقال الارجاني

وقفا صائدة الفؤاد بدلها * وخفا جناية عينها الحوراء

وتحدثا سرا فحول خبائها * سمر الرماح يمان للاصغاء

وقال ابن قلاقس الاسكندري

في سندس الكلة حورية * تسكن قلبي وهو النار

أحدقت السمر بها مثل ما * تحدق بالمقلة أشفار

وقد أخذه من قول أبي الطيب

مضى بعد ما التف الرماح حوله * كما يتلقى الهدب في الرقدة الهدبا

وقال السراج الوراق

من البيض تمشي البيض حول خبائها * شبيهة نومي ليس يأوي الى جفني

غزالة أنس والرماح كناسها * ومن حوله قوم يخالون كالجن

لهم غيرة قد ساءها بالطيف ظنها * فضنوا عليها بالكرى خيفة الظن

وقال أيضا

ومحجوبة أما الدجى فغدائر * عليها وأما الصبح فهو جبينها

عجبت لسري الطيف لي من كناسها * ومن حوله أسد الشرى وعرينها

وأنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ أثير الدين أبو حيان قال أنشدني لنفسه الشيخ تقي الدين السروجي

واوى لليلى العامرية منزلا * بالجود يعرف والندى أصحابه

فيه الامان لمن يخاف من الردى * والخير قد ظفرت به طلابه

قد أشرعت بيض الصوارم والقنا * من حوله فهو المنيع جنابه

وعلى حماه جلالة من أهله * فلذا الطارقة العيون تهابه

كم قلبت فيه الخدود على الثرى * شوقا اليه وقبلت أعتابه

قد أخصبت منه الاباطح والربا * للزائرين وفتحت أبوابه

الانسان من عدوه قال بأن يزداد فضلا في نفسه * وقال في معنى الملك هو كالبحر تستمد منه الانهار فان كانت الانهار عذبة فاصلها منه وان ضد ذلك فمنه * وقال ينبغي للذين يأخذون على أيدي الاحداث أن يدعوا لهم موضعا للعذر لئلا يضطروا الى الضجر بكثرة التوبيخ وقيل له فلان لا يعرف شيأ من الشر قال فاذا لا يعرف الخير يريد أن تكون الامور متميزة عند الانسان فانه بعد تمييزها يختار منها واذا لم يوضحها التمييز بطل اختياره ومتى بطل اختياره خيف عليه أن يقع في مهالكها وقال من القبيح أن تمتنع من الطعام الذي لذيذ لتصح أبداننا ولا تمتنع من القبائح لتصفو بذلك أنفسنا * فأما ارسطاطاليس فهو ابن بيقوماخس المعروف بالمعلم الاول وانما سمي بذلك لانه أول من وضع التعاليم المنطقية وأخرجها من القوة الى الفعل وحكمه حكم واضع النحو وواضع العروض وكان سبب محبة أفلاطون له والقاءه علومه اليه أن أباه كان قد أسلمه لافلاطون صغيرا ومات فاستمر ارسطاطاليس يتيما في خدمته وكان ذو قرنين الملك قد اتخذ لولده بطاقورس بيتا

وقال ابن سناء الملك

ألا فارفعي ذا الشعر عنا فاننا * نغار عليه من ملاعبة الخجل
عجبت له اذ يلثم الثغر معانقا * أما أذهل الخلخال خوف بني ذهل
يشك القنا يحمون شهد رضابها * ولا يبذلون الشهد من ابر النحل

قال شرف الدين بن جبارة بعد أن أورد على البيت الاول والثاني ما أورده من فساد المعنى ونقضه أراد أن يمدحهم فهجاهم بالمثل المضمن آخر بيته الذي جعله كفن ميته لانه جعل طعن رماحهم كابر النحل وابرة النحل لا أثر لها ولا ألم يحصل منها ولو أن كل عاشق انما يمنعه من معشوقه ويحجزه عنه لسع الزنابير ولدغها لسهل عليه صعبها وذل له منعها ولله در المجنون اذ يقول كما نقل عنه

وحقكم لازرتكم في دجنة * من الليل تخفيني كأني سارق
ولازرت الا والسيوف هواتف * الي وأطراف الرماح عواشق

ولابي عبد الله عثمان المعروف بابن الحداد الاندلسي

أني أراع لهم وبين جوانحي * شوق يهون خطبهم فيهون
أوهل يهاب ضرابهم وطعانهم * صب بألحاظ العيون طعين
وكأنما بيض الصفاح جداول * وكأنما سمر الرماح غصون

ثم ذكر أشياء غير ذلك وقال لولا وقوع هذا الشاعر في شعره وقلة معرفته وقصور فكره لما قال يشك القنا يحمون شهد رضابها * وكيف يحمي الشهد بالشوك ولو اتفق له أن يقول حمى رضابها لكان أسوغ وأبلغ ثم قال في أول البيت شهد وفي آخره شهد وانما الاحسن أن يأتي بالمثل بالمعنى لا باللفظ لانه اذا كرر بلفظه فكأنه هو وانما القصد أن يكشف المعنى بلفظ موجز وقول مجموع معجز واذا تؤمل أكثر الشعر المضمن للامثال وجد على هذا المثال وهذه العلوم تدق عن فهمه ويخفى غرضها عن مرمى سهمه اه (قلت) اما كونه يدعي انه لا ألم في ابر النحل ولا ضرر في الزنابير فهذا مما لا يسمع وهو تحامل أليس ان في ابر النحل والزنابير سما يمنع القرب منه والدنو اليه وغالب الناس يهاب ذلك ولا يقدم عليه * ومن مسائل النحاة كنت أظن القرب أشد لسعا من الزنبور فاذا هو هي أو فاذا هو اياها الاول مذهب سيبويه والثاني مذهب الكسائي وليس بشيء لان مذهب الكسائي خرجت فاذا زيد واقف وهذه المسئلة تعرف بالزنبورية وقد ذكرها الشيخ بهاء الدين بن النحاس في التعليقة على المقرب والشيخ علم الدين السخاوي ذكرها مستوفاة في سفر السعادة ولعل بعض الناس لسعه زنبور فتورم منه ومات وبالجملة ففي ابر النحل سم تعاف النفوس من الاقدام عليه وهو ما اراد أن طعن قومها مثل لسع ابر النحل كما قال المعري

وأضعف الرعب أيديهم فطعنهم * بالسمهرية دون الوخز بالابر

لانه ما أتى بمثل ولا بكاف التشبيه بل نبه بالمثل الذي ذكره على أن حلاوة ريقها لا تنال الا بعد مشقة وعناء وأهوال كما أن الشهد من دونه ابر النحل وكل لذيذ محفوف بألم فالجنة حفت بالمكاره وهذا غير وارد عليه واما انكاره شوك القنا فهو استعارة حسنة والتشبيه مطابق لان الاسنة أشكال مستدقة لسنة حادة كما هو الشوك وأتى بها ليطابق الكلام المثل في قوله

للحكمة وأمر افلاطون بتعليمه وكان غلاما متخلفا قليل الفهم وارسطاطاليس غلاما ذكيا حادا وكان افلاطون يعلم بطاقورس الآداب والحكمة وارسطاطاليس يعي ذلك ويرسخ في صدره حتى اذا كان يوم العيد زين بيت الذهب الذي هو بيت الحكمة وألبس بطاقورس التاج وحضر الملك وأهل المملكة على العادة وصعد افلاطون وولد الملك الى مجلس الحكمة والشرف على رؤس الاشهاد فلم يورد الغلام شيأ ولا نطق بحرف فأسقط في يد افلاطون واعتذر بأنه لم يقصر في الالقاء عليه ثم قال يا معشر التلامذة من فيكم من ينوب عن بطاقورس فثار ارسطاليس وصعد الى مجلس الشرف وأخذ يسرد جميع ما ألقاه افلاطون الى ابن الملك لم يغادر منه حرفا فقال افلاطون أيها الملك هذه الحكمة التي القيتها على ولدك قد حفظتها هذا اليتيم فالحتيالي في الرزق والحرمان ثم انصرف الجمع وقد اغتبط افلاطون بارسطاليس واعتنى به بعد ذلك ومكث عنده نيفا وعشرين سنة وكان كثير التعظيم له بحيث انه كان اذا جلس فاستدعى منه الكلام يقول اصبر حتى يحضر الناس

ولا بد دون الشهد من ابر النحل * فقوله شوك ينـاسب ابر النحل وقد شبه الشعراء القنا بالشوك قال الارجانى

ورد الخدود دونه شوك القنا * فمن الحدث نفسه أن يجتنى

وقال ابن خفاجة

والخيل تعثر فى شباشوك القنا * وتظل تسبح فى الدم المتوار

وما أعجبنى شئ مما أورده عليه غير انكاره تكرار الشهد وكان الاحسن لو قال بشوك القنا يجنون رشف رضابها * حتى اذا جاء المثل فسر ما تقدم واخراج الكلام مبهما ثم مفسرا أوقع فى النفوس وأبلغ الا ترى ما أحلى قول مجير الدين محمد بن تميم فى مليح يشرب من بركة

أفدى الذى أهوى بفيه شاربا * من بركة رقت وراقت مشربا

أبدت لعينى وجهه وخياله * فارتنى القمرين فى وقت معا

فلو قال أبدت لعينى قمر وجهه وقمر خياله لما كان له هذه الديباجة فاعرف ذلك * وبيت الطغرائى فيه من البديع التدبيج وهو تفعيل من الدبج وهو النقش والتزيين وأصل الديباج فارسى معرب فالتدبيج فى البديع ان يذكر الشاعر فى مدح أو ذم أو وصف ألفاظا تدل على الوان مختلفة كقول ابن حيوس

ان ترد علم حالهم عن يقين * فالقهم يوم نائل أو نزال

تلق بيض الوجوه سودا مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

وأخذه ابن النبيه فقصر عنه فى قوله

له بنان طافح بالندى * فهن اما دم أو بحار

بيض الايادى خضر روض الرضا * حمر المواضى فى الهجاج المثار

والطغرائى ذكر فى بيته البيض والسمر والسود والحمر وما أحسن قول القائل

الغصن فوق الماء تحت شقائق * مثل الاسنة خضبت بدماء

كالصعدة السمراء تحت الراية الـ * ـحمراء فوق اللامة الخضراء

(وقلت أنا)

ما أبصرت عيناك أحسن منظرا * فيما يرى من سائر الاشياء

كالشامة الخضراء فوق الوجنة الـ * ـحمراء تحت المقلة السوداء

وقال ابن النبيه

وفى الكلة الحمراء بيضاء طفلة * يزرق عيون السمر يحمى احورارها

اثارلها نقع الجياد سرادقا * به دون ستر الخدر عنا استتارها

وقال عماد الدين بن دبوقا من ابيات

أرى العسقدى ثغره محكما * يرينا الصحاح من الجوهر

وتكملة الحسن ايضاحها * رويناه عن وجهك الازهر

ومنشور دمعى غدا أحمرا * على آس عارضك الاخضر

وبعت رشادى بغى الهوى * لاجلك يا طلعة المشترى

ولبعض الكتاب وأورد ناظر الجديد الاخضر ماء الورد الاحمر من عدو الدين الازرق من

وربما قال اصبر حتى يحضر العقل فاذا حضر ارسطاليس قال تكلموا ثم مات افلاطون وقد أخذ عنه ارسطاليس جميع علومه وخالفه فى مسائل استدركها عليه وكان يقول انا نحب افلاطون ونحب الحق فاذا افترقنا فالحق أولى بالمحبة ثم وضع علم المنطق ورتب أصوله وقال انما فضل الناس على البهائم بالمنطق فالحقهم بالانسانية أبلغهم منطقا وأوصلهم الى عبارات من ذات نفسه بالايجاز وله فى ذلك مسائل ومصنفات معروفة وكذلك فى جميع علومه الحكمية والفلسفية وكان قد تسلم الاسكندر بن فيليبش من أبيه فعلمه وهذبه وولى الاسكندر المملكة فكان لا يبرم أمرا وينقضه الا باشارته وكان بمنزلة الوزير والمشير الى أن توفى الاسكندر وعاش بعده قليلا ومات فوضعت جثته فى اناء من نحاس وقيل فى خشبة كالتابوت وعلقت فى جزيرة صقلية وكان أهل البلد يجتمعون اليها عند المشاورة والمدارسة فى فنون الحكمة ويقولون ان مجيئهم الى ذلك الموضع يذكى عقولهم ويصحح فكرهم وربما استسقوا به فى الجدب * ومن كلامه مما كتب به للاسكندر وهو فى

بنى الاصفر * وقال القاضى الفاضل من رسالة يصف فيها كتابا ورد عليه وقبضته وكم لفحنى منه شرارة بعد شرارة وفضضته فاذا جبال النور منه مستعارة كأن شراره الجمالات الصفر أو القصور الحمر أو النصال الزرق أو الليالى السود أو البروق البيض * والعلم المشهور فى هذا قول الحريرى فى المقامة الثالثة عشرة فاذا غير العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومى الابيض وابيض فودى الاسود حتى رثى لى العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر * وأخبرنى الامام شهاب الدين أبو الثناء محمود أن القاضى الفاضل شرع فى انشاء مقامات فكان يعارض كل فصل من كل مقامة للحريرى بفصل من كلامه فلما انتهى الى هذا الفصل قال من أين يأتى المتكلم بمثل هذا وأبطل ما عمله من المقامات * والحديث المليح عند علماء الحديث هو الذى يروى فيه الاقران بعضهم عن بعض وهم المتقاربون فى السن والاسناد وربما كتفى الحاكم أبو عبد الله فيه بالتقارب فى الاسناد ان لم يوجد التقارب فى السن وأعلاه ما روى فيه الصحابى عن الصحابى مثل عائشة وأبى هريرة وبعده التابعى عن التابعى مثل مالك عن الاوزاعى وعكسه وبعده تابع التابعين عن تابع التابعين مثل أحمد بن حنبل عن على بن المدائنى وعكسه وبعده رواية الاشياخ عن الاشياخ وقد جمع الحافظ عبد الغنى والحافظ ابن عساكر والحافظ جمال الدين الرهاوى وغيرهم أجزاء فى الرباعى أى الحديث الذى اجتمع فيه أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

* (فسر بنا فى ذمام الليل معتسفا * فنفحة الطيب تهدينا الى الحال) *

(اللغة) الذمام الحرمة والاعتساف افتعال من العسف وهو الاخذ بغير دليل فالذى يعتسف فى السير يمشى على غير طريق (نفحة الطيب) رائحته يقال نفح الطيب ينفح اذا فاح نشره (تهدينا) ترشدنا الى مقصدنا (الحال) بكسر الحاء جمع حلة وهى بيوت القوم (الاعراب) فسر الفاء للتعقيب أى عقب كلامه بقوله فسر وسر فعل أمر من السير مجزوم لكونه أمرا وذكرت هنا بيتين من أبيات المعانى وهما

سألت ونحن فى البيداء عمرا * على عجل ونحن نسير سيرا
فجاد به ولم يبخل علينا * فقلت له جزاك الله خيرا

ولا يظهر فى بادئ الرأى أنه جادله بشئ لان الذهن يتبادر الى أن سيرا مفعول مطلق مثل ضربت ضربا وانما هو مفعول به لسألت وتقدير الكلام سألت ونحن فى البيداء عمرا سير الجاد بالسير (رجع) الامر ينقسم الى قسمين لغوى وهو طلب ايجاد الفاعل الفعل فى الخارج على سبيل الاستعلاء وقيل اقتضاء فعل غير كف على جهة الاستعلاء والمراد بالاقتضاء ما يقوم بالنفس من الطلب لانه الامر فى الحقيقة وتسمية الصيغة به مجاز وقيل غير كف ليقع الاحتراز من النهى وعلى جهة الاستعلاء ليقع الاحتراز من الدعاء وأورد على طرده كف لانه اقتضاء فعل هو كف فلا يكون هذا أمرا لكنه أمر فلا يكون مطردا وعلى عكسه لا تكف لانه اقتضاء فعل غير كف فيكون أمرا لكنه ليس بأمر فلا يكون منعكسا * وصنا عى وهو ما حصل به ذلك أى طلب ايجاد الفعل والذى حصل به ذلك هو الصيغة التى يطلب بها الفعل من الفاعل وفعل الامر مبنى على السكون لانه الاصل فى البناء وصيغته مأخوذة من المضارع فاذا أردت أن تصوغ فعل أمر حذفت حرف المضارعة ونظرت الى ما يليه فان كان متحركا صغت مثال الامر

غاية البلاغة أيها الملك لا تخدع للهوى وان خيل اليك أن فى الخداع حيلة فقد يسترسل الانسان وهو يظن انه متحفظ واجمع فى سياستك بين بدار لاحدة فيه وريث لا غفلة معه وامزج كل شكل بشكله حتى تزداد قوة وكن عبد الحق فعبد الحق حر وليكن وكدك الاحسان الى الخلق ومن الاحسان وضع الاساءة فى موضعها وكن نصيح نفسك فليس لك أرأف بك منك واذا أشكل عليك أمر فاضرع الى الله تعالى يبلغك هذه الغاية فانه يفتح لك المرتج واذا فاتك شئ فاعلم ان ذلك له وعرض لك فى الشكر على ما أفادك ومهما اخطأك شئ فلا يخطئك الفكر فى الرحيل عن هذه الدار * ومنه ان لكل شئ صناعة وصناعة العقل حسن الاختيار * ورأى انسانا سمين البدن فقال ما أشد عناية ملك برفع سور جسمك وقال سلوا القلوب عن المودات فانها لا تقبل الرشا * وقال مقدم الرأس للفكر ومؤخره للذكر والدليل على ذلك ان المتفكر يطأطئ برأسه والمتذكر يرفع رأسه وقال من علم ان الفناء مستول على كونه هانت عليه المصائب وأكثر الامثال فى شعر المتنبى من

على صيغته وحركته فتقول من لامن يشعر شعر ومن يدحرج دحرج ومن يثب ثب ومن يصل صل وان كان الذى يلى حرف المضارعة ساكنا اجتلبت له همزة وصل ليتوصل الى النطق باول الفعل ساكنا فتقول من مثل يضرب اضرب ومن مثل ينطلق انطلق ومن مثل يستخرج استخرج لان الابتداء بالساكن فى النطق مستحيل وما أحسن قول السراج الوراق

ياساكنا قلبى ذكرتك قبله * أرأيت قبلى من بدا بالساكن
وجعلته وقفا عليك وقد غدا * متحركا بخلاف قلب الالمعن
وبذا جرى الاعراب فى نحو الهوى * فاليك معذرتى فلست بلاحن

وسواء كان الفعل ثلاثيا أو خماسيا أو سداسيا وشذ من هذه القاعدة فعلان فلا تدخل عليهما همزة وهما خذ وكل وجوز فى فعلين الحاق الهمزة وحذفها وهما مر وسل وقد نطق القرآن الكريم بهما فقال تعالى سل بنى اسرائيل وقال تعالى واسئل القرية وتقول مره بكذا وأمره بكذا فاما حركة الهمزة المجتلبة فان كان الماضى رباعيا فانها مفتوحة فى الامر تقول من أكرم أكرم واذا كان ثالث المضارع مضموما فانها مضمومة فى الامر تقول فى الامر من يقتل اقتل وما عدا ذلك فانها مكسورة (رجع) سر كان أصله سير لان مضارعه يسير فاجتمع فيه ساكنان وأحدهما حرف علة فحذف والفاعل فيه ضمير مستتر تقديره أنت (بنا) جار ومجرور ولم يظهر الجار لان الضمائر كلها مبنية والباء للتعدية (فى ذمام الليل) فى حرف جر وذمام مجرور بها والليل مضاف اليه وهى اضافة مقدرة باللام وموضع الجار والمجرور النصب على الظرف (معتسفا) اسم فاعل من اعتسف وهو منصوب على الحال والحال صاحبها هو الضمير المستتر المقدر فى سر وهو أنت والعامل فيها سر والمراد بها هنا متعينين (فان قلت) لاى شئ لم يقل معتسفين لانهم جماعة أو معتسفين لانهما اثنان قد شملهما السير (قلت) كانه قال لصاحبه تقدم أنت وسر بنا اماما واعتسف الارض ودعنى مشغولا بما أنا فيه من الفكر وحديث النفس ولا تخف فنفحة الطيب التى تتضوع من أهل الحى تهديك وتدلك على الطريق اليهم (فنفحة الطيب) الفاء هنا سببية ونفحة مرفوع على الابتداء والطيب مجرور بالاضافة وهى مقدرة باللام أو عن (تهدينا) فعل مضارع من هدى يهدى فهو ثلاثى مفتوح الاول وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء لانه معتل مثل يرمى والنون والالف ضمير فى محل نصب بتهدى والفاعل يرجع الى النفحة (الى الحال) جار ومجرور فى موضع نصب لتعلقه بتهدينا * والى تاتى فى العربية لمعان فتأتى لانتهاء الغاية لانها تقابل من فى الابتداء تقول جئت اليك من البلد الفلانى أى انتهى مجيئى اليك قال الله تعالى انظروا الى ثمره اذا أثمر أى الثمر غاية النظر وتاتى بمعنى مع وهو قليل قال بعضهم فى قوله تعالى ولا تاكلوا أموالهم الى أموالكم يعنى مع أموالكم وليس بشئ لانها لو كانت بمعنى مع لامكن أن تقدر بمعنى مع فى كل مواطنها كما يقدر ابتداء الغاية فى من فى كل مواردها ولا يمكن ذلك فى الى فلا تقول فى سرت اليك ان الى بمعنى مع وأما الآية الكريمة فانما كان الاكل بمعنى الجمع والضم وليس بمعنى البلع والمضغ عداه بالى أى لا تضموا أموالهم الى أموالكم لان الضم سبب فى الاكل فاقام المسبب مقام السبب كقوله تعالى ولا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل وقوله تعالى من أنصارى الى الله قيل المعنى مع الله وليس كذلك بل من أنصارى الى أن يتم أمر الله وتاتى بمعنى فى كقول النابغة

قوله وقد أفرد الهاشمى رسالة فى ذلك (وحكى) عبد الله بن طاهر ان المأمون قال رأيت فى المنام رجلا قد جلس مجلس الحكماء فقلت له من أنت فقال ارسطاليس الحكيم فقلت أيها الحكيم ما أحسن الكلام قال ما يستقيم فى الرأى قلت ثم ماذا قال ما يستحسنه سامعه قلت ثم ماذا قال ما لا يخشى عاقبته قلت ثم ماذا قال ما عدا هذا هو ونهيق الحمار سواء قال المأمون ولو كان حيا ما زاد على هذا الكلام شيأ آخر اذ به جمع ومنع وقال قوم ان هذا الكلام وجد فى كتبه (وبطلميوس سوى الاصطرلاب بتدبيرك وصور الكرة على تقديرك) هو بطلميوس صاحب كتاب المجسطى الكبير والجغرافيا والاصطرلاب وكتاب اللحون الثمانية وغير ذلك وهو أول من شرح القول على هيأت الفلك وأخرج علم الهندسة من القوة الى الفعل وأكثر الرواة يقولون انه ثالث ملوك اليونان بعد الاسكندر وبطلميوس لقب ملوكهم وكان رجلا حكيما وسبب ملكه أنه لما مات بطلميوس الصانع ملك اليونان لم يكن فى بيت هذا الملك من أهله من يصلح للملك فذكر لليونان رجل يصلح فقال بطلميوس

فلا تتركني بالوعيد كأنني * الى الناس مطلي به القار أجرب

واختلف فيما بعدها فقيل ان كان ما بعدها داخلا في مسمى ما قبلها دخل والا فلا فعلى هذا يدخل المرفق في الغسل لان المرفق داخل في مسمى اليد لان اليد من رأس الانامل الى الابط وهذا ينتقض بقولك غسلت البارحة الى نصفها ولا يجوز أن يقال انه نام البارحة كلها وقال الجمهور بغسل المرفقين مع اليدين وقال مالك وزفر لا يجب غسل المرفقين وهذا الخلاف أيضا في الكعبين حجة زفر أن الى لانتهاء الغاية والمنتهى غير النهاية فلا يتعين غسل النهاية والجواب من وجهين الاول مذهب الزجاج سلمنا ان المرفق لا يجب غسله لكن المرفق اسم لما جاوز طرف العظم فانه هو المكان الذي يرتفق به أي يتكأ عليه ولا نزاع في أن ما وراء طرف العظم لا يجب غسله الثاني أن حد الشيء قد يكون منفصلا عن المحدود كقوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل فان النهار منفصل عن الليل في الحس وقد لا يكون منفصلا كقولك بعتك هذا الثوب من هنا الى هنا فهذا الحد غير منفصل ولا شك أن امتياز المرفق عن الساعد ليس منفصلا معتبرا واذا كان كذلك فليس ايجاب الغسل الى جزء أولى من ايجابه الى جزء آخر فوجب القول بغسل كل المرفق وقال بعضهم النهاية غير المتناهي وغسل المرفق لم يفهم من الآية الكريمة انما فهم من فعله صلى الله عليه وسلم فعلى هذا لو قلت بعتك من هذه الشجرة الى هذه الشجرة لم تدخل الغاية ههنا واذا قلت بعتك هذا البستان من هذا الحائط الى هذا الحائط دخل الحائطان في المبيع والفرق بينهما أن الغاية في الاولى من جنس ما دخلت فيه فهي خارجة عنه وكذلك المرفق من جنس اليد فهو خارج عن الغسل وفي الثانية ان الغاية خارجة عن المغيا لان الحائط ليس من جنس البستان فلهذا دخل الحائطان في المبيع ألا ترى أن قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل لما كان الليل من غير جنس النهار اعتبر دخول أول الليل قال صلى الله عليه وسلم اذا أدبر النهار من ههنا وأقبل الليل من ههنا فقد أفطر الصائم فاعتبر دخول الليل لانه خارج عن النهار (المعنى) فسرنا في ذمة الليل فانه يستر ناواعتسف السير ولا تخش الضلال عن طريق الحي فان له نفحة طيب من أهله ترشدك الى المحلة التي هم بها نزول وهذا معنى لطيف وتركيب رقيق وقد جرت عادة الشعراء أن يذكروا أن مواطن الحبيب وأماكنه وما جاورها تتضوع بانواع الطيب وتتأرج النسمات بنفحاته العطرة قال محمد بن عبد الله النميري في زينب أخت الحجاج بن يوسف الثقفي من قصيدة

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت * به زينب في نسوة خفرات
له أرج من مجمر الهند ساطع * تطلع رياه من الحجرات

ومنها

يخمرن أطراف البنان من التقى * ويطلعن شطر الليل معتجرات
ويروى ويقتلن بالالحاظ مقتدرات * ومنها
ولما رأت ركب النميري أعرضت * وكن من اللقيا له حذرات

ولما بلغ الحجاج أن النميري تغزل باخته تهدده وقال لولا أن يقول قائل قطعت لسانه فهرب الى اليمن ثم انه استجار بعبد الملك بن مروان فأجاره وكتب له الى الحجاج فامنه واستنشده الابيات فانشدها حتى بلغ قوله ولما رأت ركب النميري فقال له وما كان ركبك قال أربعة

أحمرة

انه لا يصلح للملك قالوا ولم قال لانه كثير الخصومة وليس يخلو في خصومته أن يكون ظالما أو مظلوما فان كان ظالما لم يصلح للملك لظلمه وان كان مظلوما لم يصلح للملك لعجزه وضعفه قالوا صدقت فانت أولى بالملك فملكوه عليهم وقال بعض محققي التاريخ ليس بطلميوس الحكيم من ملوك اليونان بل هو رجل حكيم كان في زمن انطيوس أحد ملوك الروم بعد اليونان بملوك كثيرة والدليل على انه ليس من ملوك اليونان انه ذكر في كتاب المجسطي انه رصد الشمس بالاسكندرية سنة ثمانمائة وثمانين ليختنصر وكان من بختنصر الى قتل دارا أربعمائة وتسع وعشرون سنة ومن قتل دارا الى زوال ملك اليونان على يد أوغسطس مائتا سنة وثمانون سنة ومن غلبة أوغسطس الى أن ملك انطيوس مائة وسبعون سنة فيكون ذلك موافقا لما حكاه بطلميوس في كتابه * وأما الاصطرلاب فيزعمون أنه باللغة اليونانية ميزان الشمس وبه يعرف مقدار الساعات وأخذ الارصاد ومطالع الكواكب وغير ذلك وبه مثلت هيئة الفلك وكذلك الكرة والاصطرلاب كرة مطبوعة مثال كرة من شمع

أحمرة لى كنت أجلب عليها القطران وثلاثة أحمرة لصاحبي تحمل البعر فضحك عند ذلك وخلى سبيله وشبه هذا ما حكى عن الشريف المرتضى انه كان جالسا فى عليسة له تشرف على الطريق فرفع تحته ابن المطرزى الشاعر يجر نعلاله بالية وهى تثير الغبار فأمر باحضاره فلما حضر قال له أنشدنى أبياتك التى تقول فيها

اذا لم تبلغنى اليكم ركائبى * فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فانشده اياها فلما انتهى الى هذا البيت أشار الشريف الى نعله البالية وقال له أهذه كانت من ركائبك فاطرق المطرزى ساعة ثم قال له لما عادت هبات سيدنا الشريف أيده الله الى مثل قوله

وخذ النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبى الى مثل ماترى لانك خلعت مالا تملكه على من لا يقبل فاستحى الشريف منه وكان الشيخ صدر الدين بن الوكيل يقول والله ان قول المطرزى عندى أحسن من قول الشريف (رجع) وذكرت يقول الظغرائى قول أبى العلاء المعرى

الموقدون بنجد نار بادية * لا يحضرون وفقد العز فى الحضر

اذا همى القطر شبتها عبيدهم * تحت الغمائم للسارين بالقطر

القطر هو العود ومعناه ان هؤلاء الممدوحين يوقدون النار فى الليل ليهتدى الضيف بها اليهم فاذا كان الغمام ونزل القطر واطفأ النار أمروا عبيدهم أن يوقدوها بالطيب ليشم السارى الرائحة فيهتدى اليهم وهذا معنى غريب مليح وعليه اعتمد ابن عباد فى قوله على انه ما فارق المعنى ولا خالف المعنى وهو

المكثرين من الكباء لنارهم * لا يوقدون بغيره للسارى

ومن قول الظغرائى قول التهامى

يتركن حيث حللن زهر لطيمة * مما يثرن به العبير وطاحا

يهدى ثراه الى البلاد وربما * حيث برياه الرياح رياحا

وقول الارجانى

بلغانى منازل الحى أسأ * لها منى فارقت رباها الغيدا

واستدلا على الحمى نشر مسك * من مجر الحسان فيه برودا

والاصل فى هذا كله قول أبى الطيب

ويفوح من طيب الثناء روائح * لهمو بكل مكانة تستنشق

وقول الآخر

ولو ان ركبا يممونك لقادهم * نسيمك حتى يستدل به الركب

وقول ابن النبيه

راح تطير النار من دنها * كأنما بازلها قادح

أنكرها الخمار لما بها * حتى هدانا نشرها الفائح

وقوله

ان جاء من يبغى لهم منزلا * فقل له يمشى ويستنشق

ضمت عليها اليدان فصارت دائرة وزعم بطلميوس ان الافلاك تسعة فأولها أقربها الى الارض وهو أصغرها وهو فلك القمر ثم الذى يليه فلك عطارد ثم الزهرة ثم الشمس ثم المريخ ثم المشترى ثم زحل والثامن فلك البروج وفيه سائر الكواكب الثابتة التاسع الفلك الاعظم الحاكم على جميع الافلاك ويسمى الاثير لانه يؤثر فى غيره وغيره لا يؤثر فيه ويقال القمرى لانه يدير الافلاك دورة قمرية فى كل يوم وليلة وهيأت البروج مثال البطيحة المخططة أعلاها وأسفلها كالنقطتين وكل بيت بين خطين بمنزله البرج ثم ان الفلك المحيط يدير الافلاك الثمانية من المشرق الى المغرب كل يوم دورة واحدة والافلاك الثمانية تدور من المغرب الى المشرق وشبهوا ذلك بسفينة تجرى مع الماء وفيها رجل يمشى مصعدا (وحكى) أبو حيان التوحيدى قال كان ابن بكير يقول دون فلك القمر فلكان هما سبب المد والجزر ويقطعان الفلك كل يوم وليلة مرتين وهذا من آرائه التى تفرد بها ولم أجد أحدا يوافقه عليها والصناعة برهانية ولا أعرف أى برهان قام له على هذه الدعوى ومن كلام بطلميوس ما أحسن

وقول مسلم بن الوليد

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه * فطيب تراب القبر دل على القبر

وقول ابن الرومي

أعقبته من طيب ذكرك نفحة * كادت تكون ثناءك المسموعا

وقال آخر

وليس نسيم المسك ما تجدونه * ولكنه ذاك الثناء المخلق

وقال آخر

لو كان يوجد ريح مسك فائحا * لوجدته منهم على أميال

ان قلت هذا المعنى مختل لان ريح المسك يوجد فائحا فكان ينبغي أن يوجد منهم على أميال لان الشرط اذا صدق صدق المشروط (قلت) فيه تقديم وتاخير تقديره لو كان يوجد ريح مسك على أميال لوجدته منهم ولكن لم يوجد ريح مسك على أميال فلا يوجد منهم ورواه بعضهم لو كان يوجد ريح مجدو على هذه الرواية فلا حاجة الى الايراد والجواب * وقرأت على الشيخ القاضي شهاب الدين أبي الثناء محمود قوله من أبيات

اذا هبطوا أرضا وأومض بارق * تروض من سح الدموع ثراها
يقتدونه نار الفريق على الحمى * تبدت لهم وهنا ولاح سناها
ويعتسفون البيد يرشدهم بها * الى الدار ان ضلوا الطريق شذاها
وتهديهم أنوارها الاكوا كب السماء اذا حاروا ولاقراها
اذا عاينوا أعلامها وصعوا لها * خدودا على وجه الثرى وجباها

وقرأت عليه أيضا قوله

غنى بذكر الحمى فارتاح كل شجى * وخاض بالدمع حادي الركب في لجج
واسترخص السير اذ أدنى تواصله * من الاحبة بالغالي من المهج
ولذ قطع الدجى اذ كان يسفر عن * صباح يوم بنور الوصل منبلج
واسترشد الركب اذ حار الدليل بهم * بما تلقوه دون الحمى من أوج

وأنشدني أيضا اجازة قال أنشدني الشيخ الامام الفاضل شهاب الدين محمد بن عبد المنعم المعروف بابن الخيمي لنفسه وكذلك أنشدني الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمري قال أنشدني لنفسه شهاب الدين محمد بن عبد المنعم المذكور اجازة ان لم يكن سماعا وفي غالب الظن انه سماع قصيدته البائية التي أولها

يا مطلبا ليس لي في غيره أرب * اليك آل التقصي وانتهى الطلب

ومنها

بالله ان جزت كثبانا بذي سلم * قف بي عليها وقل لي هذه الكثب
ليقضي الخد من جرعائها وطرا * من تربها ويؤدي بعض ما يجب
وخذ يمينا لمغنى تهتدي بشذا * نسيمه الرطب ان ضلت به النجب

وحكى ابن رشيق في الانموذج أن عبد الرحمن بن محمد القرشي جلس مع بعض شيوخ تونس وكان هذا الشيخ نهاية في الجنون فاجتاز بهم رجل يسأل عن دار ابن عبدونة فأقبل الشيخ عليه

وقال

بالانسان ان يصبر عما يشتهي وأحسن منه ان لا يشتهي الا ما ينبغي وقال ينبغي للعاقل ان ينظر كل يوم في المرآة فان رأى وجهه حسنا لم يشنه بشئ قبيح يفعله وان رآه سيئا لم يجمع بين قبيحين وسمع جماعة من أصحابه حول خيمة له يتقعون فيه فهز رمحا بين يديه ليعلموا انه يسمع منهم وأن يتباعد واعنه قيد رمح فيقولون ما أحبوا وكان يقول انما نحن كائنون في الزمن الذي يأتي من بعد هذا ومرا الى المعاد اذ الكون والوجود الحقيقي ذلك الكون والعالم

(وبقراط علم العلل والامراض بلطف حسك)

هو بقراط بن ابراقليس كان في زمن بهمن بن اسفنديار ويقال انه سابع الاطباء الذين أولهم اسقبلينوس وهو قبل سقراط وافلاطون وهو الذي نظر في صناعة الطب فوجدها قد كادت تبيد لقلة أبناء الموروثين لها من آل اسقبلينوس فانهم كانوا يلقنونها الابناء منهم ولا يكتبونها فيتعلمها غيرهم فبث أبقراط هذه الصناعة في الناس وعلم الغرباء وعهد الى الاطباء عهدا طويلا مشهورا وقال جالينوس في بعض كتبه ان أبقراط كان يعلم مع ما كان يعلمه في الطب من أمر النجوم مالم

وقال هي في ذلك المكان في تلك الناحية حيث يقوم ابرك فقال القرشي والله لا نظمن هذا المعنى فما رأيت مثله وأنشأ يقول من وقته

ان شئت أن تعرف عن صحة * دار الذي يعزى لعبد ونه
فامش فان ابرك أبصرته * قام فان الباب من دونه

وقد عكست أنا هذا المعنى فقلت

أقول لمن يسائل عن محلي * تقدم وامش من خلف السواري
ومر فحيثما تلقى احتكاكا * بسرمك لا تعد فثم داري

*(فالحب حيث العدا والاسد رابضة * حول الكناس لها غاب من الاسل)*

(اللغة) الحب بالضم المحبة وبالكسر الحبيب تعمه قال ابن الانباري الحب الحبيب يقال للذكر والمؤنث بلفظ واحد وحكى عن بعض العرب انهم يقولون فلانة حبتي وسيأتي الكلام على الحب في قوله يقتلن أنضاء حب (العدا) بكسر العين الاعداء وهو جمع لا نظير له قال ابن السكيت لم يأت فعل من النعوت الا حرف واحد يقال هؤلاء قوم عداء أنشد

اذا كنت في قوم عداء لست منهم * فكل ما ملته من خبيث وطيب

ويقال قوم عداء وعدا بالكسر والضم مثل سوى وسوى (الاسد) جمع أسد وأسد يجمع على اسود وأسدة مقصور منه وأسد مخفف وأسد وآساد مثل جبل وأجبال (رابضة) الربوض للبقر والغنم والفرس والكلب مثل البروك للابل والجثوم للطائر يقال ربضت تربض ربوضا فهي رابضة (حول) يقال قعدت حوله وحواله وحواليه وحوليه ولا تقل حواليه بكسر اللام وحول الشئ ما يحاذيه من كل جانب (الكناس) موضع الظبي الذي يكنسه تقول كنس يكنس بالكسر (الغاب) الآجام والغابة الاجمة وهي مكان الاسد (الاسل) الرماح وهي المراد هنا وأصل الاسل نبات طويل له شوك ومنه أسلة اللسان والذراع وهو ما استدق منهما (الاعراب * فالحب) مبتدأ والخبر محذوف تقديره مستقر (حيث) ظرف مكان وهو مبني على الضم وانما بني لانه أشبه الحرف من حيث الاستعمال اذ كان يحتاج الى صلة مثل الذي ويوصل بالجملة الاسمية كقولك جلست حيث زيد جالس وبالجملة الفعلية كقولك جلست حيث يجلس زيد وكان البناء ضما لوقوعها موقع الغاية والغاية هي الخبر والخبر مرفوع وكذلك قبل وبعد اذا وقعا غاية وما أحسن قول محاسن الشواء

لناصديق له خلال * تعرب عن أصله الاخس
أضحت له مثل حيث كف * وددت لو انها كامس

وأنشدني المولى شمس الدين محمد بن علي بن أيبك السروجي قال أنشدني لنفسه القاضي زين الدين عمر المعروف بابن الوردي الشافعي بحلب وأنشدنيه أنا ايضا فيما بعد لنفسه ومن خطه نقلت

قالت لنحوي اذا عرضا * له بأوقات الرضا أعرضا
يا حبذا لو أصبح باب الرضا * كيف لما كنت كأمس مضى

(قلت) معناه يا مضموم لو أن باب الرضا مفتوح لما كنت مكسورا وفي حيث لغات الضم وهو الافصح والفتح لانه أخف والكسر لان الاصل في البناء السكون واذا حرك الساكن كسر

يكن يدانيه فيه أحد من أبناء زمانه وكان يعلم أمر الاركان التي منها تركيب أبدان الحيوان وكون جميع الاجسام التي تقبل الكون والفساد وفسادها وهو الذي برهن كيف يكون المرض والصحة في جميع الحيوان والنبات واستنبط أجناس الامراض وجهات مداواتها وهو أول من اتخذ البيمارستان وذلك انه عمل بالقرب من داره موضعا مفرد الارضي وجعل لهم خدما يقومون بمداواتهم وسماه أخشسيدوكن أي مجمع المرضى وكذلك لفظ البيمارستان بالفارسي ولم يكن يرغب في الاتصال بالملوك حتى ان ملك الفرس كتب الى عامله من بلاد اليونان يأمره بحمل أبقراط اليه لاجل وباء عرض في بلاده وأن يحمل اليه مائة قنطار ذهبا ويضمن له اقطاعا مثلها وكتب الى ملك اليونان في ذلك الوقت يستعين به على اخراجه اليه وضمن له مهادنته سبع سنين فلم يجب ابقراط الى هذا وقال أهل المدينة ان خرج أبقراط خرجنا كلنا وقتلنا دونه وتفسير أبقراط ضابط الكل وقيل ضابط الحيل وهو الصحيح * وكتبه جليلة وأخباره حسنة ومن

وجاءت لغة رابعة وهي حوث (رجع) وحيث في موضع نصب لانه ظرف والعامل فيه مستقر وقد سد مسد الخبر (العدا) مبتدا ولم يظهر فيه الرفع لانه مقصور (والاسد) معطوف عليه وهو عطف نسق (رابضة) خبر عن المبتدا المعطوف وسد هذا الخبر عن الاول لان العدا في الشدة والبأس كالاسد (حول) منصوب على الظرفية والعامل فيه رابضة و(الكناس) مضاف اليه والاضافة ههنا معنوية (لها) جار ومجرور ولم يظهر الجر لان الضمائر مبنية وهو خبر مقدم لان المبتدا نكرة (غاب) مبتدا تقدم خبره في الجار والمجرور ولا يجوز الابتداء بالنكرة لان الغالب فيها أن لا يفيد الاخبار عنها فان أفادت ابتدئ بها والنحاة في الغالب عدوا لها ستة مواطن أولها أن يكون المبتدا نكرة محضة والخبر جار ومجرور مقدم كما في هذا البيت أو ظرف نحو عندي درهم وثانيها أن تعتمد النكرة على استفهام نحو هل رجل في الدار أو على نفي نحو ما أحد خير منك وثالثها أن تخصص النكرة وتقرب من المعرفة اما بوصف نحو قوله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك أو باضافة نحو خمس صلوات كتبهن الله على العباد ورابعها أن يكون فيها معنى الدعاء نحو سلام عليكم وخامسها أن يكون فيها معنى التعجب كقول الشاعر

عجب لذلك قضية واقامتي * فيكم على تلك القضية أعجب

وسادسها أن يكون لها صدر الكلام كقولك من أبوك وكم غلام لك قال الشيخ بهاء الدين ابن النحاس تنكير المبتدا اختلفت فيه عبارات النحاة فقال ابن السراج المعتبر في المبتدا حصول الفائدة فمتى حصلت الفائدة جاز الابتداء بالنكرة وقال الجرجاني يجوز الاخبار عن النكرة بكل أمر لا تشترك النفوس في معرفته نحو رجل من بني تميم شاعر فالمجوز عنده شئ واحد وهو جهالة بعض النفوس وقال شيخنا جمال الدين محمد بن عمرون الضابط في جواز الابتداء بالنكرة قربها من المعرفة لا غير وفسر قربها من المعرفة بأحد شيئين إما باختصاصها كالنكرة الموصوفة أو بكونها في غاية العموم كقولنا تمرة خير من جراده فعلى هذا لا حاجة الى تعداد الاماكن التي يجوز فيها الابتداء بالنكرة بل يعتبر كل ما يرد فان كان جاريا على الضابط أجزناه والا منعناه ثم قال الشيخ بهاء الدين فيما بعد والاماكن التي يجوز فيها الابتداء بالنكرة تزيد على ثلاثين ولم أجد أحدا من النحاة غيره زاد على أربعة وعشرين فيما علمته وقد ذكر هذه الاماكن التي عدها في تعليقته على المقرب وأضربت أنا عنها خشية التطويل (رجع) من الاسل جار ومجرور ومن هنا لبيان الجنس وقوله لها غاب من الاسل في موضع رفع صفة للاسد (المعنى) حبيبي مكانه حيث الاعادي والاسود رابضة حول كناسه وللاسود غاب من الرماح ولو كان لي في البيت حكم لقلت * فالحب حيث العدا كالاسد رابضة * لانه ينتهي الى أن يقول * حول الكناس لها غاب من الاسل * والاسل هي الرماح التي أرادها في البيت والرماح مما يختص بالاناسي لا بالاسود وأيضا الاسود ليس من شأنها الالفة بالناس حتى تكون حولهم (فان قلت) أراد بالاسود العدا وذلك أنهم في البأس كالاسد فاطلق ذلك عليهم مجازا (قلت) لا يتأتى له ذلك وقد عطف الاسد على العدا والعطف يدل على المغايرة فاذا الاسد غير العدا وأيضا هو تطع الكلام عن العدا وما ذكرهم متعلقا ووصف المحبوب بأن الاعادي محيطون به وحولهم الاسل وهو أبلغ في المنع والتحصن من الاسود لان الانسان أبلغ في الحرس

والاحتراز

ظريف حكاياته أن ولد أحد ملوك اليونان عشق جارية من حظايا أبيه فحل بدنه واشتدت علته وهو كاتم خبره فأحضر أبقراط فجس نبضه ونظر الى بشرته فلم ير عنده علة فذاكره حديث العشق فرآه يهتز لذلك ويطرب فاستخبر الحال من حاضنته فلم يكن عندها خبر فقال هل خرج عن الدار فقالت لا فقال لابيه مر رئيس الخصيان بطاعتي فأمره بذلك فقال أخرج على النساء مخرجن وأبقراط واضع يده على نبض الصبي فلما خرجت الصبية الحظية اضطرب عرقه وحال طبعه فعلم بقراط انها المعنية بهواه فصار الى الملك فقال ان ابن الملك عاشق لمن الوصول اليها صعب قال الملك ومن تهلك قال هي زوجتي قال فانزل عنها لولدك عنها بدل فتمنع أبقراط وقال هل رأيت أحدا كلف أحدا طلاق زوجته ولا سيما الملك في عدله ونصفته يأمرني بمفارقة زوجتي وهي عديلة روحي فقال الملك اني أوثر ولدي عليك وأعوضك أحسن منها فامتنع حتى بلغ الامر الى التهديد والسيف فقال أبقراط ان الملك لا يسعى عادلا حتى ينصف من نفسه ما ينصف من غيره

والاحتراز من الاسد لانه ذو عقل وتفكر ووهم وليس للاسد غير البطش وعلى الجملة فقد وصف محبوبه بانه مصون محجب لا سبيل الى الوصول اليه والحالة هذه وما أحسن قول ابى عبد الله محمد بن أحمد الخياط الدمشقى

ومحتجب بين الاسنة معرض * وفى القلب من اعراضه مثل حجبه

وقول ابن قلاقس

ارجع عن الوادى فان مياهه * مما يشبه غليل الهيم
وبشعب رامة معرك يغدوبه * قلب الهزبر أسير لحظ الريم
مد الكماة من الاسنة فوقه * ظلا وذاك الظل من يحموم
حيث التفت الى مطالع شمسه * الفيتها محجوبة بغيوم

وقول ابن القيسرانى ومن خطه نقلت

وفوق مرادى من مراد عقائل * تبيت المذاكى القب سجف قبابها
ودون الخدور السابريه عثرة * تهز كعوب الرمح دون كعابها

وقول ابن خفاجة

لقد جبت دون الحى كل تنوفة * يحوم بها نسر السماء على وكر
وخضت ظلام الليل يسود فحمة * ودست عرين الليث ينظر عن جمر
وجئت ديار الحى والليل مطرف * منمنم ثوب الافق بالانجم الزهر
أشيم بها برق الحديد وربما * عثرت باطراف المثقفة السمر
فلم أاق الا صعدة فوق لامة * فقلت قضيب قد أطل على نهر
ولا شمت الا غرة فوق أشقر * فقلت حباب يستدير على خمر
فسرت وقلب البرق يخفق غيرة * هنالك وعين النجم تنظر عن شزر

(قلت) هذا هو النظم الذى تخجل منه درر العقود ويستحى من مارسه رقم البرود وقد جمع الانسجام والجزالة وأضاف الى الاستعارة حسن التخيل فقلت هذا البدر ضمن هالة وأبرز فى صورة تفرق منها الضراغم وتنوح على من تلبس بتلك الحالة ساجعات الحمائم فاذا حاول محاكاتها ناظم وجدها كالحديد ملمسا وكالحرير ملبسا وأين الثريا من يد المتناول وقوله أيضا

وليل طرقت المالكية تحته * أجد على حكم الشباب مزارا
تخالطت أطراف الاسنة أنجما * ودست لها الات البدور ديارا

وقول ابن صردر

وطرقت أرضهم وتحت سمائها * عدد النجوم أسنة المران
أرض جداولها السيوف ونبتها * نبع ومارك زوامن الخرصان

(قلت) ما أحسن الجداول هنا والنبع بعدها وقول ابن نقادة

أظن الصبا من أرض نجد هبوبها * فمن نشر ليلى قد تضوع طيبها
ومن عجب أن صافحتها وسلمت * عليها ولم يشعر بذاك رقيبها
ولو أنها عمياء كان صدها الـ * ـغيور ولم يبلغ الى هبوبها

أرأيت لو كانت العشيقة حظية الملك فهم الملك المراد وقال يا بقراط عقلك أتم من معرفتك ونزل عن الحظية لابنه وشفى الفتى من لاعج الهوى * ومن كلام أبقراط سلوا القلوب عن المودات فانها شهود لا تقبل الرشا وقال الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع يعنى من المآكل والمشارب وقال خير الغداء بواكره وخير العشاء بوادره يعنى بذلك المبادرة به فى بقايا النهار والضوء متمكن وقبل الدخول فى حد النوم وقال استهينوا بالموت فان مرارته فى خوفه * وسئل كم ينبغى للانسان أن يجامع فقال فى كل سنة مرة قيل فان لم يقدر قال فى كل شهر قيل فان لم يقدر قال فى كل أسبوع قيل فان لم يقدر قال هى روحه متى شاء أخرجها وما حضرته الوفاة قال خذوا منى العلم بغير حسد من كثر نومه ولانت طبيعته وندیت جلدته فقد طال عمره

(وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة حدسه)

(جالينوس) هو آخر الحكماء المشهورين ويسمى خاتم الاطباء والمعلمين وذلك أنه عند ما ظهر وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الاطباء السوفسطائيين ومحيت محاسنها فانتدب

وقوله أيضا

قد حجبوا البيض ببيض الصفاح * ومنعوا السمر بسمر الرماح
وأطبقوا أحداق أجفانهم * فما ترى شمس الصباح الصباح
غاروا من النكباء تسري فهم * لو قدروا سدوا مهب الرياح

وقول ابن قلاقس

وابلائ من مخدرة * دونها سور وجدران
وأسود خاف سطوتها * كل من حازته أجفان
ورقيب لو يلاحظها * لتثنى وهو غيران

قال ابن الاثير في المثل السائر سافرت الى الشام سنة سبع وخمسمائة ودخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أدبائها يلهجون ببيت من الشعر لابن الخياط وهو

أغارا اذا آنست في الحي أنة * حذارا وخوفا أن تكون لحبه

فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من قول أبي الطيب المتنبي

لو قلت للدنف المشوق فديته * عما به لاعذته بفدائه

وأنشدني الشيخ الامام القاضي شهاب الدين محمود قال أنشدني شيخنا الامام مجد الدين محمد ابن أحمد بن عمر الظهير الاربلي الحنفي لنفسه من أبيات

أواصل فيه لوعتي وهو هاجر * ويؤنسني تذكاره وهو نافر
غزال منيع الخدر دون مزاره * مظلة بالبيض منه الجآذر

وقرأت عليه أيضا قوله من قصيدة

ومن طلب الاحبة كان أسخى * ببذل النفس من كعب بن مامه
ومن طلب الغنائم لم يهب من * نضاها دون مطلبه حسامه

وأنشدني لنفسه اجازة ومن خطه نقلت

وعلى الحمى حي تخال ظباءه * أخذت سطا الفتكات عن آساده
جعلوا القنا رصد القباب فمن ثنى * طرفا له رمقته زرق صعاده
يحمي نزيلهم و يأمن جارهم * الاعلى أحشائه ورقاده
فاذا تزود نظرة من عينهم * قبل الرحيل فخفقه في زاده

وأنشدني له أيضا اجازة

ولقد عهدت رماحهم تصغي الى * مر الصباخوفا على أسرارهم
ورأيت مع بذل النوال حماتهم * والوهم يفرق أن يرى بمزارهم

وأنشدني اجازة لنفسه المولى صفي الدين الحلي ومن خطه نقلت

وسرب ظباء مشرقات شموسه * على حلة عند النجوم بدورها
يمانع عما في الكناس أسودها * ويحرس ما تحوي القصور صقورها
يغار من الطيف الملم حماتها * ويغضب من مر النسيم غيورها
اذا مارأى في النوم طيفا يرودها * توهمه في اليوم ضيفا يزورها
تنذرنا فأعدتنا السقام عيونها * ولذنا فأولتنا النحول خصورها

لذلك وأبطل آراءهم وشيد آراء أبقراط والتابعين له ونصرها وساح وطاب الحشائش وحبوب وقاس أمزجتها وطبائعها وشرح الاعضاء ووضع الكتب النفيسة في هذه الصناعة وهي مادة الاطباء الى يومنا هذا وأشهرها الكتب الستة التي شرحها الاسكندرانيون ولم يأت بعده الا من هو دون منزلته وكانت وفاته بعد مبعث المسيح عليه السلام ولم يره (حكي) انه لما بلغه دعوة المسيح صلوات الله عليه احياء الموتى وخلق الطير وابراء الاكمه والابرص قال لمن حوله من التلامذة ان علم من هذا المدعي بما لا تستقل به الطبيعة سفه قبل ما ادعاه لا يخاطب ويحمل فيما ادعاه على ما تقدم العلم منه من السفه وان لم يعلم منه سفه تقدم دعواه يطالب بالبيان لامكانه وراء عالم الطبيعة وذلك سبيل كل ناطق يقوم في ابتداء كل قرن يأتي من الزمان للاضطرار اليه عند ظهور الفساد في الارض سبيله الدعوى بما لا تستقل به الطبيعة لانقياد الناس الى طاعته بعد القيام بحجة ما ادعاه فمن ذلك سبيله بعد ذلك تمت حركته ثم تجهز للاجتماع به وسار اليه فمات في طريقه بمدينة الفرما وهي

وزرناوا سدا لحى تذكى لحاظها * ويسمع فى غاب الرماح زئيرها
فياساعد الله المحب فانه * يرى غمرات الموت ثم يزورها

(قلت) هذا تضمين حسن ولكن القافية تكررت معه فى يزورها وما وصف أحد رقيبه بأبلغ من قول ابن قلاقس المتقدم وهو قوله رقيب لو يلاحظها البيت وهو أنه يغار حتى من نفسه وهذه حالة زائدة عن الرقباء فان الرقيب قد يكون بريد الصون وأن العاشق لا يلم بالمعشوق ولا يدانى مكانا يضمه فأما اذا انضاف الى هذه الغيرة انه يغار عليه من نفسه كان حال المحب أشق عليه الى الغاية وأين غيرة هذا الرقيب من عدم غيرة عبد المحسن الصورى على محبوبه حيث قال

تعلقته سكران من خمرة الصبا * به غفلة عن لوعتى وتحيبى
وشاركنى فى حبه كل ماجد * يشاركنى فى مهجتى بنصيب
فلا تلزمونى غيرة ما ألفتها * فان حبيبى من أحب حبيبى

وبالغ الآخر فقال يتجبع بالقيادة

أقود بحمد الله لا عن كراهة * وغيرى قواد على رغم أنفه

وما أحلى قول مجير الدين بن قرناص

لى صاحب كملت جميع صفاته * قد عمنى بغرائب الاحسان
لو لم يكن مثل النسيم لطافة * مابات يعطف لى غصون البان

وقال الوجيه الدورى

لا تبعثوا بسوى المهذب جعفر * فالشيخ فى كل الامور مهذب
طورا يغنى بالرباب وتارة * تأتى على يده الرباب وزينب

وقال السراج الوراق ومن خطه نقلت

جاء فى البرم واحد العصر والقواد أيضا فى ذاته مقبول
وهو مع مافيه من البرم والبخـ ـل مخلى من دينه محلول

وقال ابن سناء الملك

لى صاحب أفديه من صاحب * حلو التأنى حسن الاحتيال
لو شاء من رقة ألفاظه * ألف ما بين الهدى والضلال
يكفيك منه أنه ربما * قد قاد للمهجور طيف الخيال

وقال آخر

يسهل كل ممتنع شديد * ويأتى بالمراد على اقتصاد
فلو كلفته تحصيل طيف الخيال ضحى لزار بلا رقاد

وقال مجير الدين محمد بن تميم ومن خطه نقلت

وقواد يعيد الهجر وصلا * وطول البعد قربا واتفاقا
يكاد بحكمة فيه وحذق * يقود بلا أزمتها النياقا

وقال عبد العزيز الآمدى فيمن له ابن يدعى سراجا

لك زوجة وابن هما لك روضتا * زهر وفى يوم اللقاء هجاج

على شاطئ بحيرة تنيس وبها قبره ولما اشتد به المرض قيل له الا تتداوى قال اذا نزل قدر الرب بطل حذر المربوب ونعم الدواء الاجل ثم مات مبطونا ومات ارسطاطاليس بالسل ومات افلاطون مبرسما ومات أبقراط مفلوجا * ومن حكايات جالينوس عن نفسه قال مررت بشيخ يزرع شجرة فقلت ياشيخ ماتزرع فقال شجرة تثمرتها لى ولك قلت وما هى قال شجرة المشمش تثمرتها لى لانى آخذ ثمنها ولك لانها تكثر المرضى فتأخذ من أموالهم (وحكى) عن نفسه فى معرفة التشريح قال أعرف رجلا شكا ضعف شهوة الطعام فوضعت على رقبته أدوية قبرئ لان فى العضوين المجاورين للعرقين النابضين شعبة الى فم المعدة تنال منها الحس وكان فى رقبة ذلك الرجل خناز بر فقطعها الاطباء فاضر ذلك بتلك القصبة التى منها الشعبة وبرئت رقبته وصار ضعيف الشهوة عن الطعام فوضعت عليها الادوية المقوية فبرئ * ومن كلامه الانسان سراج ضعيف كيف يدوم ضوءه بين رياح أربع يعنى الطبائع * وقال الانسان الى تجنب مايضره أحوج منه الى تناول ماينفعه وقال من كان له درهم فليجعل نصفه فى النرجس فانه راعى

لاتخش فى طرق القيادة ظالمة * لك منهما طوّافة وسراج

قيل ان أبا الحسين الجزار حضر الى بيت الزين المارديني الشاعر ومعه مليح فاطال الزين الجلوس فكتب الجزار بيتين فى ورقة ودفعها اليه وهما

ليس فى البيت ما تخاف عليه * وعلى الضمان حتى تعودا
فتصدق وقد على فلابد اذا جئت منزلى أن أفودا

وقال أبو الحسين الجزار أيضا من أبيات

ليت شعرى ماذا تقول اذا ما * رمت شتمى قل لى باى طريق
علم الله ما مضيت رسولا * قط من عند ابنتى لعشيق
لاولا جئت بالرجال الى بيتى وكاسرت عنهم فى السوق

وكتب أيضا الى السراج الوراق من أبيات

ولئن كنت قد علقت حبيبا * موصليا فأنت بالعلق أعلق

فاجابه السراج بأبيات منها

ماترى كبده وقد جاءها القا * ف رويا فخشت بالقلب أعلق
قلت دعه فالشيخ أقول منا * قال بالدال قلت قولك أصدق

وقال ابن دانيال فى الكمال العواد

عين الكمال العواد قاف * وهو شويخ زد قواق
سرت قياداته الى أن * قاد بصر على عراق

وحكى لى الشيخ الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى ان الشيخ شهاب الدين بن النحاس دخل الى الجامع الازهر فوجد أبا الحسين الجزار جالسا والى جانبه مليح ففرق بينهما وصلى ركعتين ولما فرغ قال لابى الحسين ما أردت الا قول ابن سناء الملك فقال أبو الحسين ماتفاءلت أنا الا بقول صاحبنا السراج الوراق اه قلت أما مراد الشيخ بهاء الدين بن النحاس من قول ابن سناء الملك فهو

أنا فى مقعد صدق * بين قواد وعلق

وأما مراد أبى الحسين الجزار من قول السراج الوراق فهو

ومهذب راض الابى فقاده سلس القياد
لما توسطبيننا * جرت الامور على السداد

وقد تساب كل منهما مع خصمه ولم يشعر بمرادهما أحد * وقريب من هذا ما حكاه ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء قال روى رفيقنا عبد الكريم بن منصور قال سمعت المبارك بن أحمد بن الاقوه يقول خرج رجل من بغداد على سبيل الفرجة فقعد على الجسر فاقبلت امرأة من جهة الرصافة متوجهة الى الجانب الغربى فاستقبلها شاب فقال رحم الله على بن الجهم فقالت المرأة رحم الله أبا العلاء المعرى وما وقفا بل مر الرجل مشرقا ومرت المرأة مغربة فتبعت المرأة وقالت ان لم تقول لى ما أراد وما أردت والا فضحتك فضحكت وقالت أراد الشاب بقوله رحم الله على بن الجهم قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

الدماغ والدماغ راعى العقل ورأى مصارعا كان لايرمى أحدا قد صار طبيبا فقال الآن كما صرعت الناس

(وكلاهما قاد لك فى العلاج وسالك عن المزاج)

العلاج والمعالجة فى اللغة المغالبة وسمى الطب علاجا لكون الطبيب يغالب المرض وقال أبقراط يعالج الجسد على خمسة أضرب مافى الرأس بالغرغرة وما فى المعدة بالقىء وما فى أسفل المعدة بالاسهال وما بين الجلدين بالعرق واسهال الدم ويحتاج ذلك الى علوم الاصول من الاستقصات والطبائع والاخلاط والقوى والارواح والاسباب وغير ذلك والمزاج فى اللغة خلط الشراب بغيره وعبر عنه الاطباء بأنه عبارة عن تكافؤ الطبائع واختلاطها فى البدن والمزاج عندهم تسعة واحد معتدل وثمانية غير معتدلة وفى الثمانية أربعة مفردة وهى الحار والبارد والرطب واليابس والاخلاط أربعة وهى الدم والمرة الصفراء والمرة السوداء والبلغم فالدم حار رطب والمرة الصفراء حارة يابسة والبلغم بارد رطب والمرة السوداء باردة يابسة ومعرفة أمزجة الانسان من أقسام الاسباب والعلامات ويعرف مزاج غير

وأردت أنا بقولي رحم الله أبا العلاء المعري قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

ومثل هذا ماذكره صاحب الأغاني قال هوى محمد بن عيسى الجعفري جارية مغنية اسمها بصيص وطال عليه ذلك فقال لصديق له لقد شغلني حب هذه عن صنعتي وكل أمري وقد وجدت مس السلوة عنها فاذهب بنا حتى أكاشفها فأستريح فأتياها فلما غنت لهما قال لها محمد بن عيسى أتغنين

وكنت أحبكم فسلوت عنكم * عليكم في ديارهم السلام

فقالت لا ولكني أغني

تحمل أهلها عنها فبانوا * على آثارهم ذهب العفاء

قال فاستحى وزاد بها كلفا وأطرق ثم قال أتغنين

واخضع بالعتبي اذا كنت مذنبا * وان أذنبت كنت الذي أتنصل

قالت نعم وأغني أحسن منه

فان تقبلوا بالود نقبل بمثله * وتنزلكم منا بأقرب منزل

قال فتقاطعا في بيتين وتواصلا في بيتين وما شعر بهما أحد (قلت) وبصيص هذه من مولدات المدينة حلوة الوجه حسنة الغناء وهي جارية يحيى بن نفيس يقال ان المهدي اشتراها وهو ولي العهد سرا من أبيه بسبعة عشر ألف دينار وولدت منه علية بنت المهدي (رجع) والاصل في غالب ما تقدم من القيادة قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي من أبيات

فأتتها طبة عالمة * تمزج الجد مرارا باللعب

تغلط القول اذا لانت لها * وتراخى عند سورات الغضب

قيل ان ابن أبي عتيق لما سمع ذلك قال لعمر ما أحوج المسلمين الى خليفة يدبر أمرهم مثل قوادتك هذه وأخذ هذا المعنى الواوا الدمشقي فقال هذه الابيات

بالله ربكما عوجا علي سكني * وعاتباه لعل العتب يعطفه

وعرضا بي وقولا في حديثكما * مابال عبدك بالهجران تتلفه

فان تبسم قولا في ملاطفة * ماضر لو بوصال منك تسعفه

وان بدا لكما في وجهه غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

ومنه قول الآخر

الا يانسيم الريح بلغ رسالتي * سليمى وعرض بي كأنك مازح

فان أعرضت عني فقوه مغالطا * بغيري وقل ناحت بذلك النوائح

وقال الآخر وبيت

باللطف اذا القيت من أهواه * عاتبه وقل له الذي ألقاه

ان أغضبه الوصال غالطه به * أورق فقل عبدك لا تنساه

وقلت أنا من أبيات

ويا رسولي اليهم صف لهم أرقي * وان طرفي لطيف الضيف مرتقب

عرض بذكري فان قالوا اتعرفه * فاسأل لي الوصل وانكرني اذا غضبوا

ذلك بالتجربة وبالقياس فليعلم ذلك

(واستوصف تركيب الاعضاء واستشارك في الداء والدواء) يشير بمعرفة الاعضاء الى ذكر صفات التشريح التي ذكرها جالينوس وحكى فيها عن نفسه الحكايات العجيبة والاعضاء عندهم على قسمين بسيط ومركب فالبسيط كالعظم والعصب والعروق والمركب كالرأس واليدين والرجلين ومن الاعضاء أعضاء رئيسة وأعضاء مرؤسة وأعضاء ليست برئيسة ولا مرؤسة فالرئيسة أربعة كالدماغ والقلب والكبد والانثيين والمرؤسة ما تخدم هذه الرئيسة وذلك أن الدماغ يخدمه العصب والقلب يخدمه الشرايين والكبد تخدمها العروق والانثيان أوعية المني وما ليس برئيس ولا خادم كالعظام والغضاريف والشحم واللحم والاعضاء التي لها قوى كالمعدة والكلى *والداء هو المرض الداخل على الابدان وأجناسه ثلاثة الاول فساد المزاج والثاني تفرق الاتصال والثالث المرض المشترك *والدواء ما يحفظ به الصحة المائلة عن البدن أو ما يجلب به الصحة للبدن المزايلة له وهو نفس القسم العملي ومداره على

وقال بعضهم دخلت مدينة فرأيت بها غلاما حسنا فراودته عن نفسه فأجاب فلما خلونا ذكرت الله وانصرفت عما هممت به فلما خرجنا قال ادفع لي شيأ فقلت ما جرى بيننا ما يوجب العطاء فتنازعنا وطال اللجاج فبينما نحن كذلك اذ مر بنا رجل فنادينا وتحاكمنا اليه وحكينا له الصورة فقال حدثني أبي عن جدي عن المزني عن الشافعي انه قال اذا أغلق الباب وأسبل الستر فقد وجب المهر فأعطه حقه فدفعت الى الامرد درهمين وقلت لذلك الرجل أعيذك بالله من قواد فما رأيت من يقود على مذهب الشافعي بسند متصل غيرك * وفي المثل أقود من ظلمة قال بعضهم أظنه من قولهم الليل أخي للويل أو من قولهم * فانما الليل نهار الاديب * أو من قولهم * فالشمس غلامة والليل قواد * وليس بشيء وانما أصل المثل انه كانت في هذيل امرأة تدعى ظلمة زنت ستين سنة وقادت أربعين سنة فلما عجزت عن ذلك اتخذت تيسا وعنزا وكانت تنزي التيس على العنز فقيل لها لم تفعلين هذا قالت حتى أشاهد أنس الجماع فألتذ به (أقول) فما كان أحقها بان يقال في حقها

عجوز قد زنت ستين عاما * وقادت بعد ذلك أربعينا
وقامت فاشترت تيسا وعنزا * لتنظر لذة المتنايكينا

ويقول بعضهم

شيخة الفسق لا تحول عن العهد كما تستبيح مال يجوزا
ساحقت طفلة وليطت فتاة * وزنت كهلة وقادت عجوزا

قلت وما رأيت من استعمل هذه المادة من الصغر الى الكبر الا الذي قال

حاشا المتلي عن هواه يتوب * هو دون كل العالمين حبيب
أهواه طفلا في القماط وأمردا * وبلحية واذا علاه مشيب

وأخذه الآخر فقال موالیا

هويت شيخا اسمر اكحل ما له عائب * الا مشيبه وما قلبي بذا تائب
يجي على كل حاله ما يروح خائب * أمرد معذر منكر ش ما تمنى شائب

(رجع) الى ذكر الرقيب واما الرقيب فلازمته أمر يضني ومرض يفري الحشا ويفني والمجنون ابتلوا به حديثا وقديما ورعوا به روض المحبة هشيما وأرى الرقيب هو المبتلى وصاحب السهر والتعب على انه ما عشق ولا سلا وذلك لان العاشق يجد في الغرام لذة عليه عائده والرقيب أضاع زمانه وأداب فؤاده بلا فائده ولهذا قال ابن رشيق

تأذى بلحظي من أحب وقال لي * أخاف من الجلاس أن يفطنوا بنا
وقال اذا كررت لحظك دونهم * الي فما يخفى دليل مريبنا
فقلت بلينا بالرقيب فقال ما * بلينا ولكن الرقيب بلى بنا

وما ألطف قول ابن المعتز

وابتلائي في محضر ومغيب * من حبيب مني بعيد قريب
لم تردها وجوه العين الا * شرقت قبل ريها بالرقيب

قلت ما أحلى استعارته الشرق والورد والري للماء الوجه فهكذا يكون الشعر وأظن أن ابن بابك أخذ من هنا قوله

الحذق وكان بقراط يقول الطبيب الحاذق يصير بحسن قيه السم دواء نافعا والجاهل يصير الدواء سما قائلا مثال ذلك أن الجاهل بالطب اذا أخذ الصندل وسحقه كالكحل ثم طلاه على بدن حار كثير الحرارة طليا ثخينا دخلت تلك الاجزاء الدقيقة في مناقب الجسد ومسامه فتؤذي العليل والطبيب الحاذق يأخذ العود الهندي فيسحقه ناعما ثم يطليه على البدن طليا رقيقا فيتصل ما فيه من الرطوبة الى حرارة البدن فيبردها ويجد الحر سبيلا الى الخروج فتكون حرارة العود مبردة بتدبير الطبيب فاعلم ذلك

(وأنك نهجت لابي معشر طريق القضاء)

النهج بيان الطريق ووضوحه ومنه نهج الثوب اذا بان فيه البلاء * والقضاء فصل الامر قولا كان أو فعلا وأصله قضاي من قضيت فقلبت الياء همزة والمراد به ههنا حكم المنجمين وقولهم بتأثير الكواكب قال الشاعر * يقضون بالامر عنها وهي غافلة *

وأبو معشر هذا هو جعفر ابن محمد بن عمر البلخي المنجم المشهور في علم النجامة كان في الاول من أصحاب الحديث ببغداد وكان يشنع

تكاد عيني اذا خاضت محاسنه * اليه تشربه من رقة البشره

وتلطف ابن المعتز أيضا حيث قال

وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار مرتقب
تقر العصافير وهي خائفة * من النواطير يانع الرطب

وما أحسن قول سيف الدين بن حمدان

أقبله عـلى جزع * كشرب الطائر الفزع
رأى ماء فاوقعه * وخاف عواقب الطمع
وصادف خلسة فدنا * ولم يلتذ بالجرع

وابلغ من هذا قول الحرث بن خالد

تدنيك شيأ قليلا وهي خائفه * كما يمس بظهر الحية الفرق

وتلطف الصاحب بن عباد رحمه الله حيث شبه الرقيب بالصلة والمحبوب بالذى لشدة اتصالهما وعدم خلو الذى من الصلة فقال

ومهفهف ذي وجنة كالجنبذ * الحاظه مثل السهام النفذ
قد نلت منه مراد قلبي في الهوى * وملكته لولم يكن صلة الذى

وبالغ القائل في ملازمة الرقيب فقال

أنا والحبيب ما خلونا ولا طر * فة عين الا علينا رقيب
ما اجتمعنا بحيث لم يكن الدهـ * ـر بانى أقول أنت الحبيب
بل خلونا بقدر ما قلت أنت الـ * ـسمع فوانى فقلت كيم الطبيب

وما ترك هذا الشاعر في الظرف غاية لمن بعده وقريب من هذه المادة ماذكره الحريرى في درة الغواص قال حكى لى أبو الفتح عبدوس بن محمد الهمدانى حين قدم البصرة حاجا في سنة نيف وستين واربعمائة أن الصاحب أبا القاسم بن عباد رأى أحد ندمائه متغير السحنة فقال له ما الذى بك قال حمى فقال له الصاحب قه فقال له النديم وه فاستحسن الصاحب ذلك وخلع عليه وقيل ان بعض الظرفاء سمع امرأة حسناء تقول وقد أتت الى جانب نهر يا جارية أين أضع رجلى فقال لها ذلك الظريف على كتفى فقالت بخفى فقال لها ربة زوجك فقالت له من أين خرجت فقال لها من بيتك فقالت مصفوع فقال لها على تهمة بك فقالت وأنت عن ابرى فانقطع * ونقلت من خط القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر في ترجمة ضياء الدين موسى الكاتب من نوادره انه قال له الرضى الحلاوى الشاعر أنا في محبتى حاصة فقال الضياء موسى لى وقال الحلاوى يوما أنا أشعر شعرا حسنا وما يعوز الى الاحلق فقال له موسى لحية قلت اما النادرة الاولى فلا بد فيها من مساحة مالان التقدير اذا كان جوابا اغتفر فيه للسرعة مالا يغتفر في غيره اذ الحساسة التي هي بمعنى النصيب وهو مراد الضياء موسى بغير الف وأما الداء الذى يتناثر منه شعر الذقن وهو مراد الحلاوى انما هو حاصة والحاص قلة الشعر فاعرفه وعلى قول الضياء في الثانية ذكرت ما قلته أنا قديما

قلت له اذ هز لى ذقنه * ولام فيمن ذبت في عشقها
تذكرا ذ غنت فنادى نعم * فقلت واشوقا الى حلقها

على الكندى الفيلسوف بعلوم الفلسفة ويغرى به العامة فدس له الكندى من حسن له النظر في علم الحساب والهندسة فدخل في ذلك ثم عدل الى أحكام النجوم فتفنن ومهر وانقطع شره عن الكندى لانه من جنس علوم الكندى ويقال انه اشتغل بالنجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره وصنف الكتب الحسنة في هذا العلم مثل كتاب الالوف وكتاب المدخل وكتاب المذاكرات وغير ذلك وظهرت له اصابات عجيبة وحكى عنه فيها حكايات بديعة قال في كتاب المذاكرات قال حضرت وشيلمة والزيادى عند الموفق وكان الزيادى استاذ زمانه في النجوم فاضمر الموفق ضميرا فقال الزيادى أضمر الامير فقد ارجليل رفيع فقال له كذبت فقال شيلمة قولا قريبا منه فقال الموفق كذبت ثم قال لى هات ما عندك فقلت أضمر الامير الله عز وجل فقال أحسنت والله ويلك إني لك هذا قلت الرئيس يرى فعله ولا يرى نفسه وكان في أرفع درجة الفلك في التضمير ولم أعرف له مثلا الا الله عز وجل لان الله تعالى يرى فعله ولا يرى هو وهو فوق كل عزة وسلطان ليس فوقه شئ (وحكى) عنه انه كان قد تنقل في البلاد

فاتصل ببعض ملوك العجم وان الملك طلب رجلا من أتباعه وأكابر دولته ليطالبه بجريمة وقعت منه فاستخفى الرجل وعلم ان أبا معشر يدل عليه بالطريق الذى يستخرج بها الخفايا والاشياء الكامنة فاراد ان يصنع شيأ لايهتدى اليه ويبعد عنه الحدس فاخذ طشتا وملأه دما وجعل فى الدم هاونا من ذهب كبيرا يتمكن من القعود عليه ثم جلس عليه أياما وتطلب الملك ذلك الرجل فاعياه فاحضر أبا معشر وقال له عرفنى بوضعه كما جرت عادتك فعمل المسئلة التى يستخرج بها الجهة ولات وسكت زمانا حائرا فقال له الملك ما سبب حيرتك قال أرى شيأ عجيبا قال وما هو وقال أرى الرجل المطلوب على جبل من ذهب والجبل فى بحر دم ولا أعلم فى العالم موضعا على هذه الصفة فلما يئس الملك من القدرة عليه نادى فى البلد بامان الرجل ومن اخفاه فلما اطمأن الرجل بذلك ظهر وحضر بين يدى الملك فسأله عن الموضع الذى كان فيه فاخبره بما اعتمد فاعجبه حسن احتياله واصابة أبى معشر فى استخراجه وقولا فى معشر فى هذا الباب أخبار كثيرة والله أعلم بحقيقتها وكان مع تقدمه فى هذه الصناعة يصيبه

*(نؤم ناشئة بالجزع قد سقيت * نصالها بمياه الغنج والكحل)*

(اللغة) الام القصد يقال أمه وأمه وتأمه اذا قصده (ناشئة) مؤنث ناشئ وناشئ اسم فاعل من نشأ ينشأ فهو ناشئ (الجزع) بالكسر منعطف الوادى (النصال) جمع نصل وهو حديدة السيف والسهم ويجمع على نصول (مياه) جمع ماء ويجمع على أمواه فى القلة ومياه فى الكثرة والهمزة فى ماء مبدلة من الهاء فى موضع اللام اذ أصله موه بالتحريك لانه يجمع على أمواه كما تقدم (الغنج) بالسكون والغنج بالتحريك الشكل وقد غنجت الجارية وتغنجت فهى غنجة والغنج هو الدل (الكحل) سواد يعلو جفون العين مثل الكحل من غير اكتحال ورجل كحيل وامرأة كحلاء (الاعراب) نؤم فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم وقد تقدم الكلام عليه والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره نحن (ناشئة) مفعول به وهو صفة لموصوف محذوف تقديره فتاة ناشئة أو فتيات ناشئة وهذا جائز ونطق القرآن به كثيرا كقوله تعالى ثم يرم به بريأ أى شخصا بريأ و(بالجزع) جار ومجرور فى موضع نصب بما فى ناشئة من معنى الفعل والباء هنا ظرفية (قد) حرف توقع لاقترانه بالافعال المتوقعة فى الحال والمسئول عنها ومنه قد قامت الصلاة لان المصلين ينتظرون قيامها وقال الجوهرى ولا تدخل الا على الافعال وهى جواب لقولك لما تفعل وزعم الخليل انك تقول قد مات فلان لمنتظر الخبر ولو أخبرت شخصا لا ينتظره لا تقول قد مات ولكن تقول مات فلان وأصلها التقريب فتقرب الماضى من الحال تقول كنت أتمنى الحج وقد حججت أى فى زمن قريب من اخبارى وانما كونها تفيد التقريب فى زمن الحال لزم الفعل الماضى اذا وقع حالا نحو جاء زيد وقد ركب ومعناها فى المضارع التقليل وهى فيه بمنزلة قرب فى الاسماء لان التقريب يناسب التقليل ومعنى تقليلها تقريبها الفعل من الحال ومنه قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم أى تحقق علم ذلك عند الله تعالى وأما قولهم قد يصدق الكذوب فمعناه ان الصدق يقل منه ويحتمل أن يكون المراد ان الصدق قد يتحقق من الكذوب وقيل انها اذا دخلت على المضارع أدت منه معنى الماضى وقد تكون زائدة فى نحو لو قد جاءنى لاكرمته وقد تخرج عن بابها وتجىء من قبيل الاسماء بمعنى حسب تقول قدك أى حسبك قال أبو تمام الطائى

قدك أنت أسأت فى الغلواء * كم تعذلون وأنتم سجرانى

ومن أبيات المعانى قول الفقيه أبى الحسن الطوسى

منيتنى حينا فلما أن ملأت من التمنى
عرضن لى بالوصل حتى قلت قد أعرضن عنى

وظاهره مشكل لعدم انتظام الكلام فاذا حملت قد على معنى حسب صح المعنى (سقيت) فعل مغير ما لم يسم فاعله وقد تقدم الكلام على هذه الصيغة والتاء علامة لتانيث المفعول (نصالها) مفعول ما لم يسم فاعله والضمير فى موضع جر بالاضافة وقد تقدم الكلام على رفع ذلك المفعول قلت ومن مشكل هذا النوع قراءة ابن كثير وعاصم يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله بضم الياء فى يسبح وفتح الباء على بناء ما لم يسم فاعله قال بعض العلماء حذف الفاعل هنا وابهامه على السامع مدح عظيم لانه اذا حذف الفاعل اقتضى ان الذين يسبحون الانس والجن والملائكة والخلق أجمعون كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح

بحمده على أحد الاقوال ثم انه تعالى خصهم بالذكر فى قوله رجال لانالهيهم أى صفتهم ماذكر من المدح تشريفا لهم وعناية بهم فكأن السامع تشوق الى أن يعلم من هم المسبحون فعقبه بقوله رجال الآية والوقف فى هذه القراءة على الآصال ويبتدئ بقوله رجال ولو وقف على رجال لكان كفرا ويحكى أن بعض الافاضل صلى تحت منبر يوم الجمعة وكان الخطيب عاميا فقال الحمد لله المسبح بكسر الباء فقال له الفاضل ذاك أنا الذى أسبح باللغات المختلفة ومثل هذا ماسأله بعض العوام وقد رأى جنازة فقال من المتوفى بكسر الفاء فقال له رجل فاضل الله تعالى فأنكر العامى قوله فقال له الفاضل الله يتوفى الانفس حين موتها والميت متوفى بفتح الفاء وحكى أن بعض العميان سمع بعضهم يقول يامن يرى ولا يرى بضم الياء فى الكلمة الاولى وفتحها فى الثانية فقال له الاعمى لبيك ذاك أنا وحكى بعضهم انه سمع بعض السؤال يقول من يعطينى فلسا وأحيله على من يرى ولا يرى فقال له بعض أهل المجون فاذا أعطيتك من هو المطالب *(فائدة)* قوله تعالى لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار هذه الآية الكريمة أقوى دلائل المعتزلة فى الادلة السمعية على أن الله تعالى لايرى لانها صريحة (والجواب) أن الآية الاخرى تناقضها وهى قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وحديث عائشة رضى الله عنها انكم لترون ربكم يوم القيامة الحديث وأما شبههم فى قوله تعالى لاتدركه الابصار فقد أجاب الاشاعرة عنها بأن قالوا قوله تعالى لاتدركه الابصار نقيض لقولنا تدركه الابصار وقوله لاتدركه الابصار يقتضى أن كل أحد لايبصره لان الالف واللام اذا دخلتا على الجمع أفادتا الاستغراق ونقيض السالبة الكلية الموجبة الجزئية فكان معنى قوله تعالى لاتدركه الابصار لاتدركه كل الابصار ونحن نقول بموجبه فان جميع الابصار لاتراه ولا يراه الا المؤمنون وهذه النكتة هى معنى قولهم سلب العموم لايفيد عموم السلب *ومن حجج المعتزلة بالادلة السمعية أيضا قوله تعالى لموسى لن ترانى ولفظة لن تقتضى التابيد (والجواب) عن ذلك أنها لاتقتضيه بدليل قوله تعالى ولن يتمنوه أبدا فاخبر أنهم لن يتمنوا الموت وذكر لفظة أبدا وأيضا فقد تمنوه فى قوله تعالى ونادوا يامالك ليقض علينا ربك *ومن حجج الاشاعرة قول الامام فخر الدين الرازى رؤية الله تعالى معلقة على شرط جائز وكل ماعلق على شرط جائز فهو جائز فرؤية الله جائزة لان الرؤية علقت على شرط استقرار الجبل وهو جائز لقوله تعالى فان استقر مكانه فسوف ترانى وانما قلنا بجوازه لان الجبل جسم وكل جسم يمكن أن يكون ساكنا وانما قلنا ان المعلق على الجائز جائز لان بتقدير وقوع ذلك الشرط ان لم يحصل المشروط لزم الكذب فى اخبار الله تعالى وهو محال وان حصل كان الجواز قبله حاصلا وهذه نكتة حسنة والادلة السمعية على رؤية الله تعالى فى الدار الآخرة كثيرة منها قراءة من قرأ واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا بفتح الميم وكسر اللام ولا جائز أن يكون ذلك الملك الا الله تعالى وروى الجهورانه صلى الله عليه وسلم قرأ قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فقال الحسنى هى الجنة والزيادة هى النظر الى وجه الله تعالى وأول المعتزلة قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة بان المراد بناظرة منتظرة واستشهدوا بقوله تعالى فناظرة بم يرجع المرسلون واستشهدوا أيضا بالشعر وغيره والذى يقال فى جوابهم ان انتظرت فى اللغة يتعدى بغير حرف الجر وأما نظرت الى كذا بحرف الجر فلم يرد الا فى معنى الابصار ولئن سلمنا أن الانتظار يتعدى

الصرع عند امتلاء القمر فى كل شهر وكان لايعرف لنفسه مولدا ولكن كان قد عمل مسئلة عن عمره وأحواله وسأل عنها الزيادى المنجم ليكون أصح دلالة اذا اجتمع عليها طبيعتان طبيعة المسؤل وطبيعة السائل فخرج طالع تلك السنة السنبلة والقمر فى العقرب فى مقابلة الشمس والمريخ ناظر الى القمر من الدلو وهذه الصورة توجب الصرع ومات به سنة اثنتين وسبعين ومائتين وقيل كان سبب موته ان المستعين ضربه أسواطا لانه اخبر بشئ قبل كونه فاصاب فكان يقول أصبت فعوقبت

(وأظهرت جابر بن حيان على سر الكيمياء)

(الكيمياء) معروفة الاسم باطلة المعنى وليعقوب الكندى رسالة بديعة سماها ابطال دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة جعلها مقالتين يذكر فيهما تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله وخدع أهل هذه الصناعة وجهلهم ويقال ان أبا بكر الرازى رد عليه فى رسالة له ورأيت لابى عثمان الجاحظ فى كتاب الحيوان عند ذكر خلق الفار من الطين كلاما فى الكيمياء بعد فيه وقرب ولم يخرج على شئ من ابطالها وتحقيقها

بحرف الجر فنقول ان الانتظار كان حاصلا من المؤمنين فى الدنيا فلا فائدة فى ذكره يوم القيامة فلابد من شئ زائد على ما كان حاصلا قبل وهو النظر الى وجه الله الكريم جعلنا الله بفضله ممن يؤهل لذلك المقام ويخص بذلك الانعام العام وأورد الزمخشرى فى تفسيره هذين البيتين وهما قول بعض العدلية

جماعة سموا هواهم سنة * وجماعة حمر لعمرى موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا * شنع الورى فتستروا بالبلكفه

وأجاب عنهما بعض أهل السنة بقوله

عجبا لقوم ظالمين تلقبوا * بالعدل ما فيهم لعمرى معرفه
قد جاءهم من حيث لا يدرونه * تعطيل ذات الله مع نفى الصفه

وعلى ذكر قوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال قرأ بعض المغفلين فى بيوت أذن الله أن ترفع برفع بيوت فقال له آخر يا أخى انما القراءة فى بيوت بالجر فقال له يا مغفل اذا كان الله تعالى يقول فى بيوت أذن الله أن ترفع تجرها أنت ومن نوع الآية الكريمة قول الشاعر

ليبك يزيد ضارع لخصومة * ومختبط مما تطيح الطوائح

(رجع) بماء جار ومجرور متعلق بسقيت والباء هنا زائدة كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأنت زائدة مع المفعول لان سقى يتعدى بنفسه تقول سقاه وأسقاه بمعنى و(الغنج) مضاف الى مياه والاضافة معنوية مقدرة باللام (والكحل) معطوف على الغنج والجملة من قوله فسقيت الخ فى موضع النصب على الصفة لناشئة (المعنى) تقصد فتاة أو فتيات ناشئة بمنعطف الوادى ونصالها التى تحميها فسقيت بماء الغنج والكحل وهذا معنى قد أولع الشعراء به وأكثروا منه وهو أشهر من أن يستشهد له ولابد من لمعة منه قال ابن الساعاتى

حال من دونك يا أخت الكلال * مقل الحى وفرسان الاسل
ومواض مرهفات فتكت * بى وحاشاك ولا مثل الكحل

وقال أبو الشيص

يرمين ألباب الرجال بأسهم * قد راشهن الكحل والتهديب

وما أحسن قول عمر بن أبى ربيعة

تنكر الاثمد ما تعرفه * غير أن تسمع منه بخبر

يعنى أنها تستغنى عنه بالكحل الذى فى أجفانها وهذا يشبه قول المجنون

موسومة بالحسن ذات حواسد * ان الجمال مظنة للحسد
وترى مدامعها ترقرق مقلة * سوداء ترغب عن سواد الاثمد

ومن هنا أخذ ابن النبيه قوله

بيضاء كحلا لحاظها ناظر * منزه عن لوثة المرود

وقوله منزه أبلغ من قول المجنون ترغب وأحسن فى الذوق وقال ابن سناء الملك

تخطو وتخطر فى حلى وفى حلل * وتنثر السحر بين الكحل والكحل
كحلا مما اكتحلت بالميل عابثة * الا التنهض جفنيها من الكسل

وقال أيضا من أبيات

والصحيح الاشهر عدم العصمة فيها ولذكرها ههنا عقيب صناعة النجوم مناسبة لاقوال الناس فيهما * وأما جابر بن حيان المذكور فلا أعرف له ترجمة صحيحة فى كتاب يعتمد عليه وهذا دليل على قول أكثر الناس انه اسم موضوع وضعه المصنفون فى هذا الفن وزعموا انه كان فى زمن جعفر الصادق وانه اذا قال فى كتبه قال لى سيدى وسمعت من سيدى فانه يعنى به جعفر الصادق ومع ذلك فان الله تعالى أعلم بحقيقتها (واعطيت النظام أصلا أدرك به الحقائق)

هو ابراهيم بن سيار بن هانئ البصرى المعروف بالنظام ويكنى أبا اسحق شيخ من كبار المعتزلة وأئمتهم متقدم فى العلوم شديد الغوص على المعانى وانما أداه الى المذاهب التى استشنعت منه تدقيقه وتغلغله فانه كان قد اطلع على كثير من كتب الفلاسفة ومال فى كلامه الى الطبيعيين منهم والالهيين فاستنبط من كلامهم رسائل ومسائل وخلطها بكلام المعتزلة وانفرد بها عنهم مثل قوله ان الله تبارك وتعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصى خلافا لاصحابه لانهم قضوا بأنه قادر عليها لكنه

لها ناظر يا حيرة الظبي اذ رنا * به كحل ناداه يا خجلة الكحل
وأثقلها الحسن الذي قد تكاثرت * ملاحته حتى تثنت من الثقل

قال ابن جبارة قوله لها ناظر تحققنا ذلك ثم قال يا حيرة الظبي ولم يحار مع وجود المقاربة وعدم المباينة ثم جعل العلة في حيرته وجود الكحل ان هذه قرينة قريبة وفكرة غير صحيحة وهذا ان سلم ممن يأخذ عليه على المجازاة باذ ليست من حروف المجازاة وهل ينبغي أن يقول قائل اذ يقوم زيد قام عمرو ويريد بذلك التعليق وانما أراد سبك مثل المتنبي

* ليس التكحل في العينين كالكحل * ومن أحسن ما نقلته في التكحل والكحل قول بعضهم

زادت على كحل الجفون تكحلا * وبسم نصل السيف وهو قتول

وقال بعد كلام ساقه على البيت وقوله وأثقلها الحسن هذا قلب المعنى الذي ليس بمعنى وذلك أن الحسن فيما يظهر هو رونق يكون على محيا شخص فيستحسن به والملاحة هي وان كانت البياض في الأصل فهي في الاستعمال صفة صورة الذات من الحاجب والعين والانف والفم ولهذا يقال في العرف مليح حسن يعني ان الذات مكملة بالملاحة في صورة مستحسنة عند تأملها لبلوغ الامل ثم قال ولا ينبغي أن يقال هو حسن مليح لانه يجعل الوصف الذاتي تبعا لغيره وكان الصواب أن يقول أثقلتها الملاحة التي تكاثر حسنها ثم قال حتى تثنت من الثقل لو رفع ثلاثة الثقل لكان أليق بالبيت وبصنعه فلا يقال له أهويت ولا أوهيت وهل يتثنى الانسان من الثقل وانما يمشي قطعة واحدة في حال الثقل ثم قال وقد وكلت شرح هذا البيت لجزي عن معناه الى عريف الحجالين فعساه يعرف معناه ولقد أحسن الاعشى حيث يقول

كأن مشيتها من بيت جارتها * مشي السحابة لا ريث ولا عجل

وقال بشار بن برد

اذا قامت لحاجتها تثنت * كأن عظامها من خيزران

انتهى (قلت) هذا لعمري نقد حسن وسبيل ألقى اليه العنان والرسن ولو كان لي في البيت الاول حكم لقلت * لها ناظر يا حيرة الظبي عنده * وخلصت من اذ وعدم وضعها للمجازاة وأما قوله وأثقلها الحسن فابن جبارة معذور فيه لان حسنا يثقل صاحبه سمج بارد غث لان الحسن انما يفيد الخفة والحركة والنشاط وما مدح شيء بالثقل غير الارداف وما يتركها الشعراء بل يقرنونها بخفة الخصر ورشاقة القد ومنه قول شمسة الموصلية

هيفاء ان قال الشباب لها انهضي * قالت روادفها اقعدي وتمهلي

وقول الآخر وهو في غاية الحسن

هيفاء ان خطرت لحاجتها * عجل القضيب وأبطأ الدعص

وقول ابن رشيق

أحمل أثقالي على ردفه * وأمسك الخصر لئلا يضيع

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباته

سألت النقا والبان يحكي لناظري * روادف أو أعطاف من طال صدها
فقال كثيب الرمل ما أنا حاملها * وقال قضيب البان ما أنا قدها

فلما أصبحت أنشدته في معناه

لا يفعلها ومثل قوله ان الجوهر مؤلف من اعراض اجتمعت وقوله ان الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن معادن ونبات وحيوان وانسان ولم يتقدم خلق آدم على خلق أولاده غير أن الله تعالى أكمن بعضها في بعض وهذا قول أهل الكون من الفلاسفة وقوله في القرآن ان في قوى البشر أن تأتي بمثله الا أن الله تعالى صرف أذهانهم عن ذلك الى غير ذلك من مسائله المذكورة في كتب الاصوليين ومراد ابن زيدون بالحقائق غير ذلك من مسائله الحسنة المجيبة فانها كثيرة وانما عدت سقطات النظام الكثيرة اصابته وكان من صغره يتوقد ذكاء ويتدفق فصاحة (حكي) أن أباه جاء به وهو صغير الى الخليل بن أحمد ليعلمه فقال له الخليل يمتحنه وفي يده قدح زجاج يا بني صف لي هذه الزجاجة قال أمدح أم بذم قال بمدح قال ترى القذى ولا تقبل الاذى ولا تستر ما وراءه قال فذمها قال يسرع اليها الكسر ولا تقبل الجبر قال فصف لي هذه النخلة وأومأ الى نخلة في داره قال بمدح أم ذم قال بمدح قال حلو جناها باسق منتهاها ناضر أعلاها قال فذمها قال صعبة

يقول ردف حبيبي * وعطفه المثنى
ما أنت ياغصن قدى * ولا كنيتك وزنى

فقال ما أشبه نظمى ونظمك الا ببشار بن برد وسلم الخاسر (قلت) يريد بذلك قول بشار بن برد

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فاخذه منه سلم الخاسر وقال

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

والخفة أمر يطلب فى كل شئ ويستحسن الا تراهم يصفون الكؤس بها اذا ملئت مداما ولهذا قال الشاعر

ثقلت زجاجات أتتنا فرغى * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بما حوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

وقال ابن حديس

ويخف ملآنا وينقل فارغا * كالجسم تعدم روحه أو توجد

وقال أيضا

تخف ملأى وتعطى الثقل فارغة * كالجسم عند وجود الروح أو عدمه

وذكرت بقوله لا يعرفه الا عريف الجمالين مادار بين الصاحب جمال الدين بن مطروح وبين معين الدين بن لؤلؤ وقد دخل عليه يوما فانشده الصاحب وقال انظر ما أحسن هذا النظم

مازات أضممه الى أحشائى * حتى وهمت من ضمه أعضائى

فقال له معين الدين الله الله يا مولانا الصاحب قتلت هذا المسكين بالله ارفق به فاغتاظ الصاحب منه وقال أليس هذا أحسن من شعرك الذى للتراس حيث تقول

* ايالئ ايالئ منه والغرام به * فقال يا مولانا الصاحب ما أردت أن تقول الا كما قال بعضهم

أعانقه واشفاقى عليه * ينفس عنه من ضيق الخناق

فاعترف له بالاحسان وأما قول بشار بن برد * اذا قامت لحاجتها تثنت * البيت فقد حكى أن بشارا المسمع قول كثير عزة

الا انما ليلى عصا خيزرانة * اذا غمزوها بالاكف تلين

قال قاتل الله أبا صخر يزعم أنها عصا ويعتذر بانها خيزرانة والله لو قال عصا خ أو عصا زبد لكان قد هجنه ذكر العصا هلا قال كما قلت

وبيضاء المحاجر من معد * كأن حديثها أثر الجنان

اذا قامت لحاجتها البيت وأنشدنى الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان قال أنشدنى الشيخ علاء الدين على بن خطاب الباجى الاصولى لنفسه

رثى لى عذلى اذ عاينونى * وسحب مدامعى مثل العيون
ورام والخجل عينى قلت كفوا * فأصل بليتى كخجل الجفون

وأنشدنى الشيخ الامام الاديب الكاتب شهاب الدين أبو الثناء محمود اجازة قال أنشدنى لنفسه شيخنا الامام مجد الدين محمد بن التنوير الاربلى الحنفى أبياتا أولها

غش المفند كامن فى نصحه * فأطل وقوفك بالغوير وسفحه

ومنها

المرتقى بعدة اختى محفوفة بالاذى فقال الخليل يا بنى نحن الى التعلم منك أحوج ثم اشتغل على أبى الهذيل العلاف بمذهب الكلام الى أن برع وظهر فى أيام المعتصم وتبعه خلق كثير وكان أصل مذهبهم أنه من زعم أن الله تعالى شئ فهو كافر ثم ناظر شيخه أبا الهذيل وظهر عليه مرارا وقيل له أتناظر أبا الهذيل قال نعم وأطرح له رخامة عقلى (وحكى) الجاحظ عنه فانه كان من أكبر تلامذته وأصحابه قال دخل أبو اسحق النظام على أبى الهذيل وقد أسن وبعد عهده بالمناظرة وأبو اسحق حدث السن فقال يا أبا الهذيل أخبرنى عن قرارتكم أن يكون جوهرا مخافة أن يكون جسما فهلا فررتم من أن يكون جوهرا مخافة أن يكون عرضا والجوهر أضعف من العرض فبصق أبو الهذيل فى وجهه فقال أبو اسحق قبحك الله من شيخ فما أضعف حجتك (وحكى) عنه قال مات لصالح بن عبد القدوس ولد فعزى اليه أبو الهذيل والنظام معه وهو غلام حدث كالتبع له فرآه محترقا فقال أبو الهذيل لا أعرف لجزعك وجها اذا كان الناس عندك كالزرع فقال صالح يا أبا الهذيل انما أجزع عليه لانه لم يقرأ

ومنها
وفى الذى يغنيه فاترطرفه * عن سيفه وقوامه عن رمحه
ظبى يؤنس بالغرام نفاره * ويجد فى نهب القلوب بمزحه
ذو وجنة شرقت بماء نعيمها * كالورد أشرقه نداه برشحه
وكأن طرته وضوء جبينه * ليل تألق فيه بارق صبحه
ياشاهرا من جفنه عضبا غدا * ماء المنية باديا فى صفحه
قلبى وطرفى ذا يسيل دماوذا * دون الورى أنت العليم بقرحه
وهما بحبك شاهدان وانما * تعديل كل منهما فى جرحه
والقلب منزلك القديم فان تجد * فيه سوالك من الانام فمنحه

وانما أثبت هذه الابيات وان كان أكثرها ليس له علاقة ببيت الطغرائى لحسن نظمها وانسجام لفظها وانظر الى قافية البيت الاخير وتمكنها فى محلها كانها الشمس فى الحمل أو الدرة التى تم بها حسن العقد وكمل والقافية روح والبيت جسد فتى قلقت فيه ضعف تركيبه وفسد وتمكن القوافى دليل على قوة الناظم فى فنه وقلقها أدل على وقوف قريحته وجمود ذهنه وقال التهامى

طرقته فى أترابها فخلت له * وهنا من الغرر الصباح صباحا
أبرزن من تلك العيون أسنة * وهززن من تلك القدود رماحا
ياحبذا ذاك السلاح وحبذا * وقت يكون الحسن فيه سلاحا

وفى بيت الطغرائى من أنواع البديع الكناية وهى أبلغ من الصريح وأوقع فى النفوس ألا ترى ان قولك بعيدة مهوى القرط أبلغ من قولك طويلة العنق وقول امرئ القيس

ويضحى فتيت المسك من فوق فرشها * تؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

أبلغ من قوله منعمة ذات خدم وجوار يخدمونها فهى تنام الضحى ولم تشد وسطها بنطاق الخدمة وامرؤ القيس أبدع الناس فى الكناية لان الناس كانوا يقولون أسيلة الخد حتى جاء هو فقال أسيلة مجرى الدمع وكانوا يقولون طويلة القامة وتامة العنق حتى قال بعيدة مهوى القرط وكانوا يقولون فى الفرس السابق يلحق الغزال والظليم وما أشبه ذلك حتى قال قيد الاوابد * وعلى ذكر مهوى القرط أقول قد أنشدنى شيخنا العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود قال أنشدنى لنفسه شيخنا مجد الدين بن الظهير الاربلى من أبيات

حكى قرطها قلبى خفوقا فهل رثى * له أو عراه الوجد أو راعه الهوى

وهو فى غاية الحسن لانه استوفى أقسام الاسباب الموجبة لاضطراب القرط وما أحسن قول ابن سناء الملك

أما والله لولا خوف سخطك * لهان على ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبى وقرطك

وأخذه البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى فقصر عنه اذ قال

وأحوى فاتر الاجفان ألمى * رشيق قده رخص البنان
تملك قرطه والقلب منى * فصار له بذاك الخافقان

وقال ابن الساعاتى

كتاب الشكوك فقال أبو الهذيل وما كتاب الشكوك قال كتاب وضعته من قرأه شك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن وفيما لم يكن حتى يظن انه قد كان فقال له النظام فشك أنت فى موت ابنك واعمل على انه لم يمت وان مات وشك ايضا فى انه قد قرأ هذا الكتاب وان لم يكن قرأه فخصر صالح وكان مذهبه مذهب السوفسطائية فانهم يزعمون أن الاشياء لا حقيقة لها وان ما نشاهده يجوز أن يكون على ما نشاهده ويجوز أن يكون على غير ما نشاهده وان حال اليقظان كحال النائم (وحكى) الجاحظ قال تجاذبت يوما أنا وايا ه حديث الطيرة فقال أخبرك انى جعت حتى أكلت الطين وماصرت الى ذلك حتى قلبت قلبى أتذكر هل ثم رجل أصيب عنده غداء أو عشاء فما قدرت عليه وكان على جبة وقميص فبعت القميص ثم قصدت الاهواز وما أعرف بها أحدا وما كان ذلك ناشئا الا عن الحيرة والضجر فوافيت الفرضة فلم أجد بها سفينة فتطيرت من ذلك ثم انى رأيت سفينة فى صدرها خرق وهشم فتطيرت أيضا فقلت للملاح تحملنى قال نعم قلت ما اسمك قال داود اذ بالفارسية وهو

يزول زوال الظل صبرى وعهدها * ويخفق خفق الآل قلبى وقرطها

وما ألطف ما اعتذر به الوراق الخطيرى عن خفق الفؤاد عند رؤية المحبوب فى قوله

يقول لى حين وافى * قد نلت ما ترتجيه
فالقلب أضحى * يخفقة تعتريه
فقلت وصلك عرس * والقلب يرقص فيه

ومنه قول الآخر

لا تنكروا خفقان قلبى والحبيب لدى حاضر
ما القلب الا داره * دقت له فيها البشائر

وما أحسن قول ابن سناء الملك

أوسعت فيه الدهر عتبا ولاما * فأجابنى بالافك والبهتان
قلبى يحاسبنى على اجرامه * ويعدها يا أمل الخفقان

وقول القاضى الفاضل

وقد خفقت رايته فكأنها * أمل فى عمر العدو تحاسبه

وقول معين الدين بن لؤلؤ

لم أنسه اذ قال أين تحلنى * حذرا على من الخيال الطارق
فأجبته قلبى فقال تعجبا * أرأيت عمرك ساكنا فى خافق

على أنه أخذه من قول الآخر

وسكنت قلبا خافقا * يا ساكنا فى غير ساكن

---

*(قد زاد طيب أحاديث الكرام بها * ما بالكرائم من جبن ومن بخل)*

(اللغة) أحاديث جمع حديث على غير قياس قال الفراء يرى أن واحد الاحاديث أحدوثة ثم جعلوه جمعا للحديث (الكرام) جمع كريم ويجمع أيضا على كرماء والكريم ضد البخيل تقول قد كرم بالضم فهو كريم وهو أيضا ضد اللئيم لان الكريم هو الذى يجمع الصفات الجيدة وهذا المعنى هو المراد فى البيت وما أحسن ما أنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

بالروح أفدى معرضا لم أزل * فى كل وادمن هواه أهيم
مبخل يشبه ريم الفلا * واطول شجوى من بخيل كريم

ونقلت من خط علاء الدين الوداعى له

ما أنت أول سائل محروم * من باخل بادى النفار كريم

وأخذه الوداعى من نور الدين الاسعردى فانه قال فى غلام مغن

وغزال أغن غنى فأغرى * اذ شدا بالغرام كل مليم
قلت جد لى بقبلة قال خذها * وارتشف من لمای بنت الكروم
است أبغى ما عشت عنه سلوا * كيف أسلو عن حب شاد كريم

وحاولت أنا نظم شئ فى هذه المادة ففتح على فقلت

كفلت حل غرامى * له بفرط تحولى
فهل سمعتم بغيرى * فى السقم مضنى كفيل

اسم شيطان فتطيرت فركبت معه فلما قربت من القرية صحت يا جمال ومر بى لحاف سمل ومضربة خلق وبعض ما لا بد منه فكان أول جمال أجابنى أعور فقلت لبقار كان واقفا بكم تكرى ثورك هذا الى الخان فلما أدناه منى اذ هو أعضب فازددت طيرة الى طيرة وقلت فى نفسى الرجوع أسلم ثم ذكرت حاجتى الى أكل الطين وقلت ومن لى بالموت فلما صرت الى الخان وأنا حائر ما أصنع اذ سمعت قرع باب البيت الذى أنا فيه فقلت من هذا فقال رجل يريدك فقلت من أنا فقال ابراهيم بن سيار النظام فقلت هذا عدو ورسول سلطان ثم انى تحاملت وفتحت له الباب فقال أرسلنى اليك ابراهيم ابن عبد العزيز ويقول لك ان كنا اختلفنا فى المقالة فانا نرجع بعد ذلك الى حقوق الاخلاق والحرية وقد رأيتك حيث مررت بى على حال كرهتها وينبغى أن تكون نزعت بك حاجة فان شئت فاقم بمكانك مدة شهر أو شهرين فعسى نبعث اليك ببعض ما يكفيك زمانا من دهرك وان اشتهيت الرجوع فهذه ثلاثون دينارا فخذها وانصرف وأنت أحق من عذر قال فورد على أمر أذهلنى أما واحدة فانى لم أكن ملكت

وقلت ايضا

واخوان وثقت بهم فأضحى * أذاهم يعترينى كل حين
ولما أن أسأت الظن كفوا * فواعجباه من ظن يقين (ى)

(رجع) الكرام جمع كريمة (الجبن) ضد الشجاعة وما أحسن قول ابن النقيب فيما أظن

أقول وقد شنوا الى الحرب غارة * دعونى فانى آكل الخبز بالجبن

وكتب القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر كتابا الى الملك الظاهر مع زيتون الفرنجى قريبا من عكا وهرب زيتون واسر غالب من كان معه من الفرنج فجاء من جملة الكتاب وفرز زيتون من الجبن قيل ان الظاهر لما سمعها أعجبته وخلع عليه والجبن الذى هو ضد الشجاعة مخفف والذى يؤكل مشدد النون وقد تخفف وتقول فى الاول قد جبن بكسر الباء وضمها فهو جبان (البخل) بضم الباء وسكون الخاء وعن الكسائى بتحريك الخاء مضمومة وهو ضد الكرم (الاعراب * قد) تقدم الكلام عليها (زاد) فعل ماض والف زاد منقلبة عن ياء لانه من الزيادة والياء تظهر فى المضارع والف الماضى على الفتح لانه أخف الحركات (طيب) مفعول به وقد تقدم الكلام على المفعول به (أحاديث) مجرور بالاضافة وهى بمعنى اللام ويجوز أن تكون بمعنى فى (الكرام) مضاف الى أحاديث والاضافة بمعنى اللام أيضا (بها) جار ومجرور ولم يظهر الجر لانه ضمير وهو راجع الى ناشئة والباء هنا تصلح أن تكون بمعنى عن كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع وانما قلت انها بمعنى عن لانك تقول حدثت عنه ويحتمل غير ذلك (ما) اسم ناقص بمعنى الذى ولا يتم الا بصلة وعائد وموضعها من الاعراب الرفع على أنها فاعل زاد ومفعول طاب الذى تقدم وما تأتى فى الكلام لمعان منها أن تكون للتعجب كقولك ما أحسن زيدا ومنها أن تكون للنفى كقولك ما قام زيد ومنها أن تكون للاستفهام عما لا يعقل وعن صفات من يعقل فاذا قلت ما عندك قيل فرس واذا قلت ما زيد قيل عالم وهنا تنبيه وهو أنها فى هذه المواطن لا تحتاج الى صلة ولا صفة لانها أمكنة ابهام ومنها أن تكون للشرط كقوله تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله ومنها أن تكون مصدرية كقولك أعجبنى ما عملت أى عملك وكقوله تعالى بما كانوا يكذبون أى بتكذيبهم ومنها أن تكون بمعنى الذى فهى تحتاج حينئذ الى صلة وعائد كقوله تعالى فاصدع بما تؤمر أى بالذى تؤمر به والصدع به فحذفت الباء فاجتمعت الالف واللام والاضافة فحذفتا فبقى يصدعه ثم حذف المضاف فبقى به ثم حذف الجار فبقى تؤمره ثم حذفت الهاء العائدة وهو الكثير قال الاصفهانى فى شرح اللمع لم يأت فى القرآن اثبات العائد الا فى ثلاث آيات وهى الذى يتخبطه الشيطان من المس وكالذى استهوته الشياطين واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا * وعلى ذكر ما الموصولة أنشدنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى قال أنشدنى والدى أبو عمرو محمد قال أنشدنى والدى أبو بكر محمد قال أنشدنى ابن عروة القيسى قال أنشدنى أبو عبد الله محمد بن أبى محمد بن على بن سعيد بن حزم الظاهرى لنفسه

تجنب صديقا مثل ما واحذر الذى * تراه كعمرو بين عرب وأعجم
فان صديق السوء يزرى وشاهدى * كما شرقت صدر القناة من الدم

قلت قوله مثل ما أى صديقا يحتاج الى ما يكمله كاحتياج ما الموصولة الى الصلة والعائد

قبل فى جميع دهرى ثلاثين دينارا والثانية انه لم يطل مقامى وغيبتى عن أهلى والثالثة ما تبين لى من الطيرة انها باطل * وتوفى فى النظام سنة احدى وعشرين ومائتين وله من العمر ست وثلاثون سنة وله كلام حسن وشعر رقيق ومن كلامه العلم شئ لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطائه لك البعض على خطر وقال كنا نلهو بالاماني ونعد انفسنا بالمواعيد فذهب من كان يجهز ثم اشتغلنا بالهموم عن الآمال وقال مما يدل على لؤم الذهب والفضة صيرورتهما عند اللئام فالشئ يصير الى شبهه والجنسية علة الضم * وقال اذا كانت فى جيرانك جنازة وليس فى بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة فان المصيبة عندك أكثر منها عند القوم وبيتك أولى بالمأتم وقال أبو العيناء انشدت النظام

اذا هم النديم له بلحظ
تمشت فى مفاصله الكلوم
فقال ما ينبغى أن ينادم هذا الا أعمى ثم نظر المعنى فى شعره

ومن شعره

ذكرتك والراح فى راحتى
فشبت المدام بدمع غزير
فان ينفد الدمع فرط الاسى
بكتك الحشى بدموع الضمير

ومنه ايضا

واحذر الذى تراه كعمرو أى صديقا فيه زيادة لاحاجة اليها كالواو التى فى آخر عمرو لان صديق السوء يزرى بصاحبه كما ان المؤنث اذا جاور المذكرا كسبه التأنيث كقولهم ذهبت بعض أصابعه وكقول الاعشى

وتشرق بالقول الذى قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

لان صدر الذى هو مذكر لما أضيف الى القناة أنث فعله وهو شرقت والتأنيث سوغ بالنسبة الى التذكير قال الله تعالى قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وهذا البيت مما أنشده سيبويه وأهل الكوفة يستشهدون به وساقها ابن السكيت فى كتاب المذكر والمؤنث له ويحتمل أن يكون أراد بالذى كعمرو عمرا الذى فى قول الشاعر

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

والاول أليق وأحسن وما أحسن قول أمين الدين الحلى

عليك بأرباب الصدور فمن غدا * مضافا لأرباب الصدور تصدرا
واياك أن ترضى بصحبة ناقص * فتحط قدرا من علاك وتحقرا
فرفع أبو من ثم خفض مزمل * يحقق قولى مغريا ومحذرا

(قلت) قد تركت هذا المعنى غفلا ولم أوضح لك معناه لتعمل فيه فكرتك وتشحذ ذهنك فى استخراج النكتة منه فانه اذا ظهر لك هز عطفك وكاد يطير بلبك (رجع) ومنها أن تكون نكرة موصوفة كقول الشاعر

ربما تكره النفوس من الامـ * ـر له فرجة كحل العقال

أى رب شئ مكروه ومنها أن تكون زائدة كقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وعما قليل ومنها أن تكون كافة وهى التى تدخل على ان واخواتها وعلى رب فتكف الجميع عن العمل كقوله تعالى انما الله اله واحد ومن العرب من يقول انما زيدا قائم بنصب زيد وابقاء عمل ان وقد جمع بعضهم هذه الانواع التسعة فى بيت واحد فقال

تعجب بما الشرط زد صل انكر واصفا * وتستفهم انف المصدرية واكففا

وقد تكون ما بمعنى ليس فتعمل عملها فترفع الاسم وتنصب الخبر وسألت الشيخ الامام أثير الدين أبا حيان فى كم موضع من القرآن وردت ما بمعنى ليس فقال فى ثلاثة مواضع * أحدها ما هذا بشرا * والثانى فما منكم من أحد عنه حاجزين وزعم بعضهم أن حاجزين صفة لاحد وليس بشئ لان الصفة يستغنى عنها والخبر محط الفائدة * والثالث ما هن أمهاتهم وهذه لغة الحجاز فأما بنو تميم فانهم يرفعون معها الجزأين فيقولون ما زيد قائم ومنه قول القائل

ومهفهف الاعطاف قلت له انتسب * فاجاب ما قتل المحب حرام

يعنى أجاب انه من بنى تميم لانه نطق بلغتهم (رجع) بالكر انثم جار ومجرور والباء هنا للالصاق وهذا الجمع لا يقع بهذه الصيغة الا للمؤنث وشذ منه ثلاثة جموع وهى فوارس وهوالك ونواكس أما فوارس فلانه لا يكون الا فى الذكور ولا يكون فى الاناث فامس فيه اللبس وأما هوالك فانما جاء فى المثل هالك فى الهوالك جريا على الاصل والامثال يجئ فيها ما لا يجئ فى غيرها

ماتارکی جسدا بغیر فؤاد
أسرفت فی الهجران والابعاد
ان کان یمنعک الزیارة أعین
فادخل الی بعلة العواد
ان العیون علی القلوب اذا
جنت
کانت بلیتها علی الاجساد
ومنه
أرید الفراق وأشتاقکم
کانا افترقنا ولم نفترق
وأستغنم الوصل کی أشتفی
وهل یشتفی أبدا من عشق
ومنه
یروع منا جیه بهاروت
لفظه
ویؤنسه منه بصورة آدم
تری فیه لاما فردة فوق وردة
وفصا من الیاقوت من فوق خاتم
ومنه
وشادن ینطق بالظرف
یقصر عنه منتهی الوصف
رق فلو برت سرا یله
علقه الجو من اللطف
یجرحه اللحظ بتکراره
ویشتکی الایماء بالطرف
أفدیه من مغری بما ساءنی
کانه یعلم ما أخفی
وقیل له وهو فی مرضه وفی
یدیه قدح من زجاج مملوء
من بعض الادویة ما هذا فقال
أصبحت فی دار بلیات
أدفع آفات بآفات
(وجعلت للکندی رسما استخرج
به الدقائق)

غيرها وأما نواكس فاجاءه الا في ضرورة الشعر والجواب ان الاخيران ليس فيهما تعليل يعتمد عليه والجار والمجرور متعلق بمحذوف لازم اضماره لوقوع الجار والمجرور صلة الموصول وهو ما التي تقدمت في قوله ما بالكرائم تقديره قد زاد طيب أحاديث الكرام بها الذي استقر بالكرائم أو الذي يكون بالكرائم * (قاعدة) * كل جار ليس بزائد ومجرور أو ظرف لابد وان يتعلق بفعل أو بما فيه معنى الفعل وما فيه معنى الفعل الاسماء التي تعمل عمل الفعل والجار والمجرور والظرف اذا تعلقا باستقرار محذوف فالجار والمجرور ومثل زيد في الدار أي مستقر في الدار والظرف مثل زيد عندك أي مستقر عندك والمتعلق اما أن يكون ملفوظا به أو مقدرا والمقدر اما أن يكون لازم الاضمار أولا ولازم الاضمار له أربعة مواضع * الاول أن يقع خبر الذي خبر * الثاني أن يقع صفة لموصوف * الثالث أن يقع صلة لموصول * الرابع أن يقع حالا الذي حال في الصلة لا يقدر الا بالفعل لان الصلة لا تكون الا جملة وفي البواقي بالفعل وغيره وغير لازم الاضمار كقولك بزيد في جواب من قال بمن مررت (رجع) من حيث جار ومجرور ومن هنا لبيان الجنس (ومن بخل) معطوف عليه (المعنى) قد زاد طيب الاحاديث بين الكرام اذا تسامروا ما يوجد في النساء الكرائم من الجبن والبخل وهما تان الصفتان محمودتان في النساء مذمومتان في الرجال لان المرأة اذا كان فيها شجاعة ربما كرهت بعلها فأوقعت به فعلا أدى الى هلاكه أو تمكنت من الخروج من مكانها على ما تراه لانها لا عقل لها يمنعها عما تحاوله وانما يصدها عما يقتضيه عقلها الجبن الذي عندها والخوف فاذا لم يكن لها مانع من الجبن أقدمت على كل قبيح وتعاطت ما تختاره اقداما منها على ما يأمرها به عقلها * وقصة شر حبيل بن الحريت مع زوجته مية بنت عمرو بن مسعود مشهورة وملخصها انها كانت نائمة الى جانبه في الفراش فاقبل أسود سالخ فالتحافاه لينهشه والسراج يزهر فأخذت بحلقه وخنقته الى أن مات وتركته تحت الفراش فلما أصبح جاء أبواه اليه ليصبحاه وكانا يفعلان ذلك كل يوم تعظيما له فاخرجت السالخ اليهما ميتا فقالوا من قتل هذا قالت أنا ولو كان أشد منه لقتلته فقال أبوه يا شر حبيل خل عنها فهي للرجل أقتل فطلقها مكرها * وفي كتاب الفرج بعد الشدة حكاية غريبة جرت لبعض الغرباء مع ابنة القاضي بمدينة الرملة لما أمسكها بالليل بالجبانة وهي تنبش القبور وكانت بكرا فضربها فقطع يدها وهربت منه فلما أصبح ورأى كفها ملقى وفيه النقش والخواتم علم أنها امرأة فتتبع الدم الى أن رآه قد دخل بيت القاضي فما زال حتى تزوجها ولما كان بعض الليالي لم يشعر بها الا وهي على صدره وبيدها خنجر فما زالت به حتى حلف لها بطلاقها على انه يخرج من هذه البلدة ولا يعود اليها أبدا واذا كانت المرأة سمحة جادت بما في بيتها فاضر ذلك بحال زوجها ومتى علم منها الجود بما يطلب منها ربما حصل الطمع فيها بامر آخر وراء ذلك ولهذا جاء في القرآن العظيم فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ولان المرأة ربما جادت بالشيء في غير موضعه قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قيل النساء والصبيان وبالجملة فما حمد أحد من العقلاء كرم المرأة ولا شجاعتها وما أحسن قول أبي اسحق الغزي

غريرة تخطف الابصار شاخصة * من حولها ببروق البيض والاسل
تمشي الى القوم جادوا وهي باخلة * والجود في الخود مثل الشح في الرجل

(الكندي) هو يعقوب ابن الصباح المسمى في وقته فيلسوف الاسلام من ولد الاشعث بن قيس كان أبوه ابن الصباح من ولاة الاعمال بالكوفة وغيرها في أيام المهدي والرشيد وانتقل يعقوب الى بغداد واشتغل بعلم الادب ثم بعلوم الفلسفة جميعها فاتقنها وحل مشكلات كتب الاوائل وحذا حذو ارسطاطاليس وصنف الكتب الجليلة الجمة وكثرت فوائده وتلامذته وكانت دولة المعتصم تتحمل به وبمصنفاته وهي كثيرة جدا ومن أجودها كتاب أقسام العقل الانسي وكتاب الجوامع الفكرية وكتاب الفلسفة الاولى * وله أخبار حسنة ونوادر في البخل وغيره فمن أخباره حكي انه كان حاضرا عند أحمد بن المعتصم وقد دخل أبو تمام فانشده قصيدته السينية فلما بلغ الى قوله

اقدام عمرو في سماحة حاتم
في حلم أحنف في ذكاء اياس

قال الكندي ما صنعت شيأ قال كيف قال ما زدت على أن شبهت ابن أمير المؤمنين بصعاليك العرب وأيضا ان شعراء دهرنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله الا ترى الى قول العكوك في أبي دلف حيث قال

وانظر ما أحسن هذا النصف الثانى من البيت الثانى فان فيه مع ارسال المثل الجناس بين الجود والخود وهو جناس التصحيف وقال أيضا

من ضنها بالطيف توعدنا * ليطير طيب النوم بالقل
دعها فلو سمحت به سمحت * جودا النساء يعد فى البخل

وكذا اتفق له فى هذا البيت الثانى الجناس المصحف فى سمحت وسمحت وهو مأخوذ من قول عاتكة بنت المهدى

بنى الحب على الجور فلو * أنصف المحبوب فيه لسمح

وما أحسن قول ابن الرومى

ما للحسان مسيئات بنا ولنا * الى المسيئات طول الدهر احسان
فان تبعن بعهد قلن معذرة * انا نسينا وفى النسوان نسيان
لا نلزم الذكر انا لم نسم به * ولا منحناه بل للذكر ذكران
فضل الرجال علينا أن شيمتهم * جود وباس وأحلام وأذهان
وأن فيهم وفاء لا يقوم به * وهل يقوم مع النقصان رجحان

وقال ابن نباتة السعدى

كسلى تزور مع الظلام لما * طيف فأعدى طيفها الكسل
بخلت بما جاد الرقاد به * ومن الغوانى يحسن البخل

وما أبلغ قول ابن الهبارية يهجو

ياواسطيون ثقوا انى * بهجوكم بين الورى مولع
ما فيكم كلكم واحد * يعطى ولا واحدة تمنع

*(تبيت نار الهوى منى فى كبد * حرى ونار القرى منهم على القلل)*

(اللغة) تبيت أى تمسى (النار) معروفة وهى هنا مجاز وفى قوله نار القرى حقيقة والنار عنصر مضىء مركزه فوق الهواء لانها حارة يابسة والهواء حار رطب فنزل عنها والهواء مركزه فوق الماء لان الماء بارد رطب فنزل عن الهواء والماء مركزه فوق الارض لانها باردة يابسة فالنار والهواء يطلبان فوق والماء والارض يطلبان أسفل لانك اذا نكست الشعلة الى أسفل انقلبت الى فوق واذا ملأت زقا مثلا هواء وقسرته على المكث فى الماء ورفعت القاسر طلب الزق جهة فوق وعلا الماء واذا تحيلت على صعود الماء الى فوق بالقوارات والزراقات بلغ غاية الرفع ثم أخذ فى الهبوط واذا حذفت الحجر الى فوق بلغ غايته ثم تصوب منحدرا وترتيب النار أولا والهواء ثانيا والماء ثالثا والارض رابعا هو الصحيح ومنهم من قال ان الارض فى وسط العالم ومنهم من قال انها أول العناصر ثم تلطف الماء عنها ثم تلطف الهواء عنه ثم تلطفت النار عنه ومنهم من قال ان الماء هو أصل الاربعة والارض كثيفة والذى علاها لطيف ومنهم من قال الهواء الاصل فالنار لطيفة والذى سفل عنه كثيف والصحيح الاول على ما تقرر فى الطبيعى لان حدوث النار مسبب عن اصطكاك أجرام الافلاك والكلام فى هذا يطول وهو مستقصى فى أماكنه من كتب الحكمة وقول ابليس خلقتنى من نار وخلقته من طين افتخار بعنصر النار لانه مضىء مشرق فاعل الحرارة التى هى سبب النمو والنشوء ومركزه فوق

ويعارض

رجل أبر على شجاعة عامر بأسا وغير فى محيا حاتم فاطرق أبو تمام ثم انشد لا تنكروا ضربى له من دونه مثلا شرودا فى الندى والباس فالله قد ضرب الاقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس ولم يكن هذا فى القصيدة فتعجب منه ثم طلب ان تكون الجائزة ولاية عمل فاستصغر عن ذلك فقال الكندى ولوه فانه قصير العمر لان ذهنه ينحت من قلبه فكان كما قال وقد يكون فى ذلك الوقت ظهرت له دلائل من شخصه على قرب أجله وسمع الكندى انسانا ينشد ويقول

وفى أربع منى حلت منك أربع
فاأنا أدرى أيها هاج لى كربى
خيالك فى عينى أم الذكر فى فمى
أم النطق فى سمعى أم الحب فى قلبى

فقال والله لقد قسمها تقسيما فلسفيا * وقال يوما لجارية كان يهواها انى أرى فرط الاعتياصات من المتوقعات على طالبى المودات مؤذنات بعدم المعقولات فنظرت اليه وكان ذا لحية طويلة فقالت ان اللحى المسترخيات على صدور أهل الزكاكات محتاجات الى المواسى الحالقات * ومن نوادره وكلامه فى

ويعارض بأن الارض مركز الحياة والمشو للحيوان والنبات بخلاف النار فانها اذا استولت على شئ من ذلك أفسدته وهى مفرطة الكيفية والارض معتدلة وان كانت النار حسنة اللون فى الحس الباصر فانها مضرة بحس اللمس والارض لا تؤذى باللمس فثبت أن النار ليست أشرف من الارض خلافا لبشار بن برد فانه قال فى ذلك

ابليس خير من أبيكم آدم * فتنبهوا يامعشر الفجار
النار جوهرة وآدم طينة * والطين لا يسمو سمو النار

وقال بعضهم النار عند العرب أربعة عشر نارا وهى نار المزدلفة توقد حتى يراها من دفع من عرفة وأول من أوقدها قصى بن كلاب ونار الاستسقاء كانوا فى الجاهلية اذا تتابعت عليهم السنون جمعوا ما قدروا عليه من البقر وعلقوا فى عراقيبها وأذنابها العشر والسلع ثم صعدوا بها فى جبل وعر وأضرموا فيها النار وعجوا بالدعاء يزعمون أنهم يمطرون بذلك ونار التحالف كانوا اذا تعاقدون الحلف الاعلى بها ويطرحون فيها الملح والكبريت فاذا استشاطت قالوا هذه النار قد تهددتك ونار الغدر كانوا اذا غدر الرجل بجاره أوقدوا له نارا بمنى أيام الحج ثم صاحوا هذه غدرة فلان ونار السلامة توقد للقادم من سفره سالما غانما ونار الزائر والمسافر وذلك أنهم كانوا اذا لم يحبوا أن يرجع الزائر أو المسافر أوقدوا خلفه نارا وقالوا أبعده الله وأسحقه ونار الحرب وتسمى نار الأهبة يوقدونها على يفاع اعلاما لمن بعد عنهم ونار الصيد يوقدونها للظباء لتمشى أبصارها ونار الأسد كانوا يوقدونها اذا خافوه لانه اذا رآها أحدق اليها وتأملها ونار السليم توقد للدوغ اذا سهر والمجروح اذا أنزف ومن الكلب الكلب يوقدونها حتى لا يناموا ونار الفداء كانت ملوكهم اذا سبوا قبيلة وطلب منهم الفداء كرهوا أن يعرضوا النساء نهارا لئلا يفتضحن ونار الوسم التى يسمون بها الابل لتعرف ابل الملوك فترد الماء أولا ونار القرى وهى أعظم النيران ونار الحرتين وهى التى أطفأها الله بخالد بن سنان العبسى احتفر لها بئرا ثم أدخلها فيها والناس يرونه ثم اقتحم فيها حتى غيبها وخرج منها (رجع) الهوى مقصور ميل النفس وجمعه أهواء (الكبد) واحدة الاكباد وفيها لغتان كبد بالتحريك والسكون و(حرى) مؤنث حار (القرى) الضيافة (القلل) جمع قلة وهى أعلى الجبل وقلة كل شئ أعلاه (الاعراب * تبيت) فعل مضارع تقول بات يبيت وبيات بيتوتة وبياتا وهو مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم وبات من أخوات كان (نار) مرفوع على أنه اسم بات و(الهوى) مضاف اليه والاضافة معنوية بمعنى اللام ولم يظهر الجر لانه مقصور (منهن) جار ومجرور ولم يظهر الجر لانه ضمير والضمائر كلها مبنية وهن ضمير جماعة المؤنث يرجع الى فتيات الحى ونسائه اللاتى تقدم ذكرهن (فى كبد) جار ومجرور وفى هنا ظرفية تتعلق بمحذوف وهذا الجار والمجرور سد مسد الخبر الذى لبات لانها من أخوات كان ترفع الاسم وتنصب الخبر تقديره تبيت نار الهوى منهن مستقرة فى كبد (حرى) مجرور على الصفة لكبد وقد وافق الموصوف فى الافراد والتأنيث والتنكير والجر لان الكبد مؤنثة وحرى لا ينصرف لانه مؤنث بالالف المقصورة لان ألف التأنيث سواء كانت ممدودة أو مقصورة تمنع الاسم من الصرف وهى علة مستقلة تمنع الصرف بخلاف التاء وانما كان كذلك لان مطلق التأنيث فرع ولزومه كتأنيث آخر والالف بهذه المنزلة لانها لازمة مع الكلمة من أول الامر والتاء تنفك فى المذكر ولان الالف

البخيل كان يقول من شرف البخل أنك تقول للسائل لا ورأسك الى فوق ومن ذل العطاء أنك تقول نعم وأنت برأسك الى أسفل وكان يقول سماع الغناء برسام حاد لان الانسان يسمع فيطرب فينفق فيسرف فيفتقر فيغتم فيعتل فيموت وقال عمرو بن ميمون تغديت يوما عند الكندى فدخل جاره فدعوته الى الطعام فقال الرجل والله لتغديت فقال الكندى ما بعد الله شئ فكفه كتافا ونشط ليأكل معه لكان كافرا ومن وصيته لولده يابنى كن مع الناس كلاعب الشطرنج تحفظ شيئك وتأخذ من شيئهم فان مالك اذا خرج من يديك لم يعد اليك واعلم أن الدينار محروم فاذا دمرقته مات واعلم انه ليس شئ أسرع فناء من الدينار اذا كسر والقرطاس اذا نشر ومثل الدرهم كمثل الطير الذى هو لك مادام فى يدك فاذا طار عنك صار لغيرك وقال المتلمس

قليل المال تصلحه فيبقى
ولا يبقى الكثير مع الفساد
لحفظ المال خير من فناه
وسير فى البلاد بغير زاد

واعرف هنا بيتا بيت أكثر من مائة ألف فى المساجد وهو قول القائل

تستمر فى الجمع ولا تفارق فى مثل حبلى وحبالى واما التأنيث بالتاء فيفارق مثل مسلمة ومسلمات ولهذا لم يدخل حرى التنوين وحرى يكتب بالياء (ونار) الواو عاطفة عطفت الاسم على الاسم والنار هنا حقيقة وفى الاول مجاز وهو مرفوع على أنه اسم ثان لتبيت (القرى) مجرور بالاضافة وهى هنا معنوية بمعنى اللام ولم يظهر الجر لانه مقصور والهوى والقرى يكتبان بالياء أيضا لانهما من هويت وقريت (منهم) اعرابه كاعراب منهن و(على القال) جار ومجرور ومتعلق بمحذوف كما قلنا فى كبدوعلى هنا للاستعلاء وقال فى النار الاولى منهن لان الضمير يعود الى نساء الحى وفى النار الثانية منهم لان الضمير يعود الى رجاله الذين جعلهم عدا كالاسود (المعنى) أن هذا الحى الذى أريد طروقه له نار ان نار لنسائه تبيت فى كبد حرى ونار لرجاله تبيت للقرى مضرمة على القال وهذا فى غاية المدح لهذا الحى لان نساءه حسان ورجاله كرام وفى قوله كبد حرى منكرا نكتة كانه قال نار نسائه فى كبد واحدة وهى كبدى لانهن غير متبذلات لان يراهن فيشاركنى فى محبتهن أحد ونار قراهم على القال تبدو لكل ناظر وقد جمع بين وصف النساء ووصف الرجال فى بيت واحد وهو من البلاغة ومن هذا قول ابن الساعاتى

يا دمية الحى الحسان جفانه * لله ما صنعت بنا جفناك
أغنت لحاظك عن ظبات سيوفهم * فبها بلغت من القلوب مناك
أمضى وماحهم قواملك ان يكن * حرب وخير سيوفهم عيناك

وقوله أيضا

وأبى الهوى لو كنت أملك قوة * تذر الوشيج براميتين مكسرا
لطرقت دون الحى غير مراقب * ذاك الكناس ورعت ذاك الجؤذرا
ولزرت بيضاء المضارب صاليا * اما بنار الحرب أو نار القرى
يا دمية الحى المقدس تربه * فكلاهما يطؤن مسكا أذفرا
آنست نارك فى التهائم دونها * جمرات قومك فى الذوائب والذرا
ويظن غاش أنها ما أضرمت * من خيمة الظلماء الا عنبرا

وأنشدنى الشيخ الامام شهاب الدين محمود قال أنشدنى الشيخ مجد الدين محمد بن الظهير الاربلى لنفسه اجازة

حيث الاراكة والكثيب الاوعس * واديه يمرعه الغوادى مقدس
وبكل خدر منه ليث خادر * أفغابة ذاك الحمى أم مكنس
يا جيرة الحى المظلل بالقنا * هل نار كم بسوى الاضالع تقبس
أضرمتموها للنزيل ودونها * غيران فتاك الحفيظة أشرس

وما أحلى قول أبى طاهر بن حيدر البغدادى

خطرت فكاد الورق تسجع فوقها * ان الحمام لمغرم بالبان
من معشر نشروا على تاج الربا * للطارقين ذوائب النيران

وهذه الاستعارة فى غاية الحسن وهو مأخوذ من قول الاول

يبيتون فى المشتى حماصا وعندهم * من الزاد فضلات تعد من القرى
اذا فضل عنهم طارق رفعوا له * من النار فى الظلماء ألوية حمرا

وقال

فسر فى بلاد الله والتمس الغنى
تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا
فاحذر يا بنى أن تلحق بهم
* ومن كلامه فى الفلسفة
علوم الفلسفة ثلاثة فاولها العلم الرياضى فى التعليم وهو أوسطها فى الطبع والثانى علم الطبيعيات وهو أسفلها فى الطبع والثالث علم الربوبية وهو أعلاها فى الطبع وانما كانت العلوم ثلاثة لان المعلومات ثلاثة اما علم ما يقع عليه الحس وهو ذوات الهيولى واما علم ما ليس لذى هيولى اما أن يكون لا يتصل بالهيولى البتة واما أن يكون قد يتصل بها فأما ذات الهيولى فهى المحسوسات وعلمها هو العلم الطبيعى واما أن يتصل بالهيولى فان له انفرادا بذاته كعلم الرياضيات التى هى العدد والهندسة والتنجيم والتاليف واما لا يتصل بالهيولى البتة وهو علم الربوبية * ومن شعره فى وصف قصيدة

تقصر عن مداها الريح جريا
وتعجز عن مواقعها السهام
تناهب حسنها حاد وشاد
فحث به المطايا والمدام
ومنه
أناف الذئاب على الارؤس
فغمض جفونك أو تكس

وقال ابن صردر

قوم اذا حيا الضيوف جفانهم * ردت عليهم ألسن النيران

وهذه استعارة أخرى وهى أكمل لان فى النار من اللسان شيئين وهما الشكل الشبيه باللسان والزفير الشبيه بالتصويت وفى الاستعارة الاولى الشكل لاغير ومن هنا قول التهامى

نادته نارك وهى غير فصيحة * وهنا يحقق ذوائب النيران

وقال أبو اسحق ابراهيم الغزى

اذا سجا الليل فى اللأواء واحتجبت * زهر النجوم فضل الحافر الوقع

دعته نار مقاريهم بألسنة * فوق الفضا من شدوق الاكم تندلع

وهذه استعارة حسنة فى الشدوق للاكام وقال ابن قلاقس

عصائب لم يفرق بها الخطب لائذ * مفارق لم يعصب بها الدم لائث

اماء القدور الراسيات لديهم * بناو التى فى كل يوم طوامث

انظر الى هذه الاستعارة فى قوله اماء القدور الراسيات اذ شبه القدور بالجوارى السود وفيه نقص من وجوه الاول أنه لا مناسبة فى ذلك لانه ليس كل أمة سوداء الثانى أن هذا الشكل مخالف لذلك الشكل لان هذه مستديرة وتلك مستطيلة الثالث عدم الاحساس ولكن لما رشح التشبيه بأن النار بمنزلة دم الحيض لهن حسنت الاستعارة وصارت غاية فى البلاغة وقد بالغ مهيار الديلمى فى قوله

ضربوا بمدرجة الطريق قبابهم * يتقارعون على قرى الضيفان

ويكاد وقدهم يجود بنفسه * حب القرى حطبا على النيران

وما أحسن قول الاسعد بن مماتى

لنيرانه فى الحى أى تحرق * على الضيف ان أبطا وأى تلهب

توقدلى بشرا وجادت يمينه * فحققت أن الماء من نوه كوكب

و يعجبنى أبيات الحطيئة وان كان فيها طول

وطاوى ثلاث عاصب البطن مرمل * بعيدا لم يعرف لها ساكن رسما

أخى جفوة فيه من الانس وحشة * ترى البؤس فيها من شراسته نعمى

تفرد فى شعب عجوزا ازاءها * ثلاثة أشباح تخالهم بهما

حفاة عراة ما اغتذوا خبز ملة * ولا عرفوا للبر مذ خلقوا طعما

رأى شبحا عند العشاء فراعه * فلما رأى ضيفا تسور واهتما

وقال هيا رباه ضيفا ولا قرى * بحقك لا تحرمه ذى الليلة اللحما

فقال ابنه لما رآه بحسرة * أبا أبت اذبحنى و يسره طعما

ولا تعتذر بالعدم عل الذى طرا * يظن لنا مالا فيوسعنا ذما

فروى قليلا ثم أجم برهة * وان هو لم يذبح فتاه فقد هما

فبيناهم عنت على البعد عانة * قد انتظمت من خلف مسحلها انظما

ظماء تريد الماء فانساب نحوها * على أنه منها الى دمها أظمى

فامهلها حتى تروت عطاشها * وأرسل فيها من كنانته سهما

وعند ملك فابغ العلو
وبالوحدة اليوم فاستأنس
فان الغنى والفقر بعد غدا

وان التعزز بالانفس
وكائن ترى من أخى عسرة
غنى وذى ثروة مفلس

وكم كاتم شخصه ميت
على انه بعد لم يرمس

وسمع رجلا ينشد قول ربيعة الرقى

لو قيل للعباس يا ابن محمد
قل لا وأنت مخلد ما قالها

فقال ليس يجب أن يقول الانسان فى كل شئ نعم وكان الوجه أن يستثنى ثم قال هجرت فى القول لا الا ما رضة تكون أولى بلا فى اللفظ من نعم

(وأن صناعة الالحان اختراعك وتاليف الاوتار والانقار توليدك وابتداعك)

(الالحان) الاصوات ذوات النغم والايقاع المؤلف على أعداد هندسية وزعم قوم أن الالحان هى موضوعة على أعاريض فقال اسحق الموصلى وهو خاتم القوم هذا قول من لم يدر هذه الصناعة *واختلف فيمن وضعها فقيل بطلميوس وقيل غيره والصحيح انها قديمة موجودة فى تعاليم الفلاسفة الاولى والاشهر أن بطلميوس أول من أفرد لها كتابا وسماه كتاب اللحون الثمانية ولها القاب وأوضاع معروفة

فخرت بحوض ذات جحش قتيبة * قدا كتنزتهما وقد طبقت شهما
فيا بشره اذ جرها نحو قومه * ويا بشرهم لما رأوا كلها يدمى
وباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم * وما غرموا غرما وقد غنموا غنما
وبات أبوهم من يشاتمه أبا * لضيفهم والام من بشرها أما

وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه متمم بن نويرة عن حزنه على أخيه مالك فقال والله انى ما أنام الليل وما رأيت نارا رفعت بليل الا ظننت أن نفسي ستخرج لأني أذكرها نار أخي فانه كان يأمر بالنار فتوقد حتى يصبح مخافة أن يبيت ضيف قريبا منه فتى رأى النار يأوي اليها وذكر المبرد في الكامل فصلا طويلا في قصة مالك بن نويرة وقتله ومراثي أخيه متمم فيه وقد اجتمع الناس لخالد بن الوليد رضي الله عنه في قتله مالكا بانه قتله على ردته فانه لما وقف بين يديه كان يقول في مخاطبته قال صاحبك وتوفي صاحبك يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له خالد أوليس هو صاحبك يا عدو الله ثم قتله واحتجوا له أيضا بقول أخيه متمم لما قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد سمعه ينشد مراثي أخيه مالك وددت لو رثيت أخي زيدا بما رثيت به أخاك فقال والله لو علمت ان أخي صار الى ما صار اليه أخوك لم أرثه ولم أحزن عليه قيل ان الجاحظ لما قيل له ان الاصمعي كان يقول في مرثية متمم لأخيه مالك بقصيدته العينية التي منها

وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

هذه أم المراثي قال الجاحظ لم يسمع الأصمعي

أي القلوب عليكم ليس ينصدع * وأي نوم عليكم ليس يمتنع

(قلت) هذه من مراثي أبي تمام الطائي في بني حميد (رجع) وما هجا أحد قوما بمنع الضيف من القرى وعدم الأنس به والبشاشة له بمثل ما هجا القطامي به امرأة من محارب في قصيدته البائية فانه أخبث هجاء وهي مشهورة منها

الى حيزبون توقد النار بعدما * تلفعت الظلماء من كل جانب
فما راعها الا بغام مطيتي * تريح بمحسور من الصوت لاغب
فخفت جنونا من دلاث مناخة * ومن رجل عاري الاشاجع شاحب
سرى في جليد الليل حتى كأنما * يحزم بالاطراف شوك العقارب
تقول وقد قربت كوري وناقتي * البلك فلا تذعر علي ركائبي
فسلمت والتسليم ليس يسرها * ولكنه حق على كل جانب
فردت سلاما كارها ثم أعرضت * كما انحازت الافعى مخافة ضارب
فلما تنازعنا الحديث سألتها * من القوم قالت معشر من محارب
ولما بدا كرهانها الضيف لم يكن * على مبيت السوء ضربة لازب
الا انما تيران قيس اذا شتوا * لطارق ليل مثل نار الجاحب

وقد أسقطت من غضونها أبياتا لخوف الاطالة والى هذه العجوز أشار عبد الصمد بن المعذل في أخيه أحمد حيث يقول

ليت لي منك يا أخي * جارة من محارب

وكان بطلميوس يقول الالحان أشرف المنطق ولذلك ترتاح اليها النفوس أكثر من كل نطق وأشرف النفوس ما كان اليها أكثر ارتياحا وقال غيره النغم فصل بقي من المنطق لم يقدر اللسان على اخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحن اليه القلب وقال أفلاطون من حزن فليسمع الاصوات المطربة فان النفس اذا حزنت تجد نورها فاذا سمعت ما يطربها اشتغل منها ما تجد وسئل أبو سليمان المنطقي لم صارت الطبيعة محتاجة الى الصناعة في أن الشخص يكون بغيض المنظر والقرب فاذا غنى بالحان مطربة عشق قربه وأقبل الظرف عليه فقال ان الطبيعة انما احتاجت الى الصناعة في هذا المكان لان الصناعة ههنا تستملي من النفس والعقل وتملي على الطبيعة وقد صح أن الطبيعة مرتبتها دون مرتبة النفس وانما تعشق النفس وتقبل آثارها وتكتب بأملائها وللموسيقى حاصل للنفس موجود فيها على نوع لطيف بالموسيقا واذا صادف طبيعة قابلة ومادة منقادة أفرغ عليها بتأييد العقل والنفس لبوساً شريفا وأعطاها

نارها كل شتوة * مثل نار الجباحب

وعبد الصمد هذا كان صاحب مجون شديد الاقدام على الاعراض ردئ السيرة خبيث الهجاء ولكن كان يؤانس على علاته لظرفه وطيب مجلسه وكان أخوه أحمد بالضد من حاله فكان صاحب زهد وورع وعبادة وانقطاع عن الناس وتقدم فى الاعتزال * وحكى انه كان فى مكان وتحته عبد الصمد فى جماعة من أصحابه وقد انهمكوا على شرابهم وعكفوا على لذتهم فعلت أصواتهم وجلبتهم بما هم فيه من صوت الملاهى والغناء وغير ذلك فشوشوا على أحمد فى تعبده فناداه يا عبد الصمد أما آن أن يحل بك وبهؤلاء عذاب من الله فرفع عبد الصمد رأسه اليه وقال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ولاحمد بن المعدل هجو ظريف فى أخيه عبد الصمد وهو قوله

قال لى أنت أخو الكلب وفى * ظنه أن قد هجانى واجتهد
أحمد الله تعالى انه * مادرى انى أخو عبد الصمد

وهذا الهجو فى غاية الاذى مع ما فيه من اللطافة ويقال ان أهجى بيت قالته العرب هو قول الاخطل

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * قالوا لامهم بولى على النار

وقد اشتمل هذا البيت على معايب أولها أنهم قليلون حتى تنصت الاضياف لنباح كلابهم ثانيها أنها نار قليلة لفقرهم فهى تطفأ ببول امرأة ثالثها أن أمهم هى التى تخدمهم فليس لهم خدم غيرها رابعها أنهم كسالى عن مباشرة أمورهم حتى تقوم بها أمهم خامسها عقوقهم لوالدتهم حيث انهم يمتهنونها فى الخدمة سادسها عدم أدبهم لانهم يخاطبون أمهم بهذه المخاطبة التى يستحى الكرام من التفوه بها سابعها أنهم لا يتركون أمهم تبيت عند مراقدهم لانهم قالوا لها بولى ولم يقولوا لها قومى الى النار ثامنها انهم جبناء لا يرقدون لانهم مستيقظون يستمعون الصوت الخفى من البعد تاسعها قذارتهم لانهم لا يبالون بما يصعد من رائحة البول اذا وقع فى النار عاشرها الزامهم والدتهم بأن لا تبول وان تدخر ذلك الى وقت الحاجة اليه والافاكل وقت يطلب الانسان الاراقة يجدها فتجد لذلك ألما ومشقة من احتباس البول حادى عشرها افراطهم فى البخل الى غاية يشفقون معها على الماء ان يطفأ به النار فيروح مجانا ثانى عشرها أنه تأكد بهذا القول عداوة المجوس للعرب لان الفرس يعبدونها وأولئك يبولون عليها فيتأكد بذلك الحقد (قلت) قد سمعت من أفواه الادباء بعض هذه الاقسام وتكلفت أنا الكثير واجتمع الفرزدق والاخطل ليلة على الشراب وتناشدا الى أن قال الاخطل والله انك وايای لاشعر من جرير ولكنه أوتى من سير الشعر مالم نؤته قلت أنا بيتا وما أعلم أن أحدا قال أهجى منه وهو * قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * البيت فلم يروه الاحكماء الشعر وقال هو

والتغلبى اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا

فلم يبق ثقات ولا سوقة الا رووه * وقال المنصور لعمرو بن عبيد ما بلغك فى الكلب قال ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتنى كلبا الغير حراسة أو صيد نقص من أجره كل يوم قيراطان قال ولم ذلك قال كذا جاء فى الحديث فقال المنصور خذها بحقها وذلك لانه ينبح

صورة معشوقة فمن ههنا احتاجت الطبيعة الى الصناعة الحاذقة التى من شأنها استملاء ما ليس لها واملاء ما يحصل فيها مستكملا فكما تأخذ تعطى * فاما الاوتار والانقار فاشارة الى الآلات المطربة الملهية من العيدان والدفوف وما أشبه ذلك * ويقال ان أول من اتخذ العود لملك بن متوشلخ على مثال نخذ ابنه الميت وهو قول ضعيف وقيل بطلميوس وقيل بعض حكماء الفرس وسماه البربط وتفسيره باب النجاة ومعناه انه مأخوذ من صرير باب الجنة وقد جعلت أوتاره أربعة بازاء الطبائع فالزير بازاء المرة السوداء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم والبم بازاء المرة الصفراء فاذا احتملت أوتاره المركبة على ما يجب جانست الطبائع فانبعثت الطرب وهو رجوع النفس الى الحالة الطبيعية دفعة واحدة وأول من اتخذ الدفة لوبا بن لمك واتخذت العرب القصب والتوقيع عليها واتخذت الفرس الصنوج واشباهها وكل ذلك موضوع على نقرات معدودة ووقفات بينها وأول من غنى من العرب على العود بألحان الفرس النضر بن الحرث بن كلدة وقد على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب

الضيف ويروع السائل * وذكر أصحاب الخواص أن الكلب اذا نبح انسانا وخاف ضرره فليلتفت اليه وليجلس الى الارض فانه يرجع عنه * (مسئلة) * من علم المناظرة تتعلق بالنار ان قال قائل لم كانت النار يراها الانسان من بعد أكبر مما يراها اذا وقف عندها أو قريبا منها (فالجواب) ان الهواء المحيط بالاجسام يتكيف بكيفية النار ويتحد بجرمها فيرى أكبر منها لعسر التمييز على الحس بواسطة البعد ومن أوصاف النار قول ابن المعتز وقد تقدم في المقدمة

مشهرة لا يحجب الليل ضوءها * كأن سيوفا بين عيدانها تجلى
يفرق أغصان الوقود اضطرامها * كما شقت الشقراء عن متنها جلا

وقول ابن خفاجة

حمراء نازعت الرياح رداءها * وهنا وزاحمت السماء بمنكب
ضربت سماء من دخان فوقها * لم تدر فيها شعلة من كوكب
وتنسمت من كل نفحة جمرة * باتت لها ريح الشمال بمرقب
قد ألهبت فتذهبت فكأنها * شقراء تمرح في عجاج أكهب

وقول محمد بن عطية بن حسان الكاتب من شعراء المغرب

بتنا نديم الراح في شاهق * ليلا على نغمة عودين
والنار في الارض التي دوننا * مثل نجوم الجو في العين
فيا له من منظر رائق * كأننا بين سماءين

وقول مجير الدين محمد بن تميم

وكأنما النار التي قد أوقدت * ما بيننا ولهيبها يتضرم
سوداء أحرق قلبها فلسانها * بسفاهة للحاضرين يكلم

وقول الآخر

وفحم كأيام الوصال فعاله * ومنظره في العين ليل صدود
كأن لهيب النار بين خلاله * بوارق لاحت في غمائم سود

وقول الآخر

كانون يطفي برده كانوننا * ما بين سادات كرام حذق
يا راقم حمر البطون ظهورها * سود تنضنض باللسان الازرق

وقول مجير الدين محمد بن تميم

كأنما نارنا وقد خمدت * وجمرها بالرماد مستور
دم جرى من فواخت ذبحت * من فوقها ريشهن منثور

وقوله أيضا

كأنما النار في تلهبها * والفحم من فوقها يغطيها
زنجية شبكت أناملها * من فوق نار نجة لتطفيها

وقول الآخر

كأن كانوننا سماء * والجمر في وسطه نجوم
ونحن جن بحافتيه * والشرر الطائر الرجوم

وقول

العود والغناء وقدم مكة فعلم أهلها وأول من غنى في الاسلام بالحان الفرس سعيد ابن مسجح وقيل طويس وذلك أن عبد الله بن الزبير لما وهى بناء الكعبة رفعها وجدد بناءها وكان فيها صناع من الفرس يغنون بالحانهم فوقع عليها ابن مسجح الغناء العربي ثم دخل الى الشام فأخذ الالحان عن الروم ثم دخل الى فارس فاخذ الغناء وضرب العود واتبعه من بعده وبدئ هذا العلم ببطليموس وختم باسحق ابن ابراهيم الموصلي

(وأن عبد الحميد بن يحيى بارى أقلامك)

(هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامري) البالغ الى أعلى المراتب في الكتابة البليغة يقال انه كان في أول عمره معلم صبيان بالكوفة ثم اتصل بمروان بن الجعدي قبل أن يصل الى الخلافة وصحبه وانقطع اليه فلما جاء الامر بالخلافة سجد مروان وسجد أصحابه الا عبد الحميد فقال له مروان لم لا سجدت فقال ولم أسجد على أن كنت معنا فطرت عنا يعني بالخلافة فقال اذا تطير معي قال الآن طاب السجود وسجد وكان كاتب مروان طول خلافته وهو أول من اتخذ التحميدات في فصول الكتب واستعمل

وقول أبي الفرج البغاء

فحمناقدم الغلام فأدنى * فى كوانينه حياة النفوس
كان كالآبنوس غير محلى * فغداوه ومذهب الآبنوس
لقى النار فى ثياب شكالى * فكسته مصبغات عروس

وقلت أنا

لا كنت يافصل الشتاء فانما * لم تأت الانضرم النيرانا
فاذا تطاردفيك خيل شرارها * رجعت بحدتها بنا خيلانا

ومن كلام القاضى الفاضل من جملة كتاب وان البرج وطيس الحرب وقد أحمته الى أن أحرقته وصرح الشرك قد خاضته الى أن أغرقته وان الخندق بركة والبرج لها فوارة وان الله اعد للعدد انارا فى الآخرة وأحرقهم فى الدنيا بشرارة وان العدو تحصن فى البرج بكثيب بنفسج أحرقه الله بجلناره ومن كلامه أيضا وبات الناس مطيفين بالحصن والنيران به وعليهم مشتملة وعذبات ألسنتها على وجهه منسدلة ومن خلفه مسبلة ولفحاتها جهنمية وقودها الناس والحجارة والبلاء ينادى طبريه بلسان مصابها اياك أعنى واسمعى ياجاره فولجت النار موالج تضيق عنها الفكر وتعجز عنها الابر وخولف المثل فى ان السعادة تلحظ الحجر وأغنى ضوءها رهاسوادكل بقعة أن يسأل هذا وذاما الخبر الى أن بدا الصباح وكأنه منها أمتار وانشق الشرق وكأنه من عصفرها صبغ الازار وسرى داء النقوب الى المعاقل ودب سكرها بين المفاصل وغدت الجدران قائمة والبلى سار فى أعقابها متجلدة والنار تحت ثيابها وقال آخر

كأن نضيد الفحم خوف شراره * اذا النار مست جلده قتلونا
تذكر أيام السحاب التى جرت * بمنعته لما تأود أغصنا
فأنبت منه الآبنوس بنفسجا * وأثمر عنابا وأورق سوسنا

قلت وأظن الجوبان القواس سام هذا المرعى ولمح هذا المعنى فنقله الى الراووق اقتدارا وصنعا فقال

ولما حكى الراووق فى العين شكله * وقد علق العنقود فى سالف الدهر
تذكر عهدا بالكروم فكله * عيون على ايام عصر الصبا تجرى

(قلت) قل من يحسن أن ينشده معربا لعدم تصور معناه والوجه فى اعرابه أن يكون العنقود منصوبا على انه مفعول حكى وشكله مرفوع على أنه بدل من المرفوع الذى هو فاعل حكى ونائب فاعل علق ضمير مستتر يعود على العنقود فيه تقديم وتأخير وتقديره ولما حكى شكل الراووق العنقود فى العين وقد علق هو فى سالف الدهر ومثل هذا كثير فى شعر العرب كقوله

ان الفرزدق صخرة ملمومة * طالت فليس تنالها الاوعالا

وقول الآخر

نزلنا القادسية فاستقينا * من البئر التى حفر الاميرا

وقول الآخر

فى بعض كتبه الايجاز البليغ وفى بعضها الاسهاب المفرط على ما اقتضاه الحال فمن الايجاز أن بعض عمال مروان أهدى اليه عبدا اسود فامره بالاجابة ذاما مختصرا فكتب لو وجدت لونا شرا من السواد وعددا أقل من الواحد لاهديته وأما الاسهاب فانه لما ظهر أبو مسلم الخراسانى بدعوة بنى العباس كتب اليه عن مروان كتابا يستميله ويضمنه مالو قرئ لاوقع الاختلاف بين أصحاب أبى مسلم وكان من كبر حجمه يحمل على جمل ثم قال لمروان قد كتبت كتابا متى قرأه بطل تدبيره فان بك ذلك والا فالهلاك فلما ورد الكتاب على أبى مسلم لم يقرأه وأمر بناره فأحرقه وكتب على حرزة منه الى مروان

محا السيف أسطار البلاغة وانتحى
عليك ليوث الغاب من كل جانب

ولما اشتد الطلب على مروان وتتابعت هزائمه المشهورة قال لعبد الحميد القوم محتاجون اليك لا دينك وان احتجتهم بك يدعوهم الى حسن الظن بك فاستأمن اليهم وأظهر الغدر بى فلعلك تنفعنى فى حياتى أو بعد مماتى فقال عبد الحميد

أسر وفاء ثم أظهر غدرة
فمن لي بعذر يوسع الناس
ظاهره
ثم قال يا أمير المؤمنين ان
الذي أمرتني به أنفع الامرين
اليك وأقبحهما بي ولكني
أصبر حتى يفتح الله عليك
أو أقتل معك فلما قتل
مروان استخفى عبد الحميد
فغمز عليه بالجزيرة عند ابن
المقنع وكان صديقه
وفاجأهما الطلب وهما في
بيت فقال الذين دخلوا أيكما
عبد الحميد فقال كل واحد
منهما أنا خوفا على صاحبه
الى أن عرف عبد الحميد
فاخذ وسلمه السفاح الى
عبد الجبار صاحب شرطته
فكان يحمي له طشتا ويضعه
على رأسه الى أن مات سنة
اثنتين وثلاثين ومائة وكان
أبو جعفر المنصور يقول
غلبنا بنو أمية بثلاثة أشياء
بالحجاج وعبد الحميد والمؤذن
البعلبكي وقيل لعبد الحميد
ما الذي مكنك من البلاغة
قال حفظ كلام الاصلع يعني
أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب كرم الله وجهه وقيل
له أيما أحب اليك أخولك أم
صديقك قال انما أحب
أخي اذا كان صديقي * وقال
اكرموا الكتاب فان الله
تعالى أجرى الارزاق على
أيديهم * وقال العلم شجرة
وثمارها الالفاظ وكان

من بنات الكروم جاءت سلافا * لم يدسها بارجله العصارا

وقول الآخر

فمن قبل صدقنا وقد كان قومنا * يصلون للاوثان قبل محمدا

التقدير طالت الاعوام واستقينا الامير وجاءت العصار وصدقنا محمدا صلى الله عليه وسلم

*(يقتلن أنضاء حب لاحوال بهم * ويحرون كرام الخيل والابل)*

(اللغة) أنضاء جمع نضو وقد تقدم في قوله وضج من لغب نضوي وأراد بالانضاء جماعة العشاق الذين أسقمهم الهوى وانحلهم ولهذا أضافهم الى الحب والحب معروف يقال أحبه فهو محب وحبه يحبه بالكسر فهو محبوب واذا أفرط الحب سمي عشقا فالعشق محبة مفرطة وليس بافراط المحبة كما قاله بعضهم فيكون أخص من المحبة لان كل عشق محبة من غير عكس قال صاحب الريحان والريعان الحب أوله الهوى ثم العلاقة ثم الكلف ثم الوجد ثم العشق وهو مقرون بالشهوة والحب والمقة في الله تعالى والعشق اسم لما فضل عن المقدار الذي هو الحب ثم الشغف وهو احراق القلب بالحب مع لذة يجدها وكذلك اللوعة واللاعج والغرام ثم الجوى وهو الهوى الباطن والتتيم والتبتل والهيام وهو شبه الجنون والعشق عند الاطباء من جملة أنواع الماليخوليا وهي تغير الظنون والفكر عن المجرى الطبيعي الى الفساد وقد رسموا العشق بأنه مرض وسواسي يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل وقال ارسطو العشق عبارة عن عمى العاشق عن عيوب المعشوق وهذه خاصية من خواص العشق والتحقيق ان العشق أعم من ذلك لان الرئيس أبا علي بن سينا في رسالته في العشق ذكر أنه سار في جميع الموجودات من الفلكيات والعنصريات والمعدنيات والنباتات والحيوانات حتى ان أرباب الرياضي ذكروا فيه الاعداد المتحابة واستدركوا ذلك على اقليدس وقالوا فاته ذلك ولم يذكره وهي المائتان والعشرون فانها عدد زائد أجزاؤه أكثر منه واذا جمعت كانت مائتين وأربعة وثمانين بغير زيادة ولا نقصان والمائتان والاربعة والثمانون عدد ناقص أجزاؤه أقل منه واذا جمعت كانت جملتها مائتين وعشرين فكل من العددين المتحابين أجزاؤه مثل الآخر وبيان ذلك أن العدد التام هو ما اذا اجتمعت أجزاؤه كانت مثله وهو ستة فان اجزاءها البسيطة الصحيحة انما هي النصف وهو ثلاثة والثلث وهو اثنان والسدس وهو واحد ومجموع ذلك ستة والعدد الناقص هو ما اذا اجتمعت أجزاؤه البسيطة الصحيحة كانت جملتها أقل منه وهو ثمانية فان أجزاءها انما هي النصف وهو أربعة والربع وهو اثنان والثمن وهو واحد ومجموع ذلك سبعة وهي أقل من العدد المذكور والعدد الزائد هو ما اذا اجتمعت أجزاؤه زادت عليه وهو اثنا عشر فان له النصف وهو ستة والثلث وهو أربعة والربع وهو ثلاثة والسدس وهو اثنان ونصف السدس وهو واحد ومجموع ذلك ستة عشر وهو يزيد على الاصل الذي هو اثنا عشر فالمائتان والعشرون لها نصف وهو مائة وعشرة وربع وهو خمسة وخمسون وخمس وهو أربعة وأربعون وعشر وهو اثنان وعشرون ونصف عشر وهو واحد عشر وجزء من أحد عشر جزأ وهو عشرون وجزء من اثنين وعشرين جزأ وهو عشرة وجزء من أربعة وأربعين جزأ وهو خمسة وجزء من خمسة وخمسين جزأ وهو أربعة وجزء من مائة وعشرة أجزاء وهو اثنان

وجزء من مائتين وعشرين جزأ وهو واحد وجملة ذلك من الاجزاء البسيطة الصحيحة مائتان وأربعة وثمانون وهي ليس لها الا نصف وهو مائة واثنان وأربعون وربع وهو أحد وسبعون وجزء من أحد وسبعين جزأ وهو أربعة وجزء من مائة واثنين وأربعين جزأ وهو اثنان وجزء من مائتين وأربعة وثمانين وهو واحد فقد ظهر بهذا المثال تحاب العددين وأصحاب الخواص يزعمون أن لذلك خاصية عجيبة في المحبة ويقولون اذا جعل هذا العدد الاقل والعدد الاكثر في شيء من المأكول وأكل المحب الاكثر وأطعم الاقل لمن يريد محبته فان المحبوب يحبه أكثر مما كان ذلك يحبه ويجمع هذين العددين قولك فرد كرو كنت قد بخلت بهذه الفائدة أن أودعها هذا الكتاب ثم بدا لي اثباتها لما تذكرت قوله صلى الله عليه وسلم من علم علما وكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار (فان قلت) ذلك في العلوم الدينية (قلت) والتحابب أيضا من الامور الدينية قال صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا وتألف القلوب أمر مرغوب فيه وقد حض الشارع عليه الصلاة والسلام عليه ومن صرف هذا في غير أمر شرعي فانما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى (رجع) قال أفلاطون العشق قوة غريزية متولدة من وساوس الطمع وأشباح التخيل نامية باتصال الهيكل الطبيعي والعشق يحدث للشجاع جبنا وللجبان شجاعة فيكسو كل انسان عكس طباعه حتى يبلغ به المرض النفساني والجنون الشوقي فيؤديانه الى الداء العضال الذي لا دواء له وقال الاسكندر العشق نور شعشعاني أوجده واجب الوجود في اللطائف القدسية مؤلفا بين المتنافيين لبقاء سره الخفي في تناسبها اذ التنافي مؤد الى الشتات والشتات مؤد الى الانفراد والانفراد مؤد الى الوحدة والوحدة مؤدية الى العجز والعجز مؤد الى العدم وهو مع ضياعه بجار مجرى ظلمة الشهوة التي ركبها الله تعالى لبقاء معاني الاجسام اذ لا سبيل الى بقاء أعيانها وقال سقراط العشق صفة من صفات علة العلل خلطها بماء العزة وقسمها في جميع المركبات ولم يدل عليها الا نور العقل اذا ظفر بها ظن أن هي هو فجرى تحت أوامرها صاغرا وخضع لذلك المعنى القدسي حكمة من الله تعالى لئلا تستديم امرته فيسهو عن تلك الافلاك فيحيل جهلا بالبيان فينقطع سلك النظام فينبو عنها وقال أبو معشر العشق اتصال نبات أرضي لحظ أو جبته الكواكب الفلكية من الاجسام الطبيعية والمواليد الزمانية في عالم الكون والفساد اذ هي فاعلة في الطبائع اذ العالم العلوي فاعل في العالم السفلي كما أن فلك الآدميين فاعل في فلك الحيوان وفلك الحيوان فاعل في فلك النبات وفلك النبات فاعل في فلك المعادن فاستدللنا بذلك على ان سببه نجومي وقرانه زماني وقال اقليدس العشق وفق هندسي وجزء معنوي لقي شكله فطابقه وصادف مخالفه فنافاه وذلك أن مركب الاشباح اللاهوتية والاشكال الناسوتية اقتضت حكمته سبحانه أن يكسوها كيفا وكما لتتفاضل وتتمايز الأعلى جنوس الزمان فاي التئام وافق شخصين سعى ذلك الالتئام عشقا كتركيبك خمسة أعداد على خمسة أعداد وثمانية امثال على ثمانية امثال ولا يعتد بتنافي الالوان والاطوال فانه قد يقاوم السطح المستطيل المثلث المستدير فيعدله في المثال وقد تزن شجاعة النحيف كثافة الجبان * وقال طمطم العشق مغناطيس روحاني أودع في سرائر النفس لخفائها عن الادراك لاجتذاب معاني لطائف كرائم المطبوعات المستترة فلاجل ذلك اذا سئل العاشق لم وقع منك

ابراهيم بن جبلة يكتب خطا رديئا فقال له عبد الحميد أطل جلفة قلمك وأسمنها وحرف قطتك وأيمنها يصلح خطك والى هذا أشار ابن زيدون بقوله وعبد الحميد باري أقلامك * ومن رسائله ما كتب عن مروان الى هشام يعزيه بامرأة من حظاياه ان الله تعالى أمتع أمير المؤمنين من أنيسته وقرينته متاعا ممدة الى أجل مسمى فلما تمت له مواهب الله وعاريته قبض اليه العارية ثم أعطى أمير المؤمنين من الشكر عند ذهابها أنفس منها في المنقلب وأرجح في الميزان وأسنى في العوض فالحمد لله رب العالمين وانا لله وانا اليه راجعون * وكتب موصيا بشخص يقول حق موصل كتابي اليك كحقه علي اذ جعلك موضعا لامله ورآني أهلا لحاجته وقد أنجزت حاجته فصدق أمله * وكتب يعرض بشعار بني العباس الاسود من رسالة فرويدا حتى ينضب السيل وتمحى آية الليل * وكتب في فتنة بعض العمال من رسالة حتى اعتبرني حنادس جهاله ومهاوي سبل ضلاله ذللا لسياقه وسلما في قياده الى منزل من حميم وتصلية جحيم سوى ما انتجت الحفيظة

ذلك لم يعلم حجة يبرهن بها عن نفسه كما لو سئل أعلم الخلق بعلم الطبيعة عن السبب الكامن في الحجر الذي أوجب اجتذاب الجرم المعدني لم يكن جوابه الا الصمت أو الخاصية هذا مع صفاء ذهنه وجودة خاطره * وقال الجنيد العشق ألفة رحمانية والهام شوقي أوجبهما كرم الله على كل ذي روح لتحصل به اللذة العظمى التي لا يقدر على مثلها الا بتلك الالفة وهي موجودة في الانفس مقدرة مراتبها عند أربابها فما أحد الا عاشق لامر يستدل به على قدر طبقته من الخلق ولاجل ذلك كان أشرف المراتب في الدنيا مراتب الذين زهدوا فيها مع كونها معاينة ومالوا الى الآخرة مع كونها مغيبة عنهم مخبر الهم عنها بصورة لفظا وأما ما ذكر من أخبار المتيمين في مصارع العشاق وطوق الحمامة لابن حزم وغيرهما فذلك مقصور على عشق الفتيان والفتيات وما اتفق في ذلك من غرائب الاخبار ولطائف الاشعار والذي يظهر من موت المدنف من العشاق عشقا انما هو سبب دق يعتريه بسبب سهره وتقليل طعامه وشرابه واستعمال الفكر والوسواس وقد وصف الله تعالى نفسه بالحب فقال تعالى يحبهم ويحبونه وأما العشق فلم يرد في لسان الشرع وما أظرف قول بعض الادباء العشق عبارة عن طلب ذلك الفعل من شخص مخصوص وقول الاطباء يجلبه المرء الى نفسه ليس بصحيح لان الغالب في العشاق انهم اضطروا الى محبة من يهوونه وقال الفضيل بن عياض فيما أظن لو رزقني الله تعالى دعوة مجابة لدعوته تعالى أن يغفر للعشاق لان حركاتهم اضطرارية لا اختيارية وما أحسن قول أبي فراس

وكم في الناس من حسن ولكن * عليك لشقوتي وقع اختياري

يقال ان بعض العرب قال لرجل من بني عذرة ما لاحدكم يموت عشقا في هوى امرأة ألفها وليس ذلك الاضعف نفس أو خور تجدونه فيكم يا بني عذرة فقال أما والله لو رأيتم الحواجب الزج فوق النواظر الدعج تحتها المباسم الفلج لاتخذتموها اللات والعزى وقلت أنا

والهوى لو ملكت أمر اطاعا * في الهوى تقتفي هداه العقول
لامرت العيون ترنو درا الثغر يفتر والقوام يميل
ثم أدعو العذال اذ ذاك حتى * أن رأوا عندهم فضولا يقولوا

(رجع) لاحراك بهم الحركة ضد السكون يقال ما به حراك أي حركة (ويحرون) يذبحون (كرام الخيل والابل) يعني الاصائل من هذه وتلك والخيل هنا هي الافراس والابل اسم للجمال لا واحد له من لفظه وربما قالوا ابل بسكون الباء والجمع آبال (الاعراب * يقتلن) فعل مضارع والنون نون الاناث والفعل المضارع اذا اتصلت به هذه النون أو احدى نوني التأكيد بني ولكن على السكون ان كان المتصل نون الاناث وعلى الفتح ان كان المتصل نون التوكيد فيقال هن يقمن ولا تفعلن ولا تفعلا لان الفعل حينئذ قد ترك مع النون تركيب خمسة عشر فبنى بناء ولهذا لوحال بين النون والفعل ألف الاثنين أو واو الجمع أو ياء الخطاب نحو هل تضربان وهل تضربن لم يحكم عليه بالبناء لتعذر الحكم عليه بالتركيب اذ لم تركب العرب ثلاثة أشياء وأصل تضربان تضربانن فاستثقلت النونات فحذفت نون الرفع تخفيفا وبقي الفعل مقدر الاعراب * وحكى لنا الشيخ الامام نجم الدين أبو محمد الحسن ابن كمال الدين محمد القرشي الصفدي أن الشيخ تاج الدين الكندي حضرت اليه من بغداد

في نفسه من عوائد الحسن
وقدحت الفتنة في قلبه من
نار الغضب مضادة لله تعالى
بالمناصبة ومبارزة لامير
المؤمنين بالمحاربة ومجاهدة
للمسلمين بالمخالفة الى ان أصبح
بفلاة قفر وهو صفر بيده
المناط يقطع دونها النياط
وكذلك يفعل الله بالظالمين
ويستدرجهم من حيث
لا يعلمون * وكتب من رسالة
أخرى الى أهله وهو منهزم مع
مروان أما بعد فان الله تعالى
جعل الدنيا محفوفة بالمكره
والسرور فمن ساعده الحظ فيها
سكن اليها ومن عضته
بنابها ذمها ساخطا عليها
وشكاها مستزيدا لها وقد
كانت أذاقتنا أفاويق
استحلبناها ثم جعت بنا نافرة
ورمحتنا مولية فلم عذ بها
وخشن لينها فأبعدتنا عن
الاوطان وفرقتنا عن
الاخوان فالدار نازحة والطير
بارحة وقد كتبت والايام
تزيدنا منكم بعدا واليكم وجدا
فان تتم البلية الى أقصى
مدتها يكن آخر العهد بكم
وبنا وان يلحقنا ظفر جارح من
أظفاره من يليكم نرجع اليكم
بذل الاسار والذل شر جار
نسأل الله الذي يعز من يشاء
ويذل من يشاء أن يهب لنا
ولكم الفة جامعة في دار آمنة
تجمع سلامة الابدان
والاديان فانه رب العالمين

فتيا فى اعراب قوله تعالى فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وان جماعة من أهل دمشق خبطوا فيها وما أجابوا بشئ ونسيت هل قال لى ان الشيخ تاج الدين الكندى أجاب أولا قلت ليست هذه المسئلة مما تخفى على مثل الشيخ تاج الدين مع جلالة قدره والذى ظهر لى من اعرابها ان لا حرف نهى والنهى يجزم وهنا غير جازم لان الجزم اعراب لانه اذا دخلت نون الاناث أو احدى نونى التوكيد على المضارع بنى كما تقدم وتبعان فعل مضارع والالف ضمير الفاعلين ونون التثنية حذفوقوبوتها دليل الاعراب وهذه الثانية ليست للتثنية وانما هى نون التأكيد الثقيلة على ان الشيخ تاج الدين الكندى كان ممتحنا بهذه السؤالات ورأيت بخط علاء الدين الكندى الوداعى ما معناه انه حضرت اليه فتيا من مصر فى قول القائل اللهم انى أسألك وخير ما سأل الجد بر به هل ينتصب ربه أو يرتفع فكتب الجواب ينتصب وكان الشيخ علم الدين السخاوى حاضرا فرأى ما كتب وخاف أن يخرج الجواب عن الشيخ بالخطأ فقال يا مولانا تثبت فى ذلك وحقق الجواب فقال له الشيخ انه النصب فقال علام رفعت خبر فقال على الابتداء فقال له أين الخبر فقطن للجواب فكتب يرتفع (رجع * أنضاه) منصوب على انه مفعول يقتلن والفاعل ضمير مستتر فيه يرجع الى نساء الحى (حب) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام (لاحراك) لاهذه لنفى الجنس وحراك اسمها وقد تقدم الكلام على لا واسمها فى قوله فلا صديق (بهم) جار ومجرور ولم يظهر الجر فى الضمير لانه مبنى والضمير راجع الى الانضاء والجملة من لا واسمها وما بعد ذلك فى موضع نصب صفة لانضاء كانه قال يقتلن انضاء حب غير متحركين (ويحرون) الواو عاطفة عطفت الجملة الفعلية على مثلها يحرون فعل مضارع والواو ضمير الفاعلين يرجع الى رجال الحى والنون علامة الرفع للفعل مخلوة عن الناصب والجازم (كرام) منصوب على انه مفعول يحرون و(الخيل) مجرور بالاضافة والاضافة معنوية بمعنى اللام والالف واللام هنا للجنس ولا بأس بالكلام هنا على أداة التعريف فأقول قال الشيخ جمال الدين بن مالك فى شرح التسهيل بعد ما رجح مذهب الخليل بن أحمد على مذهب سيبويه فان عهد مدلول مصحوبها بحضور حسى أو علمى فهى عهدية والا فجنسية ثم قال أشرت بالحضور الحسى الى حضور ما ذكر كقوله تعالى كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول والى حضور ما أبصر كقولك لمن سددسهما القرطاس والله وبالحضور العلمى الى مثل قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم واذهما فى الغار واذ نادى ربه بالوادى المقدس واذ يبايعونك تحت الشجرة ثم قال وقولى والا فجنسية أى اذا لم يكن المدلول عليها بمصحوب الاداة معهودا بأحد الحضورين المبينين فالاداة جنسية فان خلفها كل دون تجوز فهى للشمول مطلقا ويستثنى من مصحوبها واذا أفرد فاعتبار لفظه فيما له من نعت وغيره أولى فان خلفها كل تجوز فهى لشمول خصائص الجنس على سبيل المبالغة مثال التى يخلفها كل دون تجوز قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا والمراد بكون الشمول مطلقا عموم الافراد والخصائص بخلاف التى يخلفها كل على سبيل التجوز كقولك زيد الرجل بمعنى الكامل فى الرجولية لجامع من خصائصها فان هذا تجوز لاجل المبالغة ويستعملون كلا بهذا المعنى تابعا وغير تابع فيقولون زيد كل الرجل وكل الرجل زيد وحكى الفراء عن العرب اطعمنا شاة كل شاة والشمول الحقيقى هو الاصل ولذلك استغنى عن قرينة ولم يستغن الثانى عنها ومثال الاستثناء

وأرحم الراحمين * ومن كلام عبد الحميد وصيته المشهورة عند الكتاب * ومن شعره رحمه الله

ترحل ما ليس بالقافل
وأعقب ما ليس بالزائل
فلهفى لذى خلف قادم
ولهفى على سالف راحل
سأبكى على ذا وأبكى لذا
بكاء مولهة ثاكل
فتبكى من ابن لها قاطع
وتبكى على ابن لها واصل

ومنه أيضا

كفى حزنا أنى أرى من أحبه
قريبا ولا غير العيون تترجم
فاقسم لو أبصرتنا حين نلتقى
ونحن سكوت خلتنا نتكلم

(وسهل بن هرون مدون كالملك)

(هو سهل بن هرون بن راهبون) ويكنى أبا عمرو من أهل نيسابور نزل البصرة فنسب اليها ويقال انه كان شعوبيا والشعوبية فرقة تبغض العرب وتتعصب عليها للفرس وانفرد سهل فى زمانه بالبلاغة والحكمة وصنف الكتب معارضا بها كتب الاوائل حتى قيل له برزجمهر الاسلام وله اليد الطولى فى النظم والنثر وكان فى أول أمره مختصا بالفضل بن سهل ثم قدمه الى المأمون فاعجب ببلاغته وعقله وجعله كاتبا على خزانة الحكمة وهى كتب الفلاسفة التى نقلت للمأمون من جزيرة قبرس

من مصحوبها قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلولا أن أداة التعريف اقتضت شمول الحقيقة والاحاطة بافرادها لم يستثن الذين آمنوا من المعرف بها وهو الانسان والاكثر في مصحوب الاحاطة وغيره موافقة اللفظ كقوله تعالى والجار ذي القربى والجار الجنب وقوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وموافقة المعنى دون اللفظ قليلة كقوله تعالى أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء وحكى الاخفش أهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض ومن موافقة المعنى دون اللفظ ماهو من الاحد أي من الناس وأنشدوا

وليس يظلمني في وصل غانية * الا كعمرو وما عمرو من الاحد

قال الجامي ولو قلت زيد ماهو من الانسان أصبت انتهى قلت واذا لم تخالف الالف واللام كل مثل قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حي فهي لبيان الحقيقة ذكر ذلك ولده بدر الدين في شرح الخلاصة ونبه عليه في التسهيل والده جمال الدين ولم أقف عليه في نسختي ولعله سقط منها لنسيان الناسخ وقد ترد الالف واللام في معرف بدونها والزيادة تكون لازمة وعارضة فاللازمة نحو اللات والعزى ونحو الذين واللاتي فانهما معرفتان بالصلة والاداة زائدة فيهما والعارضة اما للضرورة كقوله

ولقد جنيتك أكؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

أراد بنات أوبر وهو ضرب ردي من الكمأة واما للمح الصفة كالفضل والحارث والنعمان لان الاصل التجريد وانما ادخلوها للمح الصفة فيهما وقد ترد في الحال مثل أرسلها العراك أي معتركة وقراءة من قرأ ليخرجن الاعز منها الاذل بفتح الياء وضم الراء أي ذليلا وكقول بعض العرب ادخلوا الاول فالاول أي مترتبين وقد ترد في التمييز كقول الشاعر

رأيتك لما أن عرفت وجوهنا * صددت وطبت النفس يا قيس عن عمرو

أي وطبت نفسا وقد ترد على ما يصير علما أو تغلب عليه العلمية كالبيت لمكة والمدينة لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعقبة لعقبة ايلة والكتاب لكتاب سيبويه والصعق لخويلد بن نفيل والنجم للثريا الان كلا من هذه قد اشتهر اشتهارا تاما متى أطلق لفظه فهم معناه وقد تخالف الميم اللام في التعريف فيقال امرجل ومنه الحديث ليس من امبر امصيام في امسفر أي ليس من البر الصيام في السفر قال الشاعر

ذاك خليلي وذو يواصلني * يرمي ورائي بامسهم وامسلمه

وهي لغة تميم وما أحسن قول شمس الدين محمد بن دانيال في المعين حيث قال

أرى لك وجها ان لمتك جائزا * فأنت بتحقيق الكلام قمين
اذا كان معنى اللام والميم واحدا * برأي تميم فالمعين لعين

(رجع * والابل) الواو عاطفة عطفت الاسم على الاسم والابل مجرور لانه عطف على مجرور والمعطوف في حكم المعطوف عليه فكانه قال ويحرون كرام الخيل وكرام الابل وأنث الضمير في يقتلن وذكره في يحرون لانه في الاول ضمير نساء الحي وفي الثاني ضمير رجاله كما قال منهن ومنهم في البيت الاول (المعنى) ان هذا الحي نساؤه يقتلن العشاق الذين أسقمهم الهوى وأنحلهم فحالهم حركة البنة ورجاله ينحرون للاضياف كرام الخيل وكرام الابل فعنا معنى

البيت

وذلك ان المامون لما هادن صاحب هذه الجزيرة أرسل اليه يطلب خزانة كتب اليونان وكانت مجموعة عندهم في بيت لا يظهر عليها أحد أبدا فجمع صاحب هذه الجزيرة بطانته وذوي الرأي واستشارهم في حمل الخزانة الى المأمون فكلهم أشاروا بعدم الموافقة الا مطرانا واحدا فانه قال الرأي أن تحمل بانفاذها اليه فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية الا أفسدتها وأوقعت بين علمائها فارسلها اليه واغتبط بها المأمون وجعل سهل بن هرون خازنا لها فتصفحها وتبحر على متوالي كتب منها وصنف كتاب عفراء وثعلة في معارضة كتاب كليلة ودمنة وصنف كتابا في مدح البخل ثم أهداه للحسن بن سهل واستماحه فكتب اليه الحسن قد مدحت ما ذمه الله وحسنت ما قبحه الله وما يقوم بفساد معناك صلاح لفظك وقد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك فما نعطيك شيأ * وكان سهل من أبخل الناس وله في البخل وغيره نوادر حسنة (حكي) الجاحظ قال لقي رجل سهل بن هرون فقال هب لي مالا أضر به عليك فقال وما هو يا أخي قال درهم قال لقد هونت الدرهم وهو طائع الله

البيت الذى تقدم وهو بليغ لانه جمع فى البيت الواحد بين مدح النساء ومدح الرجال على ما تقدم أولا وقدم الخيل لانها أشرف من الابل وقد وصف أهل هذا الحى بما هو أعلى صفات المدح لان الحسن كلما كان بارعا زاد المحب هلاكا والكرم غايته أن ينحر المضيف الخيل والابل بخلاف من ينحر ما دون ذلك من الضأن والمعز وأما الضيف فقد أوجب رسول الله صلى الله عليه وسلم حقه فقال ليلة الضيف حق واجب وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلته والضيافة ثلاثة أيام وما زاد فهو صدقة ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يحرجه وفى رواية حتى يؤثمه قالوا يا رسول الله وكيف يؤثمه قال يقيم عنده ولا شئ له يقريه به وفى رواية ان نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغى للضيف فاقبلوا وان لم يأمروا فخذوا منهم حق الضيف الذى ينبغى لهم قال الشيخ محيى الدين النووى فى شرح مسلم هذه الاحاديث متظافرة على الامر بالضيافة والاهتمام بها وعظم موقعها وقد أجمع المسلمون على الضيافة وأنها من متأكدات الاسلام قال الشافعى ومالك وأبو حنيفة والجمهور هى سنة وليست بواجبة وقال الليث واحمد هى واجبة يوما وليلة على أهل البادية والقرى دون أهل المدن وتأول الجمهور هذه الاحاديث وأشباهها على الاستحباب كحديث غسل الجمعة واجب على كل محتلم اى متأكد الاستحباب وقالوا معنى يؤثمه يقيم عنده بعد الثلاث حتى يوقعه فى الاثم لانه قد يغتابه لطول مقامه أو يعرض له بما يؤذيه أو يظن به ما لا يجوز انتهى ويحكى عن الابرش الكلبى انه كان عنده ضيف فقام ليصلح المصباح فقال له صاحب المجلس مه انه ليس من المروءة أن يستخدم الرجل ضيفه وروى أنه قال لا تتخذوا الاخوان خولا وقال بعض السلف لابن عمر بن عبد العزيز ما رأيت رجلا أكرم من أبيك سهرت عنده ذات ليلة نخفق المصباح فقام اليه فاصلحه فقلت يا أمير المؤمنين هلا أمرت باصلاحه فقال قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز * وأما استخدام الضيف فقد حكى أن بعضهم أضاف بعض الكسالى فلما أتى باللحم قال له قطع اللحم حتى أوقد النار فقال الضيف لا أحسن ذلك فقال له تق هذا الارز الى أن أشتغل أنا بامر اللحم على النار فقال لا أحسن ذلك فلما استوى الطعام قال له مد الخوان فقال لا أحسن ذلك فقال له قم فكل فقال له والله لقد استحييت من كثرة خلافى لك وتقدم فاكل * وأما تأثيم الضيف فقد حكى عن الفرزدق أنه قيل له ما أقرب عهدك بالذنوب قال ليلة الدير قيل له ما ليلة الدير قال نزلت على دير راهبة ضيفا فاكلت عندها طعاما بلحم خنزير وشربت نبيذها وزنيت بها وسرقت كساءها عند الانصراف وخرجت وانشدت

وكنت اذا نزلت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

وقيل للاوزاعى ما تقول فى رجل قدم الى ضيفه الكامخ والزيتون وعنده اللحم والعسل والسمن فقال هذا لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر والعرب قديما وحديثا ما كان لهم ما يفتخرون به الا الضيف والسيف والبلاغة فكانوا يحتفلون بالضيف اذا مر بهم ويهتمون به الا ترى الى قول مرة بن محكان السعدى يخاطب امرأته وقد نزل به ضيف

أقول والضيف محثى ذمامته * على الكريم وحق الضيف قد وجبا
يا ربة البيت قومى غير صاغرة * ضمى اليك رحال الحى والقربا

فى أرضه لا يعصى وهو عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف عشر دية المسلم الا ترى الى أين انتهى الدرهم الذى هو نتنه وهل بيوت الاموال الا درهم على درهم فانصرف الرجل ولولا انصرافه لم يمت (وحكى) دعبل الخزاعى قال أهنا يوما عند سهل بن هرون وأطلنا الحديث حتى أضربه الجوع فدعا بغدائه فأتى بصحفة فيها مرق تحته ديك هرم فأخذ كسرة وتفقد ما فى الصحفة فلم يجد رأس الديك فبقى مطرقا ثم قال للغلام أين الرأس قال رميت به قال ولم قال لم أظنك تاكله قال ولم ظننت ذلك فوالله انى لامقت من يرمى برجله فكيف برأسه والرأس رئيس يتفاءل به وفيه الحواس الخمسة ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما أريد وفيه فرقه الذى يتبرك به وعينه التى يضرب بصفائها المثل ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم أر عظما قط أهش من رأسه فان كان بلغ من قبلك أن لا تاكله فعندنا من يأكله أما علمت أنه خير من طرف الجناح والساق انظر أين رميته فقال والله ما أدرى قال لكنى أدرى انك رميته فى بطنك (وحكى) الجاحظ أن أبا الهذيل العلاف المتكلم

سأله رقعة يكتب بها الى
الحسن بن سهل يستعينه على
ضائقة لحقته فكتب رقعة
وختمها ودفعها اليه فاوصلها
الى الحسن فلما رآها ضحك
وأوقف عليها أبا الهذيل
واذا فيها مكتوب
ان الضمير اذا سألتك حاجة
لابى الهذيل خلاف ما أبدى
فامنحه روح الياس ثم امدد له
حبل الرجاء لمخالف الوعد
حتى اذا طالت شقاوة جده
وعنائه فاجبهه بالرد
وان استطعت له المضرة فاجتهد
فيما يضر بابلغ الجهد
ثم قال الحسن هذه صفته
لاصفتنا وأمر لابى الهذيل
بمال فعاد اليه فعاتبه فقال
سهل ترى اين عزب عنك
الفهم أما سمعت قولى ان
الضمير خلاف ما أبدى فلم
يكن ضميرى الخير ما قلت
هذا وهذه من مغالبات سهل
وبلاغته وستأتى فى ترجمة
الجاحظ حكاية مثل هذه
*ومن محاسن تعريضات
سهل انه خاطب بعض الامراء
فقال له كذبت فقال أيها
الامير ان وجه الكذاب
لايقابلك يعنى الامير بذلك
لان وجه الانسان لايقابله
ويروى ان المأمون كان قد
انحرف عن سهل الى ان دخل
عليه يوما فقال يا أمير
المؤمنين انك ظلمتنى وظلمت
فلانا الكاتب فقال ويلك

فى ليلة من جمادى ذات أندية * لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا
لاينبح الكلب فيها غير واحدة * حتى يلف على خيشومه الذنبا

أندية هنا أراد به جمع ندى فهو شاذ عن القياس لان القاعدة فى جمع المقصور أن يكون على أفعال مثل حشى وأحشاء وقفا وأقفاء وطلا وأطلاء وفى الممدود أن يكون على أفعلة مثل غطاء وأغطية وهواء وأهوية لما فى الجو ورشاء وأرشية فثبت أن ندى جمعه أندية وتأوله بعضهم فقال أندية جمع نادوهو المجلس يعنى انهم كانوا يجلسون فى الاندية يصطلون وليس بشئ لان سياق الكلام يدل على انه أراد جمع ندى لانادو يظهر هذا لمن له ذوق * وذكرت بالابيات هنا ما حكاه لى الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس العمرى قال اجتمع تاج الدين بن الاثير وفخر الدين بن لقمان فى بعض البيا كير فى ليلة مظلمة على تل الجوزو وكان لابن لقمان مملوك يدعى الطنب فحمل يدعوه باسمه والطنب يجيبه وهو لا يراه لشدة الظلمة فيكرر نداءه ويقول أين أنت يا طنب فانى لا أراك فقال تاج الدين بن الاثير

فى ليلة من جمادى ذات أندية * لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا

وهذا من لطيف الاستشهاد وحسنه وقال ابن سناء الملك من قصيدة مدح بها القاضى الفاضل

واذا سألت من الكريم فانه * عبد الرحيم لانه مولى الورى
يختار أن يهب الخريدة كاعبا * والطرف أجرد والحسام مجوهرا
يقرى الضيوف شعاع تبر أحمر * فشعاع ذاك التبر يقرى القرى

وتعنت ابن جبارة عليه فى هذه الابيات فما قال فى هذا الثالث ألم أولا بقول ابن عمار

قدح زناد المجد لا ينفك من * نار الوغى الا الى نار القرى

وزاحم فيه أبا الطيب فى قوله

تركت دخان الرمث فى أوطانها * طلبا لقوم يوقدون العنبرا

وقوله * يقرى الضيوف شعاع تبر أحمر * والتبر لا يكون الا كذلك وانما قصد المبالغة وشبه ذلك بشعاع النار التى توقد على اليفاع ليهتدى بها الحيران وتهتدى الى موضعها الضيفان وقد جعله يدفع الى الضيوف صلة الانعام ويمنعهم من الطعام وكم من ضيف يمتنع من أخذ ذلك ويعده عيبا شنيعا (قلت) هذا تعنت زائد وليس للبيت علاقة بما قاله ابن عمار ولا بقول أبى الطيب نعم لو قال نظر الى قول أبى الطيب

وملأت نحر عشارها فأضافنى * من نحر البدر النضار لمن قرى

لكان فيه بعض سرقة وأما قوله التبر لا يكون الا أحمر لانسلم له هذه الدعوى لان التبر ما كان من الذهب غير مضروب والشاعر هنا ما أراد الا الذهب المضروب ولكنه قال تبرا مجازا والذهب منه ما يكون أحمر ومنه ما يكون أخضر ومنه ما يكون أصفر وهذا أمر يشاهده الحس ولولا أن ذلك لازم لما قيل فى بعض المواطن الذهب الاحمر كما يقال الثلج الابيض وما بقى له من النقد عليه الا قوله ان الاضياف فيهم من لا يقبل الانعام وهذا نقد حسن فان الضيف قد يكون أكبر قدرا ممن أضافه وأجل نعمة وأشرف همة ولا كذلك العفاة فانهم لا يكونون الا دون من يسئلونه ويستعطونه فلو قال يقرى العفاة لزال الايراد ومع ان فيه نظرا من اثبات القرى ويمكن أن يجاب بأنه خصص هذا القرى بالاضياف الذين يسئلونه ويستعطونه وما

أحسن ما نقلته من خط القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر من نظمه

سلفتنا على العقول السلافه * فتقاضت دونها بلطافه
ضيفتنا بالبشر والنشر واليسـ ـر ألا هكذا تكون الضيافه

قوله بالبشر بالباء ويعني ابتسامها بالحباب وما أحلى قول صدر الدين بن الوكيل

وان أقطب وجهي حين تبسم لي * فعند بسط الموالي يحفظ الادب

وقول عز الدين بن أبي الحديد

لا تلقها الا بشـ ـر لك فالقطوب من الدنس
ما أنصف الكاسات من * ضحكت اليه وقد عبس

وأنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان قال أنشدني لنفسه الشيخ شرف الدين محمد بن موسى المقدسي

اليـوم يوم سرور لا شرور به * فزوج ابن سحاب بابنة العنب
ما أنصف الكاس من أبدى القطوب لها * وثغرها باسم عن لؤلؤ الحبب

ومن هذه المادة قول ابن قلاقس

لا تقتلاها بالمزا * ج غداة أشربها اشفاها
ما في المـر وعة أنها * تحيي السرور وتقتلاها

وقول محيي الدين بن قرناص

قد قلت اذ أضحى يعبس كلما * دارت عليه بالمدام الاكؤس
تالله ما أنصفتها يا مالكي * تأتيك باسمة وأنت تعبس

وما أحسن قول ابن رشيق

أحب أخي وان أعرضت عنه * وقل على مسامعه كلامي
ولي في وجهه تقطيب راض * كما قطبت في وجه المدام
ورب تقطب من غير بغض * وبغض كامن تحت ابتسام

وقول الشيخ صدر الدين * فعند بسط الموالي يحفظ الادب * ينظر الى قول أبي الطيب

ان يقبح الحسن الا عند طلعته * فالعبد يقبح الا عند سيده

وتكلم ابن جني على هذا البيت ومثله بقول الآخر

واذا الدرز ان حسن وجوه * كان للدرحسن وجهك زينا

وليس منه وأما قول محيي الدين بن عبد الظاهر بالنشر بالنون يعني به نكهتها كما قال أبو نواس

فتنفست في البيت اذ خرجت * كتنفس الريحان في الانف

وقوله واليسر بالياء والسين يريد أن شاربها يزول همه وتبسط آماله قال بعض الاعراب

واذا سكرت فانني * رب الخورنق والسدير
واذا صحـوت فانني * رب الشويهة والبعير

وما أحسن قول النصير الحامي

أصبحت من أغنى الورى * مستبشرا بالفرح
عندي خمر ذهب * أكتاله بالقدح

وكيف قال رفعته فوق قدره
ووضعتني دون قدري الا
انك له في ذلك لاحظا اما قال
كيف قال لانك اقمته مقام
هزؤ واقمتني مقام رحمة فضحك
المأمون وقال قاتلك الله
ما اهيلك ورضي عنه وقد
رويت هذه الحكاية لغيره
(وحكي) عن سلم رضا
المأمون عنه انه تكلم بكلام
حسن في محفل فقام سهل
وقال مالكم تسمعون ولا
تعون ولا تعجبون اما والله انه
ليقول ويفعل في اليوم
القصير مثل ما قالت وفعلت
بنو مروان في الدهر الطويل

لا يخفى حسن هذا النظم ولطف هذا المعنى وقول ابن قلاقس

فضلت بالكاس أغنى الناس كلهم * فالخمر من عسجد والماء من ورق

وما أحسن قول القاضي الفاضل

لها من تصفو على الشرب أربع * وواحدة لو لاسماحتها تكفي

سرور الى قلب وتسبر الى يد * ونور الى عين وعطر الى أنف

ولما رأينا ياسمين حبابها * مددنا يمين القطف قبل فم الرشف

وما أحسن ما قال ابن المعتز

شربت الراح في الحانات صرفا * لها أرج يجل عن الصفات

عجبت لعاصريها كيف ماتوا * وقد عصروا الناماء الحياة

فاعجب المأمون قوله ورضي عنه * ومن كلامه يعزي التهنئة على آجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة * وقال في المعنى مصيبة في غيرك لك ثوابها خير من مصيبة فيك لغيرك ثوابها وقال حق على كل ذي نعمة أن يبدأ بحمد الله قبل استفتاحها كما يبدئ بالنعمة قبل استحقاقها وكتب الى صديق له أبل من ضعف بلغني خبر الفترة في الماء فيها وانحسارها والشكاة في حلولها وارتحالها فكاد يشغل القلق باوله عن

*(يشفي لديغ العوالي في بيوتهم * بنهلة من غدير الخمر والعسل)*

(اللغة) لدغته العقرب تلدغه لدغا وتلداغا فهو ملدوغ ولديغ ويقال لدغه بكلمة أي ترعه بها فاللدغ للعقرب حقيقة وفي غيرها مجاز (العوالي) الرماح وقال صاحب الكفاية العامل ماتحت السنان الى مقدار ذراعين ثم العالية وجمعها عوال (بنهلة) النهلة الشربة الواحدة والمنهل المورد وهو الماء ترده الابل والشربة الثانية يقال لها العلل (الغدير) القطعة من الماء يغادرها السيل وهو فعيل بمعنى مفاعل من غادره أو مفعل من أغدره وقيل بمعنى فاعل لانه يغدر بأهله عند الحاجة اليه قال الكميت

ومن غدره غير الاولون * بأن لقبوه الغدير الغديرا

(الخمر) معروف وهي ماخامر العقل وانما سميت خمرا لانها تركت فاختمرت أي تغيرت ريحها (والعسل) يذكر ويؤنث تقول منه عسلت الطعام أعسله وأعسله بالضم والكسر اذا عملته بالعسل والعسل مجاج النحل (الاعراب * يشفي) فعل مضارع مغير لما لم يسم فاعله وقد تقدم الكلام عليه في قوله كالسيف عرى متنه ويكتب بالياء لانه من شفيت (لديغ) مرفوع على أنه مفعول لما لم يسم فاعله وهو هنا بمعنى مفعول وهو كثير في كلامهم ومنه قتيل بمعنى مقتول وجريح وطريد ومسجى في أحد الاقوال (العوالي) جمع عالية وهو في موضع جر بالاضافة والجر فيه مقدر لانه مقصور لا يظهر فيه اعراب غير النصب تقول هذه عوال ومررت بعوال ورأيت عوالي (في بيوتهم) جار ومجرور والضمير يعود الى رجال الحي وهو في موضع جر بالاضافة وفي هنا للظرف المكاني وتتعلق بلديغ (بنهلة) الباء هنا للاستعانة والجار والمجرور متعلق بيشفي ويصح أن يكون حالا تقديره يشفي اللديغ في بيوتهم ناهلا (من غدير) من هنا البيان الجنس وتكون للتبعيض وتقدير هنا بمعنى مفعول لانه يغادر من السيل في الاودية و (الخمر) مجرور بالاضافة الى غدير والاضافة بمعنى اللام (والعسل) معطوف عليه والالف واللام هنا للجنس (المعنى) ان هؤلاء القوم من وصفهم أن لديغ العوالي الذي طعن يشفي بشربة واحدة من غدير الخمر والعسل وقوله بشربة من غدير الخمر والعسل كناية عن رشف رضاب الفتيات اللاتي تقدم ذكرهن فشبه ريقهن بالخمر والعسل والالوجمل على حقيقته كذبه الحس لان الذي يطعن بالرمح لا يشفي بشرب العسل ولا الخمر فما بقي الا رد ذلك بالتأويل الى ما ذكرته * واعلم ان للشعراء ألفاظا صارت بينهم حقائق عرفية وان كانت في الاصل مجازا لكثرة

دورها فى كلامهم وتعاطيهم استعمالها لانهم ألفوا ذلك من تداولها وتكرارها على مسامعهم من ذلك الغصن اذا أطلقوه فهم منه القوام والكثيب اذا أطلقوه فهم منه الردف والورد اذا أطلقوه فهم منه الوجنة والاقاح اذا أطلقوه فهم منه الثغر والراح اذا أطلقوه فهم منه الريق والنرجس اذا أطلقوه فهم منه العيون وكذلك السيف والسهم والسحر واذا أطلقوا الآس أو البنفسج أو الريحان فهم منه العذار فكل هذه الاشياء انتقلت عن وضعها الاصلى وصارت حقائق عرفية نقلها الاصطلاح الى هذه الاشياء قال أبو نواس

يا قبرا أبصرت فى مأتم * ينتب شجوا بين أتراب
يبكى فيذرى الدر من نرجس * ويلطم الورد بعناب

وقال ابن المعتز فيما أظن

ومبهم أحاطه وعذاره * يتعاضدان على قتال الناس
سفك الدماء بصارم من نرجس * كانت حمائل غمده من آس

وقال ابن اسرائيل

وأسمر عسجدى اللون تحكى * معاطف قده سمر العوالى
يدير على الشقيق عذار آس * ويبسم بالعقيق عن اللآلى

قلت ولو قال لثام آس لكان أصنع وأحسن وقال الجلال الصفار

ما برحت يوم وداعى لها * تضمنى ضمة مستأنس
حتى تثنى الغصن فوق النقا * وانتشر الظل على النرجس

وقال آخر

وليلة بتها من نعرجى * ومن كاسى الى فلق الصباح
أقبل أقحوانا فى شقيق * وأشرب بها شقيقا فى اقاح

وهو مأخوذ من قول المطوعى

ومعشوق الشمائل قام يسعى * وفى يده رحيق كالحريق
فأسقانى عقيقا حشو در * وقبلنى بدرفى عقيق

وقال ابن النبيه

رضا بك راحى آس صدغك ريحانى * شقيقى جنى خديك جيدك سوسانى
وبين النقا والرمل تهتز بانة * لها منبر من جلنار ورمان

وذكر الطغرائى الشفاء بالخمر والعسل لوجهين * الاول ماجاء فى الخمر من قوله تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس قال أصحاب التفسير ان العرب كانت اذا غلبت فى الميسر تتصدق بكل ماخرج لها على الفقراء والمحتاجين ويعينون على من لا يفعل ذلك منهم ويسمونه البرم وما رأيت من تكلم على قداح الميسر وأسمائها وأحكامها مثل علم الدين السخاوى فى كتابه سفر السعادة * ومذهب الشافعى أن التداوى بالخمر لا يجوز تمسكا بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها ولم يرخص الا للشرق اذا غص باللقمة فله أن يسيغها بجرعة من الخمر اذا لم يجد ماء فى الوقت وخاف الهلاك واذا كان التداوى بها عنده لا يجوز فمنع استعمالها للطرب واللذة بالطريق الاولى ولا فرق فى

السكون لآخره وتدخل الحيرة فى ابتدائه عن المسرة فى انتهائه وكان تغيرى فى الحالين بتقدرهما ارتياعا للاولى وارتياحا للاخرى وكتب لآخر أما بعد فالسلام على عهدك وداع ذى ودضنين بك فى غير مقالية لك ولا سلوة عنك بل استسلام للبلوى فى امرك واضطرار بالعجز عن استعطافك الى أوان فيئتك أو يجعل الله لنا دولة من رمتك * وقال بفضل الزجاج على الذهب فى رسالة الزجاج مجاور برى والذهب متاع سائر والشراب فى الزجاج

مذهبه بين قليلها وكثيرها وبين عصير العنب وغيره من المسكرات لانه قال كل شراب مسكر حرام * وقال أبو حنيفة الخمر عبارة عن عصير العنب المشتد الذى قذف بالزبد وحجة الشافعى ماروى أبو داود فى سننه عن الشعبى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال نزل تحريم الخمر يوم نزل وهى خمسة من العنب والتمر والحنطة والشعير والذرة والخمر ماخامر العقل وقد روى أبو داود فى سننه من هذا النوع جملة عن نافع عن ابن عمر وعن عائشة وعن جابر وعن القاسم وعن شهر ابن حوشب عن أم سلمة رضى الله عنهم ولاشك أن ابن عمر رضى الله عنه كان عالما باللغة وبالمراد من الآية لما نزلت وقد قال نزل تحريم الخمر يوم نزل الخ وهو صريح فى تناول الحرمة للانواع الخمسة وحجة أبى حنيفة قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب الآية قال من الله تعالى باتخاذ السكر والرزق الحسن والمنة لاتكون الا بماح ورواية ابن عباس قال لما أتى النبى صلى الله عليه وسلم السقاية عام حجة الوداع استند اليها وقال اسقونى فقال العباس ألا نسقيك مما ننبذه فى بيوتنا فقال ماسقى الناس فجاءه بقدح من نبيذ فشمه وقطب وجهه ورده فقال العباس يارسول الله أفسدت على أهل مكة شرابهم فقال ردوا على القدح فرددناه عليه فدعا بماء من زمزم فصب عليه وشرب وقال اذا اغتلمت عليكم هذه الاشربة فاقطعوا متونها بالماء قال والتقطيب لايكون الامن الشديد والجواب أن آية السكر والرزق الحسن نزلت قبل الآيات الدالة على الحرمة فهى امانا سخة أو مخصصة وأما الحديث فلعل ذلك النبيذ كان ماء نبذت فيه تمرات يسيرة ليحلو طعمه وأما التقطيب فلانه صلى الله عليه وسلم كان فى غاية اللطافة فلم يحتمل طبعه الكريم ذلك الطعم وكل فقهاء الكوفة أفتوا بشرب النبيذ وأما الخمر فلا وقد قال بعض أصحاب أبى حنيفة لأن أقول فى النبيذ مرارا كثيرة هو حلال خير من أن أقول فيه مرة واحدة هو حرام ولأن أخر من السماء فتقطعنى الرياح خير لى من أن أشرب منه قطرة (قلت) الاول قول بما أدى اليه اجتهاده والثانى تورع منه رضى الله عنه وقد ظرف من قال

لعمرك ماشربت الراح جهلا * ولكن بالادلة والفتاوى
فانى قد مرضت بداء هم * فاشربها حلالا للتداوى

والثانى ماجاء فى قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس قال مجاهد المراد بقوله فيه شفاء للناس القرآن والصحيح أن المراد به العسل لان الضمير يعود الى أقرب مذكور وهو الشراب وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان أخى استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال انى سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاءه الرابعة فقال اسقه عسلا فقال سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرئ وحملوا قوله صلى الله عليه وسلم صدق الله على قوله تعالى فيه شفاء للناس وقوله صلى الله عليه وسلم وكذب بطن أخيك على أنه علم بنور الوحى أن ذلك العسل سيظهر نفعه فلما لم يظهر فى الحال كان على بينة من شفائه فقال كذب بطن أخيك وقد روى عن ابن عمر رضى الله عنه انه كان لايشكو شيأ الا تداوى بالعسل حتى انه كان يدهن به الدمل والقرصة ويقرأ فيه شفاء للناس فان قيل كيف يكون العسل فيه شفاء للناس وهو مضر بالصفراء مهيج للمرة

أحسن منه فى كل معدن ولا يفقد معه وجه الديم ولا يثقل اليد ولا يرتفع فى الدرم واسم الذهب يتطير منه ومن أومه سرعته الى التمام وهو فاتن فاتك ان صانه وهو أبين من مصايد ابليس ولذلك قالوا أهلك الرجال الاحمران والزجاج لايحمل الوضر ولا يداخله العمر ومتى غسل بالماء وجده عاد جديدا وهو أشبه شئ بالماء وصفته عجيبة وصناعته أعجب من رسالة طويلة وكان سبب قوله لها أن شدادا الحارثى كان قد

(فالجواب) أنه تعالى لم يقل فيه شفاء لكل الناس بل قال شفاء للناس ويكفي فيه أن كل معجون مركب لم يكن تمامه الا بالعسل والاشربة المتخذة منه للامراض البلغمية عظيمة النفع فقد حصل فيه شفاء للناس وذهب قوم من أهل الجهالة الى أن المراد بهذه الآية أهل البيت وبنوهاشم وأنهم النحل وأن الشراب القرآن والحكمة وذكر هذا بعضهم في مجلس ابي جعفر المنصور فقال رجل من الحاضرين جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم فأضحك من في المجلس * وأخبرني الشيخ الامام الحافظ علاء الدين مغلطاي شيخ الحديث بالمدرسة الظاهرية بين القصرين بالقاهرة قال جاء رجل الى الشيخ شهاب الدين الحنبلي صاحب التعبير فقال له رأيت في منامي كأن قائلا يقول لي اشرب شراب الهكاري فقال له أبوجعلك فؤادك قال نعم قال اذهب فاشرب عسلا تبرأ باذن الله تعالى فقيل له من أين لك هذا قال لاني فكرت فلم أعرف شرابا منسوبا الى الهكاري فرجعت الى الحروف فوجدتها شراب العسل أرى والارى هو العسل وتذكرت حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فعلمت أن فؤاده بوجعه فوصفت له العسل (قلت) وقد حكى لي غير واحد من الثقات عن الشيخ شهاب الدين المذكور غرائب كهذه المادة لم تسمع عن غيره من المعبرين الغابرين (رجع) وهذا المعنى الذي في بيت الطغرائي لطيف كأنه يقول ان الذي يطعن بالرماح متى ارتشف شربة واحدة من ريق هذه الفتيات اللاتي في الحي شفي وذهب عنه الالم اما بلذة يجدها في رشف ريقهن واما بالخاصية التي في العسل والمعنى الاول أغزل وأشعر وقد اشتهر تشبيه الريق عند الشعراء بالراح والعسل قال عرقلة

بابي اللحاظ في كل عضو * لي من قوس حاجبيه سهام
حرموا ريقه علي ولكن * صدق الشرع ما تحل المدام

وقال أبو اسحق الصابي

بابي مبسم اذا لاح أهدى * بردا ينقع الجوانح بردا
شهد الثم صادقا وهو عدل * أن في ثغره رحيقا وشهدا

وقال حرملة بن مقاتل

وماضرب في رأس صعب مرد * بثيبانة يستنزل العصم ريقها
بأطيب من فيها لمن ذاق طعمه * وقد جف بعد النوم للصب ريقها
اذا اعتلت الافواه واستمكن الكرى * وقد حان من نجم الثريا خفوقها
وماذقت فاها غير حال رجوته * الا رب راج شربة لا يذوقها

وأول من فتح الباب في هذا المعنى النابغة الذبياني حيث قال يصف المتجردة امرأة النعمان

تحلو بفادمتي حمامة ايكة * بردا أشف لناته بالاعمد
كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى
زعم الهمام ولم أذقه بأنه * يشفي بريا ريقها العطش الصدى

وتزاحم الناس بعد النابغة على هذا الباب أفواجا ووردوه عذبا فراتا لا ملها أجاجا وما أحسن قول بعضهم

وعندي من معاطفها حديث * يخبر أن ريقتها مدام

وصف الذهب فاطنب وكان النظام قدم الزجاج * وقال تعلموا العلم فلان يذم الزمان لكم خير من أن يذمكم وقال يوما ثلاثة من الخاسرين الغضبان والغيران والكران فقال شخص من العوام فما تقول في المنعظ فضحك حتى استلقى وأنشد يقول

وماشر الثلاثة أم عمرو
بصاحبك الذي لا تصبحينا

ومن كلامه في كتاب عفراء وتعلة اجعلوا اداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدما قبل الذي تجودون به من

وفى ألحاظها السكرى دليل * وماذقنا ولازعم الهمام

وقال المتوكل الليثى

كأن مدامة صهباء صرفا * ترقرق بين راووق ودن
تعلل به الثنايا من سليمى * فراسة مقلتى وصحيح ظنى

وقال ابن صعترة البولانى

فبانطفة من حب مزن تقاذفت * به جنبتا الوادى والليل دامس
فلما أقرته الصباء تنفست * شمال لأعلى مائه فهو وارس
بأطيب من فيها وماذقت طعمه * ولكننى فيما ترى العين فارس

تفضلكم فان تقديم النافلة مع الابطاء فى أداء الفريضة شاهد على رهن العقيدة وتقصير الروية ومضر بالتدبير ومخل بالاختيار وليس فى نفع تحمد به عوض من فساد المروءة ولزوم التقيصة

وقال امرؤ القيس

وتغرلها طيب واضح * لذيذ المقبل والمبتسم
وماذقته غير ظنى به * وما الظن يقضى على ما كتم

ومن شعره قوله

ان كنت أخطأت أو اسأت فى
عفوك مأوى للفضل والمنن
أنبت ما أستحق من خطا
فيك بما تستحق من حسن

وقال ابن الرومى من أبيات

وماذقته الا بشمت ابتسامها * وكم مخبر بيديه للعين منظر
بدالى وميض شاهد ان صوبه * عريض وماعندى سوى ذاك مخبر

ومنه

أعان طرفى على جسمى وأعضائى
بنظرة وقفت جسمى على دائى

ومما أورده صاحب الاغانى فى أخبار مجنون ليلى ثم قال انهما لنصيب قوله

كأن على أنيابها الخمر شجها * بماء الندى من آخر الليل غابق
وماذقته الا بعينى تفرسا * كما شيم فى أعلى السحابة بارق

وقال بشار بن برد

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة أطراف المساويك
تذرزرت نامرة فى الدهر واحدة * عودى ولا تجعلى ابيضة الديك

وقال التهامى

وأقسم ما مشعشعة شمول * ثوت فى الدن عاما بعد عام
اذا ماشارب القوم احتساها * أحس لمسا دبيبا فى العظام
بأطيب من مجاجتهن طعما * اذا استيقظن من سنة المنام
ولم أشهد لهن جنى ولكن * شهدن بذاك أعواد البشام

وقال ابن حديس

وما قهوة خالطت مسكة * فبينهما للاريج اشتراك
بأطيب منها جنى نكهة * وقد ركز الليل رمح السماك
وماذقت فاها ولكننى * نقلت شهادة عود الاراك

وقال البهاء زهير

قلت به حلوا مليحا خذوا * بأعجب شئ كيف يحلو ويملح
وقد شهد المسواك عندى بطيبه * ولم أر عدلا وهو سكران يطفح

وقال ابن السعاتى

وبى زائر تبكو المنى دون وصله * ويعثر جارى الدمع فى ليل صده

يخبر عن لثم السلاف لثامه * وتشهد أطراف الاراك بشهده

وقال أيضا

ضاهى مقبله فريد عقوده * فى منعه وضيائه ونظامه
أبدا يشتت لوعتى تشتيته * ويزيد فى ظمأ مدار مدامه
كالمسك تشراوالسلاف مذاقة * والقول مثل اراكه وبشامه

وقال أيضا

قبلتها ورشفت خمرة ريقها * فوجدت نار صبابة فى كوثر
ودخلت جنة وجهها فأباحنى * رضوانها المرجو شرب المسكر

وقال أيضا

حددت بجفنيها على رشف ريقها * ومن شرب الصهباء يلزم بالحد
فيا قلب صبرا عن شهى رضابها * فان وحى السم من ذلك الشهد

(قلت) فى هذه المقاطيع الثلاث نظر أما قوله أبدا يشتت لوعتى تشتيته فانه خطأ لان اللوعة اذا تشتت تفرقت أجزاؤها وضعفت وليس هذا من شكوى المحبة فى شئ وكان الاليق أن يقول أبدا يجمع لوعتى أو يضم شتاتى ولكن الجناس أذهله وأما قوله فأباحنى رضوانها المرجو شرب المسكر فهو أيضا خطأ لان خمور الجنة منزهة عن السكر بل هى لذة للشاربين وفسر قوله تعالى لافيها غول بان معناه لاتغتال العقل بالسكر كخمور الدنيا وأما قوله حددت بجفنيها الى آخره ففيه عيبان الاول من جهة المعنى فان قوله حددت بجفنيها لامعنى له لانه ان كان قد أراد الحد الذى يقام على السكر فبعيد أن تستعار السياط للجفون ولم يستعرلها الا السيوف أو السهام ومن أين يفهم عدد الثمانين وما أحلى قول القائل

شربت من أكؤس خمر الصبا * فحدك الدهر ثمانينا

وان كان قد أراد الحد لغة وهو المنع فاللنصف الثانى من البيت تعلق بالاول لانه قال ومن شرب الصهباء يلزم بالحد * فدل على انه يريد اقامة الحد والثانى انه لم يجزم جواب الشرط فى يلزم وان كان قد جاء فى الضرورة ولكن الافصح الجزم (وقلت) أنا فى معنى قول النابغة

تبدو فأرتحت من سكرتى * وقلت هنا القرقف المنخب
وما ذقت فاه ولكننى * حكمت على ثغره بالحبب

وقال سعد الدين محمد بن عربى

سبانى ثغر منك كالدر نظمه * فيا من رأى درا يشبه بالدر
أشاهد ريقا منك كالشهد طعمه * وما ذقته يوما ولكننى أدرى

وما أحلى قول ناصر الدين حسن بن النقيب

قالوا فلان يصوغ كذبا * يكسوه من لفظه طلاوه
حلو حديث فقلت من لى * لو أنه صادق الحلاوه

ونقله المولى جمال الدين محمد بن نباتة فقال

ان جادلى هاجرى بوعد * كالشهد فى الطيب والطلاوه
فلا تكذب حديث فيه * فانه صادق الحلاوه

وكنت غرا ما تجنى على يدى
لاعلم لى أن بعض بعض
أعدائى

وقوله هجورا
من كان يعمر ما شادت أوائله
فانت تهدم ما شادوا وما
سكوا

ما كان فى الحق أن تابى فعالهم
وأنت تحوى من الميراث
ما تركوا

وقوله
تكنفنى هما ان قد كفانا بالى
وقد تركا فلبى محلة بالى
هما الجرا دمعى ولم تدر أدمعى
ربيعة خدر ذات سمط
وخلخال

وقلت فى المعانى المتقدمة

علم الوشاة بأن ريقه معذبى * راح تعيد الصب بعدهلاكه
اما أنالم يبدهذامن فمى * لكن هذامن فضول سواكه

وقلت أيضا

بت من ورد خده * وماه المعطر
بين ورد مفتح * وشراب مسكر

وقلت أيضا

ياآمرى بالصبر عمن شفنى * سقما وفى فيه شفاء على
من يستطيع الصبر أو يرضى به * عن مثل ذاك المرشف المعسول

وقلت أيضا

لاتلم قلب الشجى تقابل * معروف أهل الهوى عنكر
فلو ترشفت ريق فيه * كنت يقينا ياصاح تسكر

وقلت أيضا

ياقلب ان زاد الغما * فاقصد مراشفها الشهيه
انى لاعرف منهلا * يشفى الجوى خلف الثنيه

وقلت أيضا

وغزال غزا فؤادى بسهم * وسنان من طرفه الوسنان
كم سقانى من ثغره كاس خمر * فرشفت السلاف من أقحوان

ولكنما أبكى لعين سخينة
على خلل تبكى لها عين أمثالى
فراق خليل فقده يوزن الاسى
وخلة حر لا يقوم لها بالى
فوا حربا حتى منى أنا موجع
بفقد حبيب أو تعذر أفعالى

وقوله

اذا امرؤ ضاق منى لم يضق خلقى
من أن يرانى غنيا عنه بالياس
لا أطلب المال كى أغنى بفضلته
ما كان مطلبه يفقرا الى الناس

(تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى أوله قول الطغرائى لعل المامة الخ)

(فهرست الجزء الثانى من شرح العلامة الصفدى على لامية العجم)

صحيفة

٢ الكلام على قول المصنف لعل المسامة بالجزع البيت
٣ حكاية ظريفة فى الدبيب ومقاطيع تناسب ذلك
٥ فى الكلام على الفاعل
٦ حكاية الاصمعى فى انتحال المعانى وما يناسب ذلك
٨ الكلام على قوله لا اكره الطعنة النجلاء الى آخر البيت
٩ الكلام فى اقتحام الاخطار فى الحب
١٠ الكلام فى التغزل فى العيون
١٢ الكلام على قوله ولا اهاب الصفاح الخ
١٢ فى ذكر الجمع بين الساكنين
١٣ اشكال وقع فى قول ابن الرومى ومن العجائب ان عضوا واحدا الخ
١٤ سؤالات رفعت للعلامة ابن تيمية
١٥ سؤال حنثى رفع الى القاضى شريح ورفعه الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب
١٦ الكلام فى الاستخدام
١٩ الكلام فى الحماسة فى صورة الغزل
٢٠ الكلام على قوله ولا أخل بعزلان الخ وفيه الكلام على لو
٢٣ عدم نسيان المحبوب عند الاخطار
٢٦ الكلام على قوله حب السلامة الخ
٢٧ الكلام فى الخمول
٢٨ فى السعى والكد والجد والكدح
٢٩ الكلام على قوله فان جنحت اليه الخ وفيه الكلام على المنزلة
٣٢ الكلام على ان
٣٤ الكلام على أو
٣٥ الكلام على قوله ودع غمار العلى الخ
٣٦ الكلام فى قوله تعالى أتدعون بعلا
٣٩ فى نوابغ من الكلام وما يناسب ذلك
٤٠ الكلام على قوله رضى الذليل الخ
٤١ الكلام على عند
٤٢ الكلام فى عدم الرضى بالذل
٤٣ أبيات ورسائل تتعلق بالنيل
٤٥ الكلام على قوله فادوا أبها الخ وفيه الكلام على مثنى وثلاث ورباع وأحاد وسداس
٤٨ الكلام على قوله ان العلى حدثتنى الخ

صحيفة
٤٩ فى الحث على الانتقال والحركة
٥٠ الكلام فيما يتعلق بالشطرنج وفيه فوائد وأشكال
٥٦ فى الاعتراض والحشو
٥٩ الكلام فى الرد على من تغزل فى المشايخ والكلام على قوله لوأن فى شرف المأوى الخ
٦٠ الكلام على المنازل والبروج
٦١ فى ذكر أشياء اشتهرت بين الادباء
٦٢ فيما له شهرة بين المحدثين وذوى الاخبار
٦٥ قاعدة فى ان كل سابع يخلع وتمام الكلام على السعى والحركة
٦٩ الكلام على قوله أهبت بالحظ الخ
٧٠ الكلام فيما يتعلق بالحظوظ وأنها لا تعلل الخ ما قال نظما ونثرا
٧٧ حكاية عن بعض المطربين
٧٧ الكلام فى أن الزمان مولع بخمول الادباء نظما ونثرا
٨٠ الكلام على قوله لعله ان بدا فضلى الخ وفيه الكلام فى تصريف بدا وغير ذلك
٨٢ فى انتباه الزمان للفضلاء بعد رقاده وفيه مسائل
٨٤ فى أشياء تتعلق بالتصحيف
٨٥ الكلام على قوله اعلل النفس بالآمال الخ وفيه الكلام على النفس
٨٨ الكلام فى فعل التعجب
٨٨ الكلام على لولا
٩٠ الكلام على الأمل والتمنى نظما ونثرا
١٠٠ الكلام على قوله لم ارتض العيش والايام مقبلة الخ
١٠٢ الكلام على العيش والشباب والمشيب نظما ونثرا
١٠٥ الكلام على قوله غالى بنفسى عرفانى الخ
١٠٧ الكلام فيمن تكبر ويليه أشعار تناسبه
١٠٨ الكلام على قوله وعادة الفضل الخ وفيه الكلام على العادة فى عرف الكتاب
١٠٩ الكلام على أن
١١١ الكلام على المثنى وبين التثنية
١١٢ الكلام فيما يتعلق بالسيف نظما ونثرا
١١٦ الكلام على قوله ما كنت أوثر الخ وفيه الكلام على ما كان فيما يناسبه قول الناظم ما كنت أوثر الخ من الاشعار
١٢١ الكلام على قوله تقدمتنى أناس الخ
١٢٤ فيما يتعلق برزقاء اليمامه
١٢٦ فى أشياء يمتحن بها الاذهان فى الحساب

صحيفة

١٢٨ على قوله هذا جزاء امرئ الخ وفيه اشكال وجواب فى قول الشاعر الشمس طالعة ليست بكاسفة الخ

١٢٨ الكلام على الاجل وغاية العمر

١٢٩ الكلام فيما يناسب بيت الناظم نظما ونثرا

١٣١ فيما يتعلق بالشؤم والطيرة والعدوى

١٣٦ فيما يتعلق بالتأسف على الماضين

١٣٨ حكايات واشعار فى المجون

١٤٣ الكلام على قوله وان علانى من دونى فلا عجب الخ

١٤٥ الكلام على الشمس وزحل والقمر وسبب الكسوف والخسوف

١٤٧ صورة الافلاك والعناصر

١٤٩ صورة كسوف الشمس

١٥٠ صورة خسوف القمر

١٥٧ فى مخالفة ابن الرومى وعكسه القياس والرد عليه وما قيل فى الورد والنرجس نظما ونثرا

١٥٩ فى نبذة من محاسن ابن سناء الملك ونبذة من شعر ابن بسام

١٦٣ فى غرائب ابن الرومى ويليه حكايات مستعذبة

١٦٥ الكلام على ما فى زحل من المحاسن والفوائد

١٦٦ فى رفع الناقص وخفض الكامل وما قيل فيه من الاشعار

١٦٦ مسئلة فى رؤية الاشياء القائمة على الانهار وفيه شكل لذلك

١٧١ الكلام على قوله فاصبر لها غير محتال الخ

١٧٢ فى الصبر على حوادث الدهر

١٧٤ نبذة من التأسف على ما جرى للمعتمد بن عباد وذكر ابيات له

١٧٦ نبذة فى قوله تعالى ان مع العسر يسرا وفيه رجوع الى الصبر

١٧٩ نبذة تتعلق بمن صلب

١٨١ فى التمطى وما قيل فيه من الجون ويليه بقية من الكلام على الصبر

١٨٢ الكلام على قوله أعدى عدوك أدنى من وثقت به الخ

١٨٣ الكلام فى صيغة أفعل التفضيل

١٨٤ الكلام فيما يتعلق بالاحتراس من الناس وفيه نبذة وحكايات أشعب الطماع

١٨٨ الكلام فيما يتعلق بالعميان والتغزل فيهم والدبيب وغير ذلك

١٩٣ الكلام على قوله فانما رجل الدنيا وواحدها الخ وفيه الكلام على الغنا

١٩٥ الكلام على قوله وحسن ظنك بالايام معجزة الخ

١٩٧ حكايات واشعار تناسب بيت الناظم

صحيفة
١٩٨ الكلام فيما يتعلق بفساد الزمان نظما ونثرا
١٩٩ فيما قيل فى حسن الظن
٢٠٠ الكلام على قوله غاض الوفاء وفاض الغدر الخ
٢٠١ نبذة فيما قيل فى الغدر والوفاء من نظم وغيره
٢٠٦ الكلام على قوله وشان صدقك عند الناس كذبهم الخ وفيه ذكر المنافقين
٢٠٧ نبذة فيما قيل فى حسن التعليل
٢٠٨ الكلام فى عدم المطابقة
٢١٠ الكلام على قوله ان كان ينجع شئ فى ثباتهم الخ وعلى قولهم سبق السيف العذل
٢١١ الكلام فى مراعاة العهود وفى العذل وما يناسب ذلك من الحكايات وفيه نبذة تتعلق باسماء الشهور وغير ذلك
٢١٧ الكلام على قوله يا وارد اسؤر عيش كله كدر الخ وفى الكلام على الكل والكليات الخمس
٢١٨ نبذة فيما قيل فى الكدر وغير ذلك
٢٢٠ فى المنادى ويليه نبذة فى التجريد
٢٢١ فى الصفو أيام الشباب والاعتذار عن شيب الحبيب
٢٢٤ فيما يناسب قول الناظم يا وارد الخ
٢٢٦ الكلام على قوله فيم اقتحامك لج البحر البيت
٢٢٧ فى الرضى باليسير من الدنيا ويليه حكايات واشعار لائقة بذلك
٢٢٩ الكلام على قوله ملك القناعة لا يخشى عليه البيت وفيه الكلام على الاقتصار
٢٣٠ فى القناعة وما فيها من الجدوى
٢٣٧ الكلام على قوله ترجو البقاء بدار لا ثبات لها البيت
٢٣٧ نبذة تتعلق بالظل
٢٣٨ الكلام فيما يتعلق بالنسيان وفيه نبذة من الجون
٢٤٠ نبذة فى اسباب خراب دار الدنيا
٢٤٥ مراسلة بين القاضى الفاضل وابن سناء الملك
٢٤٦ رجوع الى قول الناظم فهل سمعت بظل غير منتقل
٢٤٧ الكلام على قوله ويا خبيرا على الاسرار الخ
٢٤٨ ما قيل فى كتمان السر من النظم وغيره
٢٥٠ الكلام على الصمت وذم الكلام وفيه حكاية قتل الشهاب السهروردى
٢٥٣ أشعار للسراج الوراق وما وقع له مع أبى الحسين الجزار
٢٥٣ رجوع الى قتل الشهاب السهروردى ويليها حكايات عمن فضحه كلامه
٢٥٤ الكلام على قوله قد رشحوك لامر ان فطنت له الخ

٢٥٦ فى مقاطيع ظاهرها التكرار وفى الكلام على الايطاء وتحصيل الحاصل وعلى ما يتعلق بالصدى وغير ذلك من المحاسن
٢٥٩ استطراد فى رؤية الهلال وفيه مبحث لطيف يتعلق بتاريخ وفاة المصطفى صلى الله عليه وسلم
٢٦٠ الكلام فى التحذير من الاعداء
٢٦٢ الكلام فى هجر الحبيب
٢٦٣ الكلام فى قلب بعض الالفاظ
٢٦٦ الكلام فيما يشاكل قول ابن سكرة فى الكافات ويليه أبيات للشارح فى ذلك
٢٦٨ نبذة فى لطائف من الجناس وغيره للشارح وغيره وهى خاتمة الكتاب

(تمت)

(فهرست الجزء الثانى من كتاب سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون)

١٦ ترجمة الامام مالك رضى الله عنه
٢٥ ترجمة الخليل بن أحمد
٤٢ ترجمة أبى الاسود الدئلى
٤٧ ترجمة مانى النحوى
٥١ ترجمة غيلان القدرى
٥٥ ترجمة الجعد بن درهم
٥٦ ترجمة خالد القسرى
٦٠ ترجمة بشار بن برد
٧٧ ترجمة أبى نواس
٨٧ ترجمة أبى تمام
٩٨ ترجمة امرئ القيس
١١٠ ترجمة الفضل اللهبى
١١٢ ترجمة الهاشمى
١١٧ ترجمة مجنون ليلى
١٢٣ ترجمة ابن أبى ربيعة
١٣١ ترجمة دريد بن الصمة
١٣٥ ترجمة النعمان بن المنذر
١٤٩ ترجمة باقل بن عمرو
١٥١ ترجمة هبنقة
١٥٤ ترجمة طويس
١٦٢ ترجمة الفرزدق
١٧٠ قصة وافد البراجم
١٧١ ترجمة المتلمس
١٧١ ترجمة عقيل بن علفة
١٧٩ الكلام على ابنة الخس
١٨٧ ترجمة الاعشى الاكبر
١٩٧ ذكر العرندس
٢٠٠ ذكر الخنساء
٢٠٦ ذكر محرق
٢١١ ذكر قرطى مارية
٢١٢ ذكر عمرو بن معديكرب
٢٢٠ ذكر الصمصامة
٢٢٤ ذكر الحطيئة
٢٣٣ ذكر أبى العتاهية
٢٤٤ حديث براقش
٢٦٣ ذكر عامر بن الظرب أحد حكام العرب المشهورين

الجزء الثانى من كتاب الغيث المسجم فى شرح لامية العجم
للشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك
الصفدى الاريب الشاعر المثنى
الاديب تغمده الله برحمته
وأسكنه فسيح جنته
آمين

قال فى كشف الظنون (لامية العجم) لمؤيد الدين اسماعيل بن الحسين بن على فخر الكتاب العميد الطغرائى المتوفى سنة ٥١٤ نظمها ببغداد سنة ٥٠٠ فى وصف حاله وشكايته زمانه واعتى بها الادباء (فشرحها) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤ بشرح أوله الحمد لله الذى شرح صدور من تأدب الخ وسماه الغيث المسجم فى شرح لامية العجم ذكر فيه شيئا كثيرا على طريق الاستطراد فصار مشحونا بغرائب الجد والهزل وأحسن الخ ومع (وعليه حاشية) لعبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسى المتوفى سنة ٩٦٣ (واختصره) كمال الدين محمد بن موسى الدميرى المتوفى سنة ٨٠٨ ذكر فيه ان الصفدى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من فوائده الا أظهرها وأنه ينتقل فيه من علم الى علم ومن غريبة الى غريبة فهو غريب فى بابه عزيز عند طلابه (وشرحها) أيضا أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى المتوفى سنة ٦١٦ (وبدر الدين) محمد بن أبى بكر بن عمر المالكى الدمامينى المتوفى سنة ٨٢٨ (وابن جماعة) الحموى وسماه ايضاح المبهم من لامية العجم (وعلى بن قاسم) البغدادى وسماه حل المبهم والمعجم فى شرح لامية العجم (وجمال الدين) محمد بن عمر بن مبارك الحضرمى وسماه نشر العلم فى شرح لامية العجم (وحسين الكفوى) جمعه من الشروح كشرح الصفدى (والقاضى) جلال الدين المدنى (وجلال الدين) خضر الحنفى الذى ألفه بقسطنطينية سنة ٩٦٢ (وخمسها) معاذ الدين أبو جعفر محمد بن على الربعى البغدادى (وشهاب الدين) أحمد بن عبد الله الاندلسى وأجاد انتهى باختصار

(وبهامشه كتاب سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون) لعلامة زمانه ونادرة أوانه جمال الدين محمد بن نباتة المصرى جعل الله تعالى أنهار الجنة من تحته تجرى)

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣٠٥ هجريه)

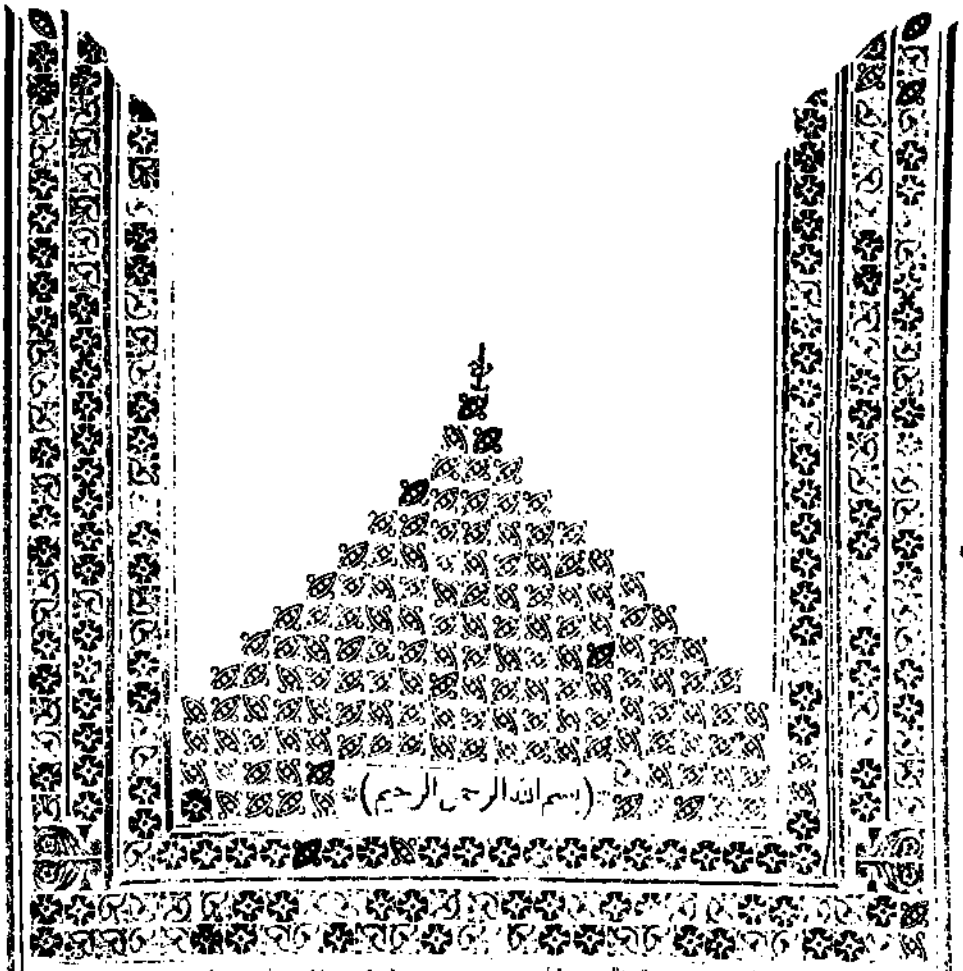

(وعمرو بن بحر مستهل)
هو عمرو بن بحر بن محبوب
ويكنى بابى عثمان ويعرف
بالجاحظ وبالحدق والاول
أشهر امام الفصحاء والمتكلمين
الذى ملأت الآفاق أخباره
وفوائده حتى قيل مما فضل
الله تعالى به أمة محمد صلى
الله عليه وسلم على غيرها من
الامم عمر بن الخطاب رضى
الله تعالى عنه بسياسته
والحسن البصرى بعلمه
والجاحظ ببيانه ولدا بالبصرة
ونشأ ببغداد واشتغل على
أبى اسحق النظام المتقدم
ذكره بمذهب الاعتزال وناهل
كتب الفلاسفة فهو مائل الى
الطبيعيين منهم وزاد على
المتكلمين بفصاحته وحسن
عبارته وعما تقرر به الدليل
بان المعرفة طباع وهى مع
ذلك فعل العباد على الحقيقة
وكان يقول فى سائر الافعال
انها انما تنسب الى العباد
على انها وقعت منهم طباعا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

*(لعن الله العامة بالجزع ثانيه * يذب منها اسم اليرغ على)*

(اللغة) لعل كلمة ترج وسيأتى الكلام عليها فى الاعراب وفيها لغات لعل وعل ولعن وعن ولان بفتح اللام وأن وعن ورعن بالغين المعجمة ولغن باللام والغين المعجمة والنون ولعلت بزيادة التاء فى آخر لعل (الالمام) النزول وقد ألم به أى نزل وغلام ملم قارب البلوغ وفى الحديث ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم أى يقرب من ذلك (الجزع) منعطف الوادى (ذب) على الارض يذب ذبيبا وكل ماش على الارض دابة وذبيب هذا وضع اللغة وقولهم أكذب من ذب ودرج معناه أكذب الاحياء والاموات وذبت العقرب اذا سرحت من جحرها ليلا وما أحلى قول القائل

كم ذب كالعقرب ليلا وكم * قد قتلوه قتله العقرب

قال على بن بسام البغدادى كنت أعشق غلاما لخالى أحمد بن حمدون فنمت ليلة عنده وقت لاذب عليه فلسعنى عقرب فقلت آه فانتبه خالى وقال ما أتى بك ههنا فقلت قمت لاذب فقال صدقت ولكن فى است غلامى فحضر لى اذذاك هذه الابيات

ولقد سريت مع الظلام لموعد * حملته من غادر كذاب
فاذا على ظهر الطريق معدة * سوداء قد علمت أوان ذهابى
لا بارك الرحمن فيها انها * دابة دبت على دباب

وقيل

وقيل ان صاحب الغلام أنشد

وداوى اذا نام سكانها * تقيم الحدود وبها العقرب
اذا غفل الناس عن دينهم * فان عقار بنا تضرب

وقال أبو نواس

اذا هجع النيام نخل عنى * وعن كان يصلح للديب
ألذ النيك ما كان اغتصابا * بمنع الحب أو منع الرقيب

وقال أبو حكيمة راشد بن عبد القدوس

ومنتبه بين النداى رأيته * وقد رقد النعسان دب على الساق
فأوجع فيه مثل أسود سالخ * عظيم من الحيات ليس له راق
فلما انتهى فيه تحرك واتكا * وأطرق عند الزهر أحسن اطراق
فقلت له لا تلفين مقصرا * ولا مشتقا فى غير موضع اشتاق
أجد تحت خصيه فان سكونه * سكوت امرئ صاب الى النيك مشتاق
فلو لم يكن يقظان ما قام ايره * ولا لف عند النيك ساقا على ساق

وأخذه النور الاسعردى فقال

دببت وفى نفسى بأنك نائم * وما كنت الا هاصر الطرف يقظانا
والا فلم أبديت غفلك بعدما * قلبت الى جنب وكان الذى كانا

وقال أيضا

وريم يريد غرامى به * وأتعبنى نفسى به دائمه
بسقر لو جنته قد قرأ * ت سطرا به مهيبى هائمه
وعاطيته خمر عزة * فنام وما صبرتى نائمه
دببت من الردف فى ربوة * فأبصرتها برزة ناعمه

وقد أدمج فى أثناء هذه الابيات أسماء منارة فى شوطة دمشق وهى مشهورة وقال أيضا

كنت مثل النسيم عند دبيبى * سحرا نحو تسل ردف حبيبى
فلهذا فتحت زهر ة ورد * بقضيب عند الهبوب رطيب

وقال أبو جعفر أحمد بن الأبار

زارنى خيفة الرقيب مريبا * يتشكى القضيب منه الكثيبا
رشأ راش لى سهام المنايا * من جفون يصمى بهن القلوبا
قال لى ما ترى الرقيب مطلا * قلت ذره أتى الجناب الرحيبا
عاطنا كؤس المدام دراكا * وادرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها بخمر عينيك صرفا * واجعل الكاس منك ثغرا شنيبا
ثم لما أن نام من تتقيه * وتلقى الكرى سميعا مجيبا
قال لا بد أن تدب عليه * قلت أبغى رشادا وآخذ ذيبا
قال فابدأ بنا وثن عليه * قلت كلا لقد ذكرت قريبا
فوثبنا على الغزال ركوبا * ودببنا الى الرقيب دبيبا

وأنها وجبت بارادتهم وليس بجائز أن يبلغ أحد ولا يعرف الله تعالى والكفار عنده بين معاند وبين عارف قد استغرقه حبه لمذهبه وعصبيته فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه الى غير ذلك من آرائه التى تبعه عليها أصحابه المعروفون بالجاحظية * فاما مصنفاته الادبية مثل كتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان وكتاب الامصار وغيرها من الرسائل فكثيرة جدا مشحونة بانواع الفضائل وكان منقطعا الى الوزير محمد ابن عبد الملك بن الزيات ولما قبض عليه وعوقب فى التنور هرب الجاحظ فقيل له لم هربت قال خفت أن أكون ثانى اثنين اذهما فى التنور يريد بذلك ما صنعوا بابن الزيات من ادخاله تنورا فيه مسامير محماة كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب به حتى مات ثم أتى بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفى عنقه سلسلة وهو مقيد فى قميص سمل فلما نظر اليه ابن أبى دواد قال والله ما علمتك الا كفورا للنعمة معددا للمساوى فى كلام يقرعه به فقال الجاحظ خفض عليك أيدك الله فوالله لان يكون لك الامر على خير من أن يكون لى عليك ولان أسىء

فحسن أحسن فى الاحدوثة عنك من أن أحسن فتسىء ولأن تعفو عنى فى حال قدرتك أجمل بك من الانتقام منى فقال ابن أبى دواد قبحك الله فوالله ماعلمتك الا كثير تزويق اللسان يا غلام سر به الى الحمام فأدخل الحمام وحمل اليه فنت من ثياب فاخرة ولبس ذلك وأتاه فصدره فى مجلسه ثم أقبل عليه فقال هات الآن أحاديثك يا أبا عثمان ولم يزل عزيز الجانب موفور المال والجاه من مبتدأ أمره الى ان مات سنة خمس وخمسين ومائتين بعد أن بلغ أكثر من تسعين سنة *وله أخبار ظريفة كثيرة ونثر طائل ونظم ضعيف فمن أخباره ونوادره قال أتيت منزل صديق لى فطرقت الباب فخرجت الى جارية سندية فقلت قولى لسيدك الجاحظ بالباب فقالت أقول الجاحظ بالباب على لغتها فقلت لا قولى الحسدق فقالت أقول الحالق فقلت لا تقولى شيأ ورجعت وقال سأخبرك أحد مثل امرأتين رأيت احداهما فى العسكر وكانت طويلة القامة وكنت على طعام فأردت أن أمازحها فقلت انزلى كلى معنا فقالت أصعد أنت حتى ترى الدنيا

قهل أبصرت أو سمعت بصب * نال محبوبه ونال الرقيبا

وماقطع هذا الباب الا أبو نواس حيث قال

فكنا رسول عنان * والرأى فيما فعلنا

فكان خبزا على * قبل الشواء أكلنا

ومما نظمته وفيه تضمين

أقول وقد نامت على حر وجهها * ومالى عليها فى الظلام دبيب

وان الكثيب الفرد من جانب الحمى * الى وان لم آته لحبيب

وما أحسن ما اعتذر به القائل عن ترك الدبيب فى قوله

قالوا وقد بصروا بأبرى نائما * عند الدبيب اليه رخوا المفصل

ماذا تراه فقلت سارى ليله * عرف المحل فبات دون المنزل

وسأل بعضهم شيخا من أهل الفرق فقال كنت البارحة فى مجلس قوم وفيهم أمرد مثل القمر فلما نام راحاولت الدبيب عليه فلم أصل اليه وأصبحنا ولم يتفق لى نيكه فقال له الشيخ لك فيتك فقد حسبت لك فسقة ومن هذا قول النور الاسعردى

ولى صاحب قد قال نلت المنى * بمن هو دون الورى منيتى

فقلت أتى زائرا قال لا * ولكن جلدت ولى نيتى

وقيل ان بعضهم كان نائما فى مجلس قوم فما شعر بنفسه الا وقد دخل فيه شئ كذراع البكر فقام اليه منكرا فقال الدباب يا أخى لك المعذرة فانه قد قام على ولم يكن الى جانبى غيرك قال له كنت اجلد عميرة فقال والله ما يسعنى فكيف كفى قال أفبهذا الزب تدب وقد جمع آلات الدب على ماهو مشهور بين أهل الخون ابن دانيال فى قوله

فلما بت فى السماعات الا * لقبونى باللائط الدباب

ولعمرى قد كنت أفقم الدب وآلاته مسمى فى جراب

مثل درج وابرة وخيوط * وعقيد وبيضة وتراب

ومما اتفق لى نظمه أيضا

حضرت مجلس قوم * وفيه ظبى مهفهف

فمالوا وحموه * منى وقالوا تعفف

دنوا وذبوا ودبوا * فلم يفتهم مجحف

وكنت قد نظمت قديما فى سنة سبعمائة وثمان عشرة معنى خطر لى فى العذار وهو

وأهيف كالغصن الرطيب اذا انثنى * تميل جمامات الاراك اليه

لعارض لما رأى الطرف ناعسا * أتى خده سرا ودب عليه

فوقفت على المعنى بعينه للولى جمال الدين محمد بن نباتة وأنشدنيه من لفظه فيما بعد سنة تسع عشرة وسبعمائة

وبهيج رشأ يئيس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه

شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

فنظمت أنا عند ما وقفت عليهما سنة سبعمائة وعشرين

عذارك والطرف ياقاتلي * بحاكيهما الآس والنرجس
وقد صار بينهما نسبة * فهذا يدب وذا ينعس

(رجع) النسيم الريح اللينة يقال نسمت الريح نسيما ونسما ونسم الريح أولها حين تقبل لينة قبل أن تشتد وفي الحديث بعثت في نسم الساعة أي حين ابتدأت وأقبلت (البرء) مصدر برئت من المرض برأ بالضم وأهل الحجاز يقولون برأت من المرض برأ بالفتح وأصح فلان بارئا من مرضه وأبرأه الله (العلل جمع) علة وهي المرض (الاعراب * لعل) من أخوات ان تنصب الاسم وترفع الخبر وقد تقدم الكلام على تعليل هذا العمل في قوله

انى اريد طروق الحي من اضم * البيت ومعناها الترجي ولا يترجى بها الا ما هو مشكوك فيه فلا تقول لعل الميت يعود ولكن تقول لعل المسافر يؤب وقد تكون حرف جر في لغة بني عقيل قال الشاعر

لعل الله فضلكم علينا * بشيء أنكم نميم

كما تكون متى حرف جر في لغة بني هذيل يقولون أخرجها متى كمه (المامة) منصوب على انه اسم لعل (بالجزع) الباء هنا للالصاق وهي متعلقة بالمامة لانه مصدر (ثانية) صفة للمامة (يدب) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن ناصب وجازم (منها) جار ومجرور ومن هنا لابتداء الغاية وقد تكون بمعنى الباء كقوله تعالى يحفظونه من أمر الله والارجح أن تكون على أصلها ويكون الجار والمجرور في موضع النصب على انه مفعول لاجله كما في قوله تعالى أطعمهم من جوع (نسيم) فاعل يدب والجملة في موضع رفع خبر لعل * ولا بأس بالكلام على الفاعل قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس الفاعل أصل المرفوعات وباقيها محمول عليه خلافا لابن السراج وأبي علي ومن رأى رأيهما والدليل على ذلك أن المعنى الذي دخل الاعراب الكلام لاجله وهو رفع اللبس يوجد في الفاعل أكثر من المبتدا لان الفاعل لو لم يرفع لالتبس بالمفعول ولا كذلك المبتدا فكان الفاعل أصلا في الرفع وأصل هذا الخلاف مأخوذ من قول سيبويه وفعله فانه قال واعلم ان الاسم أول أحواله الابتداء فنص هنا على أن المبتدا قبل الفاعل وقدم في ترتيب أبواب كتابه باب الفاعل على باب المبتدا اه (قلت) وانما اختص الفاعل بالرفع لاوليته وقوته وقلته واختص المفعول بالنصب لتأخيره وضعفه وكثرته ولذلك قالوا رجل ضحكة بالتحريك للذي يضحك من غيره كثيرا وقالوا رجل ضحكة بالسكون للذي يضحك منه فحركوا الفاعل لقوته وسكنوا المفعول لضعفه وانما قلت لاوليته لانه الذي يوجد الفعل قبل أن يكون مفعولا وانما قلت وقوته لانه الذي يصدر منه الفعل والمفعول يقع عليه الفعل وانما قلت وقلته لان الفاعل الواحد يريد مفاعيل كثيرة تقول ضرب زيد عمرا يوم الجمعة داخل داره ضربا شديدا تأديبا فزيد فاعل وعمرا مفعول به ويوم الجمعة ظرف زمان وداخل داره ظرف مكان وضربا شديدا مفعول مطلق وتأديبا مفعول لاجله ومن هذه الأدلة يظهر عكسها في النصب ووجه اختصاص الرفع بالفاعل أن الرفع أثقل الحركات لانه لا يتم الا بضم الشفتين وذلك لا يتم الا بعمل العضلتين الصلبتين الواصلتين الى طرف الشفة والجر يكفي في تحصيله العضلة الواحدة الجاذبة والفتح يكفي فيه العمل الضعيف لتلك العضلة فلذلك أعطوا الاثقل للاقل وأعطوا الاخف للاكثر ولا شك في أن المرفوعات

وأما الاخرى فانها أتتني وأنا على باب داري فقالت لي اليك حاجة وأريد ان تمشي معي فقمت معها الى أن أتت بي الى صائغ يهودي فقالت له مثل هذا وانصرفت فسألت الصائغ عن قولها فقال انها أتت الي بفص وأمرتني أن أنقش لها عليه صورة شيطان فقلت ياستي ما رأيت الشيطان فأتت بك وقالت ماسمعت وكان الجاحظ بشع المنظر الا أن بيانه كان يعلي عنه وقال دخلت ديوان المكاتبات ببغداد فرأيت قوما قد صقلوا ثيابهم وصفوا عمائمهم ومشوا طروزهم ثم اختبرتهم فوجدتهم كما قال الله تعالى فاما الزبد فيذهب جفاء فظواهر تظيفة وبواطن سخيفة فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وقال وقفت يوما على قاض فأردت الوقيعة به فقلت لمن حوله انه رجل صالح لا يحب الشهرة فتفرقوا عنه فنظر الي وقال حسبك الله * وقال قلت يوما لعبيد الكلابي أيسرك أن تكون هجينا ولك ألف دينار قال لا أحب اللؤم بشيء قلت فان أمير المؤمنين ابن أمة قلت أخزى الله من أطاعه قلت نبذ الله محمد واسمعيل كانا ابني أمة قال لا يقول هذا

أقل من المنصوبات وقال بعض النحاة من أهل الكوفة ان الفاعل يقدم على فعله وضعا كما يقدم طبعا يقولون فى مثل زيد قام انه من باب الفعل والفاعل ولا يجعلونه من باب المبتدا والخبر وهو دليل لا بأس به والصحيح أن الفعل مقدم على الفاعل بمعنى ماذكروه لان الفعل هو أثر الرفع فى الفاعل والمؤثر مقدم على المتأثر طبعا فليقدم وضعا فاذا وقع فى الكلام قبل فعله خرج من باب الفعل والفاعل الى باب المبتدا والخبر واعرب مبتدا وقام فعل ماض وفاعله ضمير يرجع الى المبتدا والجملة خبر والا لزم القائل بتقديم الفاعل على الفعل أن لا يختلف الحال فى تقديمه وتأخيره وأن يقال الزيدان قام والزيدون قام ولما قيل الزيدان قاما والزيدون قاموا علم أن ذلك مبتدا وأن الضمير هو الفاعل وهذه المباحث ملخصة مما ذكرته فى التعليقة على الحاجبية

(البر) مجرور بالاضافة المقدرة باللام (فى علالى) جار ومجرور ومضاف فى حرف جر وهى ظرفية متعلقة بيسب وعلالى مجرور بها والياء فى موضع جر بالاضافة (المعنى) أترجى المسامة بكان الحى من الجزع يحصل لى بسببها ديب نسيم البرفى علالى التى أكابدها من الاشواق وليس الترجى مما يجى ولكنها طماعية النفوس وطباعها ومكابرتها فى الباطل ونزاعها ولله در القائل

لعل وما تغنى لعل وانها * علالة صب واستراحة هائم

وقال آخر

أتمنى تلك الليالى المنيرا * توجهد الحب أن يتمنى

وقال جمال الدين أبو الدر ياقوت الرومى

لله أيام تقضت بكم * ما كان أحلاها وأهناها
مرت فلم يبق لنا بعدها * شئ سوى أن نتمناها

ومثله قول الآخر

أحبتنا لم يبق من طيب وصلكم * على البعد الا أننا نتمناه

وأنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى

ياكاتم الشوق ان الدمع مبديه * حتى يعيد زمان الوصل مبديه
أصبو الى البان لما بان ساكنه * تعللا بليالى وصلنا فيه
عصر مضى وجلابيب الصبا قشب * لم يبق من طيبه الا تمنيه

وقول الطغرائى فى غاية الحسن والرقة وهو مأخوذ من قول أبى نواس

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

(وحكى) الاصمعى قال حضرت مجلس الرشيد وعنده مسلم بن الوليد اذ دخل أبو نواس فقال ما أحدث بعدنا يا أبا نواس قال يا أمير المؤمنين ولوفى الخمر قال قاتلك الله ولوفى الخمر فانشده

ياشقيق النفس من حكم * نمت عن ليلى ولم أنم

حتى أتى على آخرها فقال أحسنت والله يا غلام أعطه عشرة آلاف درهم وعشر خلع فاخذها وخرج فلما خرجنا من عنده قال لى مسلم بن الوليد ألم تر يا أبا سعيد الى الحسن بن هانئ كيف سرق شعرى وأخذ به مالا وخلعا فقلت وأى معنى سرق قال قوله فتمشت فى مفاصلهم فقلت وأى شئ قلت فقال قلت

الا قدرى قلت وما القدرى
قال لا أدرى الا انه رجل سوء
وقال أتانى بعض الثقلاء
فقال سمعت أن لك ألف
جواب مسكت فعلمنى منها
فقلت نعم فقال اذا قال لى
شخص يا زوج القحبة يا ثقيل
الروح أى شئ أقول له قلت
قل له صدقت وقال أنشدت
أبا شعيب الغلال شعر الاعمى
نواس فقال هذا شعر لونثر
لطف فقلت ويلك ما تفارق
الجرار والخذف حيث كنت
واشترى خصيا أسود فقيل
له فى ذلك فقال أخذته اسود
لئلا يتهم بى وخصيا لئلا أتهم
به واجتمع فى البصرة بالحماز
فى مجلس فقال له الحمازكم
نار وفى اللغة فقال نار الحرب
ونار الشجر ونار الحباحب
ونار المعدة والنار المعروفة
قال تركت أبلغ الثيران قال
وماهى قال نار حرأمك التى
كلما ألقى فيها فوج سألهم
خزنتها نقال الحماز أما نار حر
أمى فقد قضيت ان لها حدا
فما الشأن فى نار حر أمك التى
يقال لها هل امتلأت فتقول
هل من مزيد وسأل شخص
كتابا الى بعض أصحابه بالوصية
فكتب له رقعة وختمها فلما
خرج الرجل من عنده فضها
فاذا فيها كتابى اليك مع
من لا أعرف ولا أوجب حقه
فان قضيت حاجته لم أحمدك

غـراء فى فرعها الـيل على قـمر * على قضيب على دعص النقا الدهس
أذكى من المسك أنفاسا وبهجتها * أرق ديباجـة من رقة النفس
كأن قلبى وشاحاها اذا خطرت * وقلبها قلبها فى الصمت والخرس
تجـرى محبتها فى قلب وامقها * جرى السلامة فى أعضاء منتكس

فقلت وممن سرقت أنت هذا المعنى قال لا أعلم انى أخذته من أحد فقلت بلى أخذته من عمرو بن أبى ربيعة حيث يقول

أما والراقصات بذات عرق * ورب الركن والبيت العتيق
وزمزم والطواف وشعريها * ومشـتاق يحن الى مشوق
لقد دب الهوى لك فى فؤادى * دبيب دم الحياة الى العروق

فقال وممن سرق عمر بن أبى ربيعة هذا المعنى (قلت) من بعض العذريين حيث يقول

وأشرب قلبى حبها ومشى به * كمشى حميا الكاس فى عقل شارب
ودب هواها فى عظامى وحبها * كما دب فى المسوع سم العـقارب

فقال لى وممن أخذ هذا العذرى قلت لا أعلم قال من أسقف نجران حيث يقول

منع البقاء تقلب الشمس * وطلوعها من حيث لا تمسى
وطلوعها حمراء صافية * وغروبها صفراء كالورس
تجرى على كبد السماء كما * يجرى بحام الموت فى النفس

انتهى ما حكاه الاصمعى (قلت) وقد أخذه أبو نواس برمته من بعض هذليين يصف قانصا ظفر بصيد بسرعة مشى حيث يقول

فتمشى لا يحس به * كتمشى النار فى الفحم

فان بعض الروايات عن أبى نواس على هذا النص وهى أصح الروايات لانها آخرما استقرت عليه الحال وقد أخذ أبو الشيص قول عمرو بن أبى ربيعة بلفظه فقال

أما وحرمة كاس * من المدام العتيق
وعقد نحر بنحر * ومزج ريق بريق
لقد جرى الحب منى * مجرى دمى فى عروق

وأخذه أبو الطيب فقال

يجرى حبها مجرى دمى فى مفاصلى * فاصبح لى عن كل شغل بها شغل

وقال أبو الفرج بن هند

رب هم على الفؤاد جثوم * أزعجته عنى بنات الكروم
فتمشت فى قلبى المهموم * كتمشى الترياق فى المسموم

وأتى عبد الله بن الحجاج بن محصن بهذا المعنى من غير تشبيه فقال

وقد بت أسقاها سلافا مدامة * لها فى عظام الشاربين دبيب

وقال أبو الطيب فى وصف الخيل

من بنات الخيل تمشى بنا فى الصيد مشى الايام فى الآجال

وهو ماخوذ من قول مسلم بن الوليد

وان رددته لم أذمك فرجع اليه الرجل فقال الحاحظ كأنك فضضت الورقة قال نعم قال لا يضرك ما فيها فانه علامة لى اذا أردت العناية بشخص فقال الرجل قطع الله يديك ورجليك ولعنك فقال ما هذا قاله علامة لى اذا أردت أن أشكر شخصا وقال نزلت على صديق لى فلم آكل عنده شيئا فعرضت له فقال انى لا أكثر من اللحم منذ سمعت الحديث ان الله يكره البيت اللحم فقلت يا أخى انما أراد البيت الذى تؤكل فيه لحوم الناس بالغيبة فلم يؤخر حضور اللحم من ذلك اليوم (وحكى) أن أباطاهر قال صرت الى الحاحظ ومعى جماعة وقد أسن واعتل فى آخر عمره وهو فى منظرة لدوعنده ابن خاقان جاره فقرعنا الباب فلم يفتح لنا وأشرف من المنظرة فقال الا أنى قد حوقلت وحملت رميح أبى سعد وسقت الغنم فما تصنعون بى سلموا سلام الوداع فسلمنا وانصرفنا فقوله حوقلت أكثرت من قولى لا حول ولا قوة الا بالله لتتابع الامراض وقوله رميح أبى سعد هو رجل من العرب أسن فاستعان بالعصا وهو أول من فعل ذلك فقيل

موف على مهج فى يوم ذى رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل

وقال آخر

وفى الظعائن مهضوم الحشا غنج * يخطو باعطاف كسلان الخطا ثمل

ظبى مشى الورد من لحظى بوجنته * مشى الاواحظ من عينيه فى أجلى

وقول الطغرائى يشبه قول أبى الطيب

وربيع ما ضاحك الغيث فيه * زهر الشكر من رياض المعالى

نفحتنا منه الصبا بنسيم * رد روحا فى ميت الآمال

وأما الاستراوح بأنفاس الديار وتلقى النسمات من أرض الحبيب فقد أكثر الشعراء فيه وطلبوا الحياة والشفاء بالقرب من أماكن المعشوق قال ابن الفارض

ياساكنى البطحاء هل من عودة * أحيا بها ياساكنى البطحاء

واذا أذى ألم المعذبنى * فشذا عيشاب الحجاز دوائى

*(لأكرهه الطعنة النجلاء قد شفعت * برشقة من نبال الاعين النجل)*

(اللغة) كرهت الشئ أكرهه كراهة وكراهية فهو كريه ومكروه ومعناه المشقة وعدم الملاءمة (الطعنة) من طعنه بالرمح شكه وطعن فى السن يطعن بالضم طعنا وطعن فيه بالقول يطعن أيضا طعنا وطعانا وذكر هنا لى بيتين وهما

أفديه من أهيف بدت لى * من حسنه المنتقى غرائب

أسمر كالرمح فى اعتدال * لاطعن فى قده لعائب

(النجلاء) الطعنة الواسعة ومنه العيون النجل وسنان منجل واسع الطعنة ويقال نجله أى شقه لما طعنه ونجلت الاهاب اذا شققت عرقوبيه جميعا ثم سلخته (شفعت) الشفع فى اللغة الزوج والوتر الفرد تقول كان وترا فشفعته ومعناه هنا قد ثنيت (برشقة) الرشق الرمى وقد رشقته بالنبل أرشقه رشقا بالفتح المصدر وبالكسر الاسم وما أحسن قول محيى الدين بن قرناص

أتى الحبيب مائسا * والردف قد أثقله

يرشق ثم يفتنى * لله ما أرشقه

(نبال) جمع نبل وهى السهام العربية اسم جمع لا واحد له من لفظه وهى مؤنثة وجمعت على نبال والنبال صاحب (النبل) والوجه أن يقال نابل مثل لابن وتامر والنابل الذى يعمل النبال والفعل النبالة النجل بالتحريك سعة شق العين والرجل أنجل والعين نجلاء والجمع نجل (الاعراب * لا) حرف نفى (أكره) فعل مضارع من كره يكره وهو مرفوع لخلوه من ناصب وجازم والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره لا أكره أنا (الطعنة) مفعول به (النجلاء) صفة للطعنة فهى منصوبة (قد شفعت) تقدم الكلام على قد وشفع فعل ماض مغير لما لم يسم فاعله والتاء علامة التأنيث نائب الفاعل وهو ضمير مستتر فيه تقديره قد شفعت هى يرجع للطعنة والجملة فى موضع النصب على الحال تقديره لا أكره الطعنة النجلاء مشفوعة (برشقة) الباء حرف جر ويجوز أن تكون للمصاحبة وأن تكون للاستعانة (من نبال) جار ومجرور ومن هنا للبيان الجنس (الأعين) مضاف الى نبال والاضافة معنوية بمعنى اللام (النجل) مجرور على أنه صفة للأعين تبعه فى تعريفه وجمعه وتأنيثه وجره (المعنى) لا أكره الطعنة

لكل من شاخ أخذ من شيخ
أبى سعد وقوله سقت الغنم هو عند العرب كناية عن الهرم لان سائق الغنم يطامن رأسه * وكان سبب علة الجاحظ أنه حضر مائدة ابن أبى دواد وفى الطعام سمك ولبن وكان ابن بختيشوع الطبيب حاضرا فنهاه عن الجمع بينهما فقال الجاحظ ان السمك ان كان مضادا للبن فانى اذا أكلتهما دفع كل منهما ضرر الآخر وان كانا متساويين فكأنى أكلت شيا واحدا فقال ابن بختيشوع أنا لا أحسن الكلام ولكن ان شئت أن تجرب فكل فأكل فاصابه فالج عظيم وتقرس حتى دخل عليه بعض أصحابه فقال له كيف حالك فقال اصطلحت على الاعلال لو خرج شقى الايمن ما حسست به من الفالج ولو رمت على شقى الايسر دبابة أوجعتنى وأشد ما أشكو التسعون (وحكى) بعض أبناء البرامكة قال تقلدت السند وحصل لى ما شاء الله ثم صرفت عنها وكنت قد اكتسبت بها ثلاثين ألف دينار فصغتها عشرة آلاف اهليلجة وجاء للصارف فركبت البحر وانحدرت الى البصرة فخبرت أن الجاحظ بها وأنه عليل

العظيمة الواسعة التي تنالني وقد ثنيت برشقة من سهام العيون المتسعة لان الالم اذا جاء
في أثناء اللذة لاعتباريه كأنه يهون على صاحبه ما توهمه من بأس رجال الحي لما أخذ
يصفهم بالشجاعة والغيرة فهو يقول أنا لا أكره مع ظفري برؤية هذه الفتيات الحسان وقوع
الطعنات لان ذلك رخيص اذا تهيأ لي ومن هذا قولهم من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل
وقول القائل

يغوص البحر من طلب اللآلي * ومن رام العلا سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلا * لقد اطمعت نفسك بالمحال

وقول أبي الطيب

تريدين ادراك المعالي رخيصة * ولابد دون الشهد من ابر النحل

وقول أبي فراس

تهون علينا في المعالي نفوسنا * ومن طلب الحسناء لم يغلها المهر

ومازال المحبون يقتحمون الاخطار ويركبون الاهوال حتى ينال أحدهم لمحة أو اشارة سلام
ويبذلون الجليل من نفوسهم في بلوغ القليل من المحبوب قال تعالى فلما رأينه أكبرنه وقطعن
أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم * قال وهب اتخذت مائدة ودعت
أربعين امرأة واعدت لهن أترجا وموزا وقال غيره أترجا وسفلا وكن يقطعن بالسكاكين وبأكان
الاترج بالعسل فلما رأينه أكبرنه قال ابن عباس أي حضن من الفرح أو من الدهش قال
مجاهد ما أحسسن الا بالدم وما وجدن لا يديهن ألما قال وهب ويلغني أن نساء فتن به في ذلك
المجلس وقلن حاش لله ما هذا بشرا قال محمد بن علي أردن ما هذا أهل لأن يدعى للمباشرة بل
مثله ينزه عن الشهوة وقيل ان أهل مصر فتنوا به من النظر الى وجهه حتى كانوا اذا جاءوا
اشتغلوا بالنظر اليه وقرئ ما هذا بشرى أي بكسر الباء والشين أي مملوك وأنكر الزجاج هذه
القراءة لانها تخالف رسم المصحف لانه بالالف وأنكر تفسيرا كبرنه بالحيض لانه عداه الى
الضمير فهذا ما وقع في الخارج من أمر النسوة لما رأين يوسف عليه السلام حتى قطعن أيديهن
وما شعرن بالالم بعد غوص السكاكين في أكفهن لذة بالنظر اليه وشغلا عن جراحتهن بما
وجدنه من اللذة ولم يتقدم لهن به شغل قلب ولا فكر ولا وسواس بل رأينه بغتة فكيف بمن
هو مشتغل برؤية محبوبه وقد أعمل المطي اليه وقطع القفار ليلا ونهارا كما قال الآخر

وما صبابة مشتاق الى أمل * من اللقاء كمشتاق بلا أمل

وأنشدني لنفسه اجازة المولى صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي

ان لم أزر بعكم سعيا على الحدق * فان ودي منسوب الى الملق
تبت يدي ان ثنتني عن زيارتكم * بيض الصفاح ولو سدت بها طرقي

وأنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري قال
أنشدني لنفسه اجازة الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الملك الغزاري

ان لم أمت في هوى الاجفان والمقل * فواحيائي من العشاق واخجلي
ما أطيب الموت في عشق الملاح كذا * لاسيما بسيوف الاعين النجل
ياصاحبي اذا مامت بينكما * دون الشهيين ورد الخد والقبل

بالفالج وأحببت أن أراه قبل وفاته فصرت اليه وقرعت الباب فخرجت الي خادمة صغرى فقلت رجل غريب أحب أن أنظر الى الشيخ فبلغته فسمعته يقول قولي له ما تصنع بشق مائل ولعاب سائل ولون حائل فقلت للجارية لابد من النظر اليه فقال هذا رجل ورد البصرة وسمع بي ويريد أن يقول رأيت الجاحظ فاذن لي فدخلت وسلمت فرد ردا جميلا وقال من تكون أعزك الله فانتسبت له فقال رحم الله أسلافك وآباءك السمحاء فلقد كانت أيامهم رياض الدهر ولقد رأى بهم الخلق خيرا كثيرا فسقيا لهم ورعيا فدعوت له وقلت له أنشدني شيأ فقال

لئن قدمت قبلي رجال فطالما
مشيت على رسلي فكنت المقدما
ولكن هذا الدهر تأتي صروفه
فتبرم منقوضا وتنقض مبرما

ثم نهضت فلما قربت من الباب قال يافتى أرأيت مفلوجا ينفعه الاهليلج قلت لا قال ان الاهليلج الذي معك ينفعني فابعث الي منه فقلت نعم وعجبت من وقوعه على خبري مع كتمي له وبعثت

له منه شيأ * ومن كلامه فى رسالة أبقاك الله بقاء أيادينا ولا نقلنا عن ظلك ولا أضلنا عن سبلك فاصان وجه الاحرار سؤالك ولا أخذ الملهوف مظلمته فى دهر الا بعدوالك * وكتب الى قليب المغربى والله ياقليب لولا أن كبدى فى هوالك مقروحه وروحى بك مجروحه لساجلتك هذه القطيعة ومادتك حبل المصارمة وأرجو أن الله تعالى يديل صبرى من جفائك فيردك الى مودتى وأنف التلى راغم فقد طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عند الالتقاء * وكتب الى ابن أبى داود يستعطفه ليس عندى أعزك الله سبب ولا أقدر على شفيع الا ماطبعك الله عليه من الكرم والرحمة والتأميل الذى لا يكون الامن نتاج حسن الظن واثبات الفضل بحال المأمول وأرجو أن أكون من العتقاء الشاكرين فتكون خير معتب وأكون أفضل شاكر ولعل الله أن يجعل هذا الامر سببا لهذا الانعام وهذا الانعام سببا للانقطاع اليكم والكون تحت أجنحتكم فيكون لا أعظم بركة ولا أنمى بقية من ذنب أصبحت فيه وبملك جعلت فداك عاد الذنب وسيلة والسيئة حسنة

فاستغفر الى وقولا عاشق غزل * قضى صريع القدود الهيف والمقل
راش الفتور له سهما فأخطأه * حتى أتيح له سهم من الكحل
وللعيون اللواتى هن من أسد * الى القلوب سهام هن من نعل
فالجرح منهن لذات بلا ألم * والطعن عند محبيهن كالقبل

وقال ابن الساعاتى

فاضح الظبى اذا الظبى رنا * مخجل البدر اذا البدر كمل
فارسى فاذا خاف سطا * نظرة لاذ بطرف من ثعل

وقال أبو دلف العجلى

كم فى بنى الروم من أعجوبة مثل * تبقى وفى العرب من ذى نجدة بطل
انا بنا سيافيا نعلوا أكابرهم * قهرا وتقتلنا الولدان بالمقل
اذا رجعنا بأسرى من سراتهم * نالوا التراث بلحظ الاعين النجل

وقال أبو فراس يصف نساء الصبى

وخريدة كرمت على آبائها * وعلى بوادر خلينا لم تكرم
خطبت بحد السيف حتى زوجت * كرها وكان مذاقها للقسم
راحت وصاحبها بعرس حاضر * يرضى الالة وأهلها فى مأتم

وقال ابن سناء الملك

فلم يبق الا من سبى الجيش منهم * وان كان يسبى الجيش بالحدق النجل

قال ابن جبارة أين هذا البيت من المسروق منه وهو قول أبى الطيب

فلم يبق الا من حماها من الظبى * لمى شفتيها والذى النواهد

قلت لو استحضر ابن جبارة أبيات أبى دلف المتقدمة لما عدل عن الثالث منها اذ نسبة السرقة اليه أكمل لانها بالمعنى واللفظ وقد أولع الشعراء المتقدمون بالغزل فى العيون النجل قال أبو الطيب

مثلث عينك فى حشاى جراحة * فتشابها كلتاهما نجلاء

وقد قال ابن وكيع قوله فتشابها كان يجب أن يقول فتشابهتا ولكن العين تأنيثها غير حقيقى ولو استعمل القياس على قوله لقال فكلاهما أنجل أو فتشابهتا فكلتاهما نجلاء وقد سلك أبو الطيب فى وصف جراح الممدوح مسلكا غريبا فقال

اذا ما ضربت القرن ثم أجزته * فكل ذهبا لى مرة منه بالكلم

وهذا معنى غريب لكنه غث الالفاظ والشاهد على الغزل فى العين النجلاء كثير وما أحسن قول سيف الدين بن المشد

ان أنكرت نجل العيون جراحتى * فدليل قتلى انها نجلاء

وهذا من قول أبى الطيب ولكنه أساس فى تركيبه وقول الارجانى

كم طعنة نجلاء تعرض بالحمى * من دون نظرة مقلة نجلاء

وأما المتأخرون فانهم تغزلوا فى العيون الضيقة وهى عيون الاتراك وما ألطف قول القائل وقد أنشدنيه غير واحد لعلاء الدين الجوينى صاحب الديوان وليس له

أبادية الاعراب عنى فانني * بحاضرة الاتراك نيطت علائقي
وأهلك يانجلا العيون فانني * فتنت بهذا الناظر المتضايق

أقول نعم فان في الخمر معنى ليس في العنب وما أحق المتأخرين بقول القائل كم ترك الاول للآخر وما أحسن قول ابن النبيه

يصد بطرفه التركي عني * صدقتم ان ضيق العين بخل

وقال أيضا

بي ضيق العين وان أطنبوا * في الحدق النجل وان أوسعوا

وقال أيضا

من بنى الترك لين العطف قاسي الـ ـقلب سهل القياد صعب المراس
ضيق العين وهو من صفة البخـ ـل فان باد كان ضد القياس

ومن قول ابن النبيه الاول أخذ محيي الدين بن قرناص فقال

علقته تـ ـتريا * يشجي القلوب بدينه
لا يرتجى الجود منه * بالوصل من ضيق عينه

وقال شهاب الدين الشاغوري

تناسى صحبتي وذمام عهدي * وعند الترك ما يرعى الذمام
بضيق جفونه وسعت عذري * فزال العزل عني والملام

وما أحسن قول الارجاني

ياغلاما أضحى دليل وجود الـ ـخصر منه وجود عقد القباء
كلما شد طعنة في فؤادي * قال خذها نجلاء من حوصاء

وقال محمد بن أحمد الافريقي المتيم

قد أكثر الناس في الصفات وقد * قالوا وزادوا في الاعين النجل
وعين مولاي مثل موعده * ضيقة عن موارد الكحل

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباته

وخاطر عنت الاشواق يجبه * جاذر الترك لازى الاعاريب
من كل أغيد ضاقت عينه فتى * يجود لي من تلاقيه بمطلوب

وأنشدني من لفظه لنفسه أيضا

بهت العذول وقد رأى ألحاظها * تركية تدع الحليم سفيها
فثنى الملام وقال دونك والاسى * هذي مضائق لست أدخل فيها

وينقل هذا المعنى الى غيره القاضي علم الدين سليمان بن ابراهيم متولي دمشق وأنشد فيه من لفظه

قالوا تحول عن النساء ومل الى * حب الشباب فذا بلطفك أجمل
فاجبتهم شاورت ايرى قال لا * هذي مضائق لست فيها أدخل

(رجع) وأنشدني اجازة لنفسه المولى صفي الدين بن عبد العزيز الحلي ومن خطه نقلت

لم تـ ـترك الاتراك بعـ ـد جمالها * حسنا لمخلوق سواها يعشق

ومثلك من انقلب به الشر خيرا والغرم غنما من عاقب فقد أخذ حظه وانما الاجر في الآخرة وطيب الذكر في الدنيا على قدر الاحتمال وتجرع المرائر وأرجو أن لا أضيع وأهلك فيما بين عقلك وكرمك وما أكثر من يعفو عمن صغر ذنبه وعظم حقه وانما الفضل والثناء العفو عن عظيم الجرم ضعيف الحرمة وان كان العفو العظيم مستطرفا من غيركم فهو تلاد فيكم حتى ربما داعذلك كثيرا من الناس الى مخالفة أمركم فلا أنتم عن ذلك تنكلون ولا على سالف احسانكم تندمون وما مثلكم الا كمثل عيسى ابن مريم حين كان لا يمر بملا من بني اسرائيل الا أسمعوه شرا وأسمعهم خيرا فقال له شمعون الصفا ما رأيت كاليوم كلما أسمعوك شرا أسمعتهم خيرا فقال كل امرئ ينفق مما عنده وليس عندكم الا الخير ولا في أوعيتكم الا الرحمة وكل اناء بالذي فيه ينضح * ومن كلامه في المعنى زينك الله بالتقوى وكفاك ما أهمك من الآخرة والاولى من عاقب أبقاك الله تعالى على الصغيرة عقوبة الكبيرة وعلى الهفوة عقوبة الاصرار فقد تناهى في الظلم ومن

لم يفرق بين الاسافل والاعالى
والادانى والاقاصى فقد قصر
والله لقد كنت أكره سرف
الرضا مخافة أن يؤدى الى
سرف الهوى فاظنك بسرف
الغيظ وغلبة الغضب من
طياش عجول فحاش ومعه
من الخرق بقدر قسطه من
التهاب المرة الحمراء وأنت
روح كما أنت جسم وكذلك
جنسك ونوعك الا أن التاثر
فى الرقاق أسرع وضده فى
الغلاظ الجفاة أكمل ولذلك
اشتد جزعى عليك من
سلطان الغيظ وغلبته فاذا
أردت أن تعرف مقدار
الذنب اليك من مقدار
عقابك عليه فانظر فى علته
وفى سبب اخراجه الى معدنه
الذى منه نجم وعشه الذى
منه درج والى جهة صاحبه
فى الشرع والثبات والى
حلمه عند التعرض وفطنته
عند التوبة فكل ذنب كان
سببه ضيق صدر من جهة
الغيض فى المقادير أو من
طريق الانفة وغلبة طباع
الحمية من جهة الجفوة أو من
جهة استحقاقه فيما زين له
عمله انه مقصر به فى حقه مؤخر
عن رتبته أو كان مبلغا عنه
مكذوبا عليه أو كان ذلك
جائزا فيه غير ممتنع منه فاذا
كانت ذنوبه من هذا الشكل
فليس يقف عليها كريم ولا

جذبوا القسى الى قسى حواجب * من تحتها نبل اللواحظ ترشق
نثروا الشعور فكل قد منهم * لدن عليه من الذؤابة صنجق
لى منهم رشاء اذا قابلته * كادت لواحظه بسحر تنطق
ان شاء يلقانى بخلق واسع * عند اللقاء نهاه طرف ضيق

ونقلت من خط القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر

مفزع للقلوب ينهبها * فهو لعمرى البطال والبطل
من فتية خالفوا المقول فكم * ضاقت عيون لهم وما بخلوا

وقلت أنا

اترك هوى الاتراك ان شئت أن * لا تبتلى فيهم بهم وضير
ولا ترج الجود من وصلهم * ما ضاقت الاعين منهم لخير

وقلت أيضا

أحببت من ترك الخطا اذ قامة * فنحت غصون البان لما أن خطا
اياكم وجفونه فأنا الذى * سهم أصاب حشاه من عين الخطا

وقلت أيضا

يا قلب لا تقدم على * سحر العيون اذا سطا
ومن العجائب أنه * أضحى يصح مع الخطا

وقلت أيضا

غزال من الاتراك ما ضاق لحظه * لحظى الا كى تضيق مذاهبى
كان الحشا طير وكاسر جفنه * تصيده من هدبه بمخالب

وقلت أيضا

يا شادنا أبدا أرى نفسى له * دون البرية لا تفارق شيقه
والله ما اتسعت هموم فى الدجى * حتى بليت بعقلتيك الضيقه

*(ولا أهاب الصفاح البيض تعدنى * بالمع من خلل الاستار والكلل)*

(اللغة) أهاب أخاف تهيبت الشئ وتهيبنى أى تخوفنى وتخوفته والهيبة والمهابة الاجلال والخوف الصفاح جمع صفيحة وهى السيف العريض لانها صفحت تعدنى الاعداد الاعانة بالمع لمعه وألمعه لمحا اذا أبصره بنظر خفيف والاسم اللمعة خلل الخلل الفرجة بين الشيئين والجمع الخلال مثل جبل وجبال وقرئ فترى الودق يخرج من خلاله وخلله الاستار جمع ستر والسترة ما يستتر به كائنا ما كان وكذا الستارة الكلل جمع كلة وهى الستر الرقيق يخاط كالبيت يتوقى به من البق (الاعراب ولا) الواو عاطفة لا حرف نفى (أهاب) فعل مضارع تقول هابه يهابه والامر هب الاصل هاب سقطت الالف لاجتماع الساكنين واذا أخبرت عن نفسك قلت هبت وأصله هيبت فلما سكنت الياء سقطت لاجتماع الساكنين ونقلت كسرتها الى ما قبلها وذكرت بالجمع بين ساكنين قول محمد بن شرف القيروانى فى رجل عجز عن اقتضاض عرسه

كم ذكر فى الورى وأنثى * أولى من اثنين باثنتين

أرى الليالى أتت بالحسن * جمعها بين ساكنين

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة

بكيت وما يجدى البكاء عن الفانى * وألف تشتيت الاحبة أشجانى
كأن زمانى خاف لحنا فلم يكن * ليجمع بين الساكنين بأوطانى

وقول الآخر

زمانى ساكن وسكنت قالوا * تحرك لالتقاء الساكنين
فقلت هنالك التحريك كسر * وقبل كسرت أكسر مرتين

وقول شمس الدين محمد بن التلمسانى ومن خطه نقلت

ياساكنا قلبى المعنى * وليس فيه سواك ثانى
لأى معنى كسرت قلبى * وما التقى فيه ساكنان

قلت هذا المعنى فيه نقص لان القلب ظرف لاجتماع الساكنين فيه وحينئذ يكون الساكنان غير القلب والكسر انما وقع على القلب لا على أحد الساكنين ومن تأمله حق التأمل ظهر له هذا الايراد من وجها وقد ذكرت ذلك لجماعة من كبار المتأدبين وما رأيت فيهم من تنبه له ويقارب هذا الاشكال ما دار بينى وبين المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة فى الجامع الاموى بدمشق سنة احدى وثلاثين وسبعمائة فانه أنشدنى فى قول ابن الرومى فيما أظن

ومن العجائب أن عضوا واحدا * هو منك سهم وهو منى مقتل

فقلت له هذا ليس بعجيب اذا تركنا ظاهره اللهم الا ان فتحنا باب التأويل وأحضرنا المجاز فقال لاى شئ قلت لان عين العاشق فى الهوى غير عين المعشوق يقينا أما انهما من جنس واحد فسلم وهذا مثل قولك ما أعجبها من انسان يقتل انسانا أو من فرس يعلو فرسا وليس هذا من العجيب فى شئ وأما اذا كان على ما تبادر الى ذهنك من أن العضو الواحد هو سهم ومقتل معا فى حالة واحدة فنعم وليس كذلك بل عين العاشق غير عين المعشوق بدليل اضافة كل منهما الى شخص معين على حدته فأخذ فى التصميم على ذلك فقلت له سلمت لك أن العضو الواحد منهما هو سهم ومقتل معا من أين لك أن العين مقتل وانما المقتل القلب على عادة الشعراء المألوفة فى ذلك قال الارجانى

أعينى كفا عن فؤادى فانه * من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

وقال الآخر

عوقب قلبى وجفنى ناظرى * وربما عوقب من لا جنى

وقال أبو الطيب

وأنا الذى اجتلب المنية طرفه * فمن المطالب والقتيل القاتل

فانظر الى أبى الطيب كيف ادعى أن العين هى السبب فى اجتلاب المنية فالذنب عند الشعراء كلهم للعين لكونها سببا بنظرها الى هلاك الفؤاد والدواوين ملأى بهذا المعنى وهو أشهر من أن يزاد له بينة من الشواهد عليه فقال أليس أنها السبب فى القتل قلت له قد تقدم انه لابد من تأويل فى البيت وتقدير المجاز فيه كأنه قال ومن العجائب أن عضوا واحدا هو منك سهم وهو منى سبب مقتلى فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وهو كثير انتهى والمليح فى

ينظر فيها حليم ولست اسميه
بكثرة معروفه كرما حتى
يكون عقله غامرا لعلمه
وعلمه غالبا على طباعه كما
لا اسميه بكف العقاب
حكيما حتى يكون عارفا
بمقدار ما أخذ وترك ومتى
وجدت الذنب بعد ذلك
لا سبب له الا البغض المحض
والنفار الغالب فلو لم ترض
لصاحبه بعقاب دون قعر
جهنم لعذرك كثير من
العقلاء وصوب رأيك عالم
من الاشراف والاباة أقرب
من الحمد وأبعد من الذم
وأنا أى من خوف العجلة وقد
قال الاول عليك بالاناة فانك
على ايقاع ما تتوقعه أقدر
منك على رد ما قد أوقعته
وليس يصارع الغضب أيام
شبابه شئ الا صرعه ولا ينازعه
قبل انتهائه الا قهره وانما
يحتمال له قبل هيجه فتى
تمكن واستفحل وأذكى ناره
وأشعل ثم لاقى من صاحبه
قدرة ومن أعوانه سمعا
وطاعة فلو استبطنته بالتوراة
وأوجرته بالانجيل ولددته
بالزبور وأفرغت على رأسه
القرآن افراغا وأتيته بآدم
شفيعا لما قصر دون أقصى
قوته وان يسكن غضب
العبد الاذكره غضب الرب
فلا تقف حفظك الله بعد
مضيك فى عتابى التماسا

هذا المعنى قول ابن سهل المغربي في أول موشحه

بالحظات للفتن * في كرها أو في نصيب
ترمي وكل مقتل * وكلها سهم مصيب

وقول ابن سناء الملك

بالحظها سهم وقلبي مقتل * بل كلها سهم وكل مقتل

وسألت الشيخ الامام العلامة تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله سنة سبعمائة وثمانية عشر أو سنة سبعمائة وسبعة عشر بدمشق المحروسة عن قوله تعالى وأخر متشابهات فقلت المعروف بين النحاة أن الجمع لا يوصف الا بما يوصف به المفرد من الوصف فقال كذا هو فقلت ما مفرد متشابهات فقال متشابهة فقلت كيف تكون الآية الواحدة في نفسها متشابهة وانما يقع التشابه بين الاثنين وكذا قوله تعالى فوجد فيها رجلين يقتتلان كيف يكون الرجل الواحد يقتتل مع نفسه فعدل بي من الجواب الى الشكر وقال هذا ذهن جيد ولولا زمتني سنة انتفعت وسألته في ذلك الجلس قبل هذا السؤال مسئلة في الواجب والممكن وذكرت له اشكالا كان على ذهني في تعريفهما عند المتكلمين فازاله وقررها فالوه وسألته أيضا عن تفسير قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها الى قوله فتعالى الله عما يشركون فاجاب بما قاله المفسرون في الجواب وهو وآدم وحواء وان حواء لما أثقلت بالحمل أتاها ابليس في صورة رجل وقال أخاف من هذا الذي في بطنك أن يخرج من دبرك أو يشق بطنك وما يدريك لعله يكون بهيمة أو كلبا فلم تزل في هم حتى أتاها ثانيا وقال سألت الله أن يجعله بشرا سويا وان كان كذلك فسميه عبد الحرث وكان اسم ابليس في الملائكة الحرث فذلك قوله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما فقلت له هذا فاسد من وجوه الاول انه تعالى قال في الآية الثانية فتعالى الله عما يشركون فهذا يدل على أن القصة في حق جماعة الثاني انه ليس لابليس في الكلام ذكر الثالث أن الله تعالى علم آدم الاسماء كلها فلا بد وانه كان يعلم أن الحرث اسم لابليس الرابع أنه تعالى قال أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون وهذا يدل على أن المراد به الاصنام لان ما لا يعقل ولو كان ابليس لقال من التي هي لمن يعقل فقال الشيخ تقي الدين قد ذهب بعض المفسرين الى أن المراد بهذا قصي لانه سمى أولاده الاربعة عبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار والضمير في يشركون له ولاعقابه الذين يسمون أولادهم بهذه الاسماء وأمثالها قلت وهذا أيضا فاسد لانه تعالى قال خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وليس كذلك الا آدم لان الله تعالى خلق حواء من ضلعه فقال المراد بهذا أن زوجته من جنسه قرشية عربية فما رأيت التطويل معه وأما الجواب عن متشابهات فهو أن العرب نطقت بهذه الصيغة أشياء ولم ترد بها المفاعلة كقولهم طابقت النعل وعاقبت اللص وخامرت الحب وان قلت ان الصيغة على أصل المفاعلة كان الجواب ان التشابه لا يكون الا بين اثنين فما فوقهما واذا اجتمعت الاشياء المتشابهة كان كل منها مشابها للآخر فلما لم يصح التشابه الا في حالة الاجتماع وصف الجمع بالجمع لان كل واحد من مفرداته يشابه الآخر وعلى ذكر خلق حواء من ضلع آدم قد نقلت من خط قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان ما صورته وعن شريح انه تقدمت اليه امرأة فقالت أيها

القاضي

للعفو عني ولا تقصر عن افراطك من طريق الرحمة بي ولكن تفقه من يتهم الغضب على عقله والشيطان على دينه ويعلم أن للكرام أعداء ويملك امساك من لا يبرئ نفسه من الهوى ولا يبرئ الهوى من الخطا ولا تنكر لنفسك أن تزل ولعقلك أن يهفو ونقدر آدم صلى الله عليه وسلم وقد خلقه بيده ولست أسألك الا ريثما تسكن نفسك وترتد اليك ذهنك وترى الحلم وما يجلب من السلامة وطيب الاحدوثة والله يعلم وكفى به عليما لقد أردت أن أفديك بنفسي في مكاتباتي وكنت عند نفسي في عداد الموتى وفي حيز الهلكى فرأيت أن من الخيانة لك ومن اللؤم في معاملتك أن أفديك بنفس ميتة وأن أريك أني قد جعلت لك أنفس ذخر والذخر معدوم وأنا أقول كما قال أخو تقيف مودة الاخ التالد وان أخلق خير من مودة الاخ الطارف وان ظهرت مساعيه وراقت جدته سلمك الله وسلم عليك وكان لك ومعك * ومن فصوله القصار قال البخيل والجبن غريزة واحدة يجمعهما سوء الظن بالله تعالى وقال من قابل الاساءة بالاحسان فقد خالف الرب

القاضي انى جئتك مخاصمة فقال اين خصمك قالت أنت فأخلى لها المجلس وقال تكلمي فقالت أيها الامرأة لها الحايل وفرج فقال قد كان في هذا الامير المؤمنين قصة وورث من حيث جاء البول وكان شريح قاضي علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقالت انه يجيئ منهما جميعا فقال لها من أين يسبق البول فقالت ليس شئ منهما يسبق به بل يخرجانه في وقت ويقطعانه في وقت فقال انك لتخبريني بعجيب فقالت أقول أعجب من ذلك تزوجني ابن عم لي وأخذ مني خادما فوطئتها فأولدتها واني جئتك لما أولدتها فقام شريح من مجلس القضاء ودخل على علي رضي الله عنه وأخبره بما قالت المرأة فأمر بها على فادخلت فسألها عما قال القاضي فقالت يا أمير المؤمنين هو الذي قال فأحضر زوجها فقال هذه زوجتك وابنة عمك قال نعم يا أمير المؤمنين قال أفعلمت ما كان قال نعم أخذت منها خادما فوطئتها فاولدتها ووطئتها بعد ذلك قال له على لانت أجسر من الاسد جيئوني بدينار الخادم وكان معدلا وامر أتين فقال خذوا هذه المرأة وأدخلوها الى بيت فردوها من ثيابها وألبسوها ثيابا وعدوا اضلاع جنبيها ففعلوا ذلك ثم خرجوا اليه فقالوا يا أمير المؤمنين عدد أضلاع الجانب الايمن ثمانية عشر ضلعا وعدد أضلاع الجانب الايسر سبعة عشر ضلعا فدعا الحجام وأخذ شعرها وأعطاها حذاءه ورداءه وألحقها بالرجال فقال الرجل يا أمير المؤمنين امرأتي وابنة عمي ألحقتها بالرجال ممن أخذت هذه القضية فقال له علي اني ورثتها من أبي آدم ان حواء أمنا خلقت من آدم فاضلاع الرجال أقل من اضلاع النساء وعدد أضلاعها أضلاع رجل فاخرجوا انتهى (قلت) قال الامام فخر الدين في مفاتيح الغيب الذي يقول ان عدد أضلاع الجانب الايسر من الذكر أنقص من أضلاع الجانب الايمن منه بواحدة مشى على خلاف الحس والتشريح بقي أن يقال اذا لم نقل بذلك فما المراد من كلمة من في قوله تعالى وخلق منها زوجها فنقول قد ذكرنا أن الاشارة الى الشئ تارة تكون بحسب شخصه وأخرى بحسب نوعه قال عليه الصلاة والسلام في يوم عاشوراء هذا اليوم الذي أظهر الله فيه موسى عليه السلام على فرعون والمراد النوع لا الشخص وقال تعالى في قصة آدم عليه السلام ولا تقربا هذه الشجرة والمراد النوع لا الشخص فكذا هنا قوله تعالى وخلق منها زوجها أي من نوع الانسان زوج آدم عليه السلام والمقصود منه التنبيه على انه تعالى جعل زوج آدم عليه السلام انسانا مثله انتهى (قلت) قد ورد التفسير بذلك عن ابن عباس وهو حبر الامة الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وقال ابن مسعود نعم ترجمان القرآن ابن عباس وكان يسمى البحر لعلومه والذي قاله الامام متوجه فما بقي الا أن يقال ان ذلك كان خاصا بآدم عليه السلام ولم يطرد ذلك في الذرية وأيضا فلفظ ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن فيه تصريح بان ذلك مطرد في جميع الرجال من ذريته وانما قال وخلق منها زوجها وهي حواء خلقها الله سبحانه وتعالى من ضلع آدم من غير أذى فليس في هذا دلالة على انه كان عليه السلام ناقص ضلع قال من ضلعه فلعل ذلك من جزء يسير منه لان من للتبعيض ولهذا قال من غير أذى ولكن هذا قد استفاض وانتشر والتحقيق ما ذكرته في ذلك من التاويل والله أعلم بالصواب (رجع الصفاح) مفعول به لاهاب والالف واللام هنا للجنس (البيض) منصوب على الصفة للصفاح (تسعدني) فعل مضارع من أسعد وهو مرفوع لخلوه من ناصب وجازم والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول فهي في موضع

في تدبيره وظن أن رحمته فوق رحمة الله جل ثناؤه والناس لا يصلحون الا على الثواب والعقاب وقال من رسالته من العدل المحض أن تحط عن الحاسد نصف عقابه لان ألم حسده لك قد كفاك شر مؤنة غيظه عليك وقال لما مسخ الانسان قردا أنزل فيه مشابه من الانسان ولما مسخ زمانا لم ينزل فيه مشابه من الازمان * ومن شعره يقول

يطيب العيش ان تلقى حكيما
غذاه العلم والفهم المصيب
فيكشف عنك حيرة كل جهل
وفضل العلم يعرفه اللبيب
سقام الحرص ليس له شفاء
وداء الجهل ليس له طبيب

ومنه

ان حال لون الرأس عن حاله
في خضاب المرء مستعتب
هب أن من شاب له حيلة
فما الذي تحتي له الاضلع

ومنه

وكم كان من أصدقاء له
وأعداء تفانوا فما خلدوا
تساقوا جميعا كؤس الردى
فمات الصديق ومات العدو

وله من أبيات يمتدح بها

بدى حين أثرى باخوانه
يقلل عنهم شباة العدم
وذكره الحال صرف الزمان
فبادر قبل انتقال النعم

فتى خصه الله بالمكرمات
فمازج منه الحيا بالكرم
ومما أورده الشريف المرتضى والمعهدة عليه فان هذا الشعر
أرفع طبقة من شعره يذكر فيه الخضاب
رب فتاة من بنى هلال
قد عجلت الى بالسؤال
مالى أرالك فانى السبال
كأنما كرعت فى جريال
تنح عن فكرى وعن خيالى
(ومالك بن أنس مستفتيك)
(هو مالك بن أنس بن مالك ابن أبى عامر التميمى) وكنيته أبو عبد الله امام دار الهجرة ولد بالمدينة سنة سبع وتسعين ويقال انه أقام فى بطن أمه ثلاث سنين * وكان يقول قد يكون الحمل ببعض الناس ثلاث سنين يعنى نفسه وكان طويلا شديد البياض مائلا الى الشقرة مهيبا سوى اللباس والمجلس وهو أول من صنف فى الفقه كتابا فوقع المرطأ كذا قال العسكرى فى الاوائل ولعله أراد بالمدينة * وكان مالك اذا أراد أن يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل ويتبخر ويتطيب فاذا رفع أحد صوته قال له اخفض صوتك فان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى فمن رفع صوته

نصب والفاعل ضمير مستتر يرجع الى الصفاح (باللمع) الباء هنا للاستعانة وهى متعلقة بتسعدنى (من خلل) جار ومجرور ومن هنا لابتداء الغاية (الاستار) مجرور بالاضافة والاضافة معنوية بمعنى اللام والالف واللام هنا للعهد الذهنى أى استار تلك الفتيات الحسان اللاتى تقدم ذكرهن (والكلل) الواو عاطفة والكلل مجرور بالعطف على الاستار وجملة تسعدنى وما بعدها فى موضع الحال كأنه قال ولا أهاب الصفاح البيض فى حال اسعادها اياى باللمع من خلل الاستار فوضعها النصب (المعنى) هذا البيت كالبيت الذى تقدم ومعناه انى لا أخاف السيوف البيض اذا كانت تساعدنى بالتماحها من خلل الاستار وما أرق قول ابن ميادة

فنظرن من خلل الحجال بأعين * مرضى يخالطها السقام صحاح
وأرشن حين أردن أن يرمينى * نبلا بلا ريش ولا بقداح

وقول الارجانى

وفى الحى كل كليل اللحاظ * يطالعنا من خصاص الكلل
يذيب الفؤاد بتعذيبه * وأيسر أمر الهوى ما قتل

هذا قول أبى الطيب يعنى أحيى وأيسر ما لاقيت ما قتلا وبعضهم رواه أحيى وأيسر بضم همزة أحيى كأنه يستفهم عن حياته وأيسر ما قاساه الذى قتل والذى فتح الهمزة أراد أفعل التفضيل معناه أفضل حياة وأقرب شئ قاسيته الذى قتل وفى بيت الطغرائى من البديع الاستخدام وهو أن يكون للكلمة معنيان فيؤتى بعدها بكلمتين أو بكلمتين فتستخدم فى كل واحدة منهما معنى من ذينك المعنيين ومثل أرباب البديع فى هذا قول أبى الطيب

برغم شبيب فارق السيف كفه * وكانا على العلات يصطحبان
كأن رقاب الناس قالت لسيفه * عدولك قيسى وأنت يمانى

فيمانى له معنيان أحدهما السيف والآخر عند قيس ولم تزل العداوة بين قيس وأهل اليمن ويقول الآخر

وخلطتم بعض القران ببعضه * فجعلتم الشعراء فى الانعام

وبأشياء أخر غير هذا قال الشيخ بدر الدين بن النحوى فى أسفار الصباح له والتمثيل بجميع ذلك غلط لانه من باب التورية لا من باب الاستخدام اما ما وقع به الكلمتان فكقول البحترى

فسقى الغضا والساكنيه وان هم * شبوه بين جوانحى وضلوعى

فاستخدم فى قوله والساكنيه أحد معنيه وهو وفى قوله شبوه معنيه الآخر لان الاول أراد به المكان والثانى أراد به الحطب وأما ما اكتنفه كلمتان فهو كقول الآخر

اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

اذ السماء تستعمل للمطر والنبات فاستخدم فى قوله نزل المطر واستخدم فى قوله رعيناه النبات وهذا وان كان حقيقة ومجازا لانه كثر استعمال مجازه حتى صار حقيقة عرفية فامكن اعتبار الاشتراك ومن هذا قول الطغرائى لانه ذكر الصفاح وهى هنا مشتركة بين السيوف حقيقة وبين العيون مجازا وقد غلب العرف عليها بين الشعراء فصارت حقيقة عرفية فامكن اعتبار الاشتراك فقال ولا أهاب الصفاح البيض فهو الى هنا فى الحقيقة اللغوية والسامع يظنه

فى ذكرها ثم ترك المفهوم الاول وأخذ فى المفهوم الآخر فقال تسعدنى باللمع من خلال الاستار والكلل فاستعمل الصفاح فى العيون وهى الحقيقة العرفية وهذا فى غاية الغزل لانه يقول أنا لا أهاب السيوف ووقعها اذا كانت تسعدنى على جراحى باللمع من فروج الاستار أى ما السيوف غيرها وما أحسن قول ابن التعاويذى

بين السيوف وعينيه مشاكلة * من أجلها قيل للاغماد أجفان

وان كان أخذه من أبى الطيب فى قوله

ولذا اسم أغطية العيون جفونها * من أنها عمل السيوف عوامل

فانه تناوله بحبث حديد واعاده قلادة جيد ولم يكف أبا الطيب بشاعة اللفظ فى قوله أغطية العيون حتى هجنه بتقديم ترتيبه وتأخيره والتقدير من انها عوامل عمل السيوف وأبلغ ما سمعت فى التورية والاستخدام ما أنشدنى من لفظه المولى جمال الدين محمد بن نباتة قال أنشدنى من لفظه لنفسه القاضى زين الدين عمر بن المظفر المعروف بابن الوردى وقد أنشده بعض شعراء العصر بيتا له يجمع استخدامين فاستخدم هو أربعة فقال

ورب غزالة طلعت * بقلبى وهو مرعاها
نصبت لها شباكا من * نضار ثم صدناها
وقالت لى وقد صرنا * الى عين قصدناها
بذات العين فأكحلها * بطلعتها ومجراها

قلت معنى الاستخدامات الاربعة بذات الذهب فاكحل عينك بطلعة عين الشمس ومجرى العين الجارية من الماء لانه وطأ لهذه المعانى فى الابيات المتقدمة وأتى بالبيت الرابع فتنزل جملة على ما تفصل وهذا يدل على الفكر الصحيح والتخيل التام وما أعرف لغيره هذه العدة فى هذا الوزن القصير وأنشدت لرشيد الدين الفارقى

ان فى عينيك معنى * حدث النرجس عنه
ليت لى من غضه سهـ * ـما ففى قلبى منه

وهذا أيضا فيه أربعة ولكن تعود الى شيئين لان قوله من غضه فيه معنيان أحدهما غض الطرف وهو كسره الى أسفل والثانى من الغضاضة وهى الطراوة فالاول للعين والثانى للنرجس وقوله سهما فيه معنيان أحدهما النصيب وهو الذى عناه والثانى الذى يرشق به من النبل وهو واحد السهام الذى فى قلبه منه وهذا وان كان بديعا الا انه أربعة لاثنين والاول أربعة لواحد وهو لفظة العين فكان أكمل وقد وضعت كتيبا وسميته بفض الختام عن التورية والاستخدام أوضحت فيه هذين النوعين فمن أراد الوقوف على ذلك فلينظره لعله يظفر منه ببعض مراده وأما قول الطغرائى فى هذا البيت واخراجه الحماسة فى صورة الغزل فهو من قول أبى الطيب اذ ليس لاحد معه فى هذا الباب دخول لانه يصف الحروب ويظهرها مظاهر الغزل وهذا من القدرة فى التخيل ألا ترى قوله

تعودأن لا تقضم الحب خيله * اذا الهام لم ترفع جيوب العلائق
ولا ترد الغدران الا وماؤها * من الدم كالريحان تحت الشقائق

وأخذه ابن عنين فقال

عند حديثه فكأنما رفعه عند صوته وقال زيد بن داود رأيت فى المنام كأن القبر انفرج واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد والناس مصفوفون فصاح صائح أين مالك بن أنس فجاء مالك حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه شيأ فقال فرقه على الناس فاذا هو مسك وقال الشافعى رحمه الله تعالى قال لى محمد ابن الحسن أيهما أعلم صاحبنا أم صاحبكم يعنى أبا حنيفة ومالكا رضى الله تعالى عنهما فقلت على الانصاف قال نعم فقلت ناشدتك الله من أعلم بالقرآن قال اللهم صاحبكم قلت فمن أعلم بالسنة قال اللهم صاحبكم قلت فمن أعلم بأقاويل الصحابة قال اللهم صاحبكم قلت فلم يبق الا القياس والقياس لا يكون الا على هذه الاشياء فعلى أى شئ تقيس وقال وهب سمعت مناديا ينادى ألا لا يفتى الناس الا مالك بن أنس وابن أبى ذؤيب وقال محمد بن جعفر لما دعى مالك وأشار وقبل منه حسده الناس وبغوه بكل شئ فلما ولى جعفر بن سليمان سعوا به اليه وقالوا انه لا يرى ايمان بيعتكم هذه بشئ وهو يأخذ بحديث رواه الاحنف فى طلاق المكره أنه

وتعاف خيلهم الورود بمنهل * مالم يكن بدم الوقائع احمرا

وقول أبي الطيب

ان كوتبوا أولقوا أوحوربوا وجدوا * في الخط واللفظ والهيجاء فرسانا
كأن أسنتهم في النطق قد جعلت * على رماحهم في الطعن خرصانا
كأنهم يردون الموت من ظمأ * وينشقون من الخطى ريحانا

وقوله أيضا

انك من معشر اذا وهبوا * مادون أعمارهم فقد بخلوا
قلوبهم في مضاء ما امتشقوا * قاماتهم في تمام ما اعتقلوا

وقوله أيضا

بكل أشعث يلقى الموت مبتسما * حتى كأن له في قتله أربا

وقوله أيضا

كأن الهام في الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد
وقد صنعت الأسنة من هموم * فما يخطرن الا في فؤاد

وقد عد علماء الشعر سرقته هذا المعنى من عدة أما كن منها قول منصور النمري

وكأن موقعه بجمجمة الفتى * حذر المنية أو نعاس الهاجع

ومنها قول مهلهل

الطاعن الطعنة النجلاء تحسبها * نوما وأنى بجفن العين يغفيها
بالهذم من هموم النفس صيغته * فليس ينعك يجرى في مجاريها

ومنها قول ابن المعتز

أين الرماح التي غذيتها مهجا * مذمت ماوردت قلبا ولا كبدا

ومنها قول الآخر

كأن سنان زابله ضمير * فليس عن القلوب له ذهاب

ومنها قول أبي تمام

كأنه كان ترب الحب مذ زمن * فليس يعزه قلب ولا كبد

وهذا جملة ماوعدوه في ذلك (قلت) وليس في جميعه مايقال له طيب غير قول أبي الطيب

* وأين فضل الطل من الوابل الصيب * وقد أخذه بعد ذلك الشريف الرضي فقال

كأن سيفك ضيف الشيب ليس له * اذا أتى عن ورود الرأس منصرف

والارجاني فقال

كأن سيوف الهند فيها كواكب * مع الصبح في هام الكماة تغود

وهذا أيضا من قول ابن المعتز

مترديا نصلا اذا * لاقى المنية لم يراقب
فكأنه في الحرب شمـ * ـس والرؤس له مغارب

وقال ابن الساعاتي

أمن الهجر سيفه فهو لاين * فلك مذكان قاطعا بتارا

لايجوز فدعا حمـ ـفر بمالك وقد غضب فاحتج عليه بما قيل عنه ثم جرده وضربه بالسياط ومدت يده حتى خلعت يداه وكتفاه فوالله مازال مالك بعد ذلك في رفعة من الناس وعلو من قدره واعظام من الناس له حتى كأنما كانت تلك السياط التي ضرب بها حليا حلى به وقيل انما ضرب مالك لانه سأل عن سيرة عبد الرحمن بن معاوية الاموي الداخل الى الاندلس والمتملك بجزيرته فقيل له انه يأكل خبز الشعير ويلبس الصوف ويجاهد في سبيل الله وعددت مناقبه فقال مالك ليت أن الله زين حرمنا بمثله فنقم عليه بنو العباس هذا القول وبلغ عبد الرحمن فسر بقوله وجمع أهل الاندلس على مذهب مالك فهذا سبب اجتماع المغاربة على مذهبه * وتوفي رضي الله عنه سنة تسع وسبعين ومائة * ومن اخباره ماحكي الشافعي رضي الله عنه قال رأيت على باب مالك رضي الله عنه كراعا من أفراس خراسان ويقال مصر فلما رأيت مثله قلت لمالك ما أحسنه قال هو هدية مني اليك فقلت يا أبا عبد الله دع لنفسك منها ماتركبه فقال أنا أستحيي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه

أم من الحب رمحه فهو لاياً * لف الا القلوب والافكارا

وقال أيضا

من معشر يحمل قدر علائه * عن أن يقال لمثله من معشر
بيض الوجوه كان زرق رماحهم * سمر يحل سواد قلب العسكر

والاول من الاول والثانى من الثانى بديعان خصوصا قوله قلب العسكر وقال ابن عبدون

كأن عداه فى الهيجا ذنوب * وصارمه دعاء مستجاب

وقال القاضى الفاضل

يئس من هون لاقدارهم * والسيف فى الروع يرى هشا
كأنما أسيافه فى الوغى * طير ترى الهام لها عشا

ولم أر لاحد من الشعراء غزلا فى وعظ مثل قول أبى الطيب

زودينا من حسن وجهك مادا * م فحسن الوجوه حال يحول
وصلينا نصلك فى هذه الدنـ * ـيا فان المقام فيها قليل

وأخذه ابن سناء الملك فقال

صلينى وهذا الحسن باق فربما * يعز بيت الحسن منه ويكنس

(رجع) الى ذكر الحماسة فى صورة الغزل قال البحترى

تسرع حتى قال من شهد الوغى * لقاء أعاد أم لقاء محبائب

وقال أبو تمام

يستعذبون منايا هم كأنهم * لا ييأسون من الدنيا اذا قتلوا

وقال ابن قلاقس

تخاله واهتزاز الرمح فى يده * لينا يلاعب غصنه بثعبان
هل الرماح غصون بات يغرسها * من الصدور طعانا فوق كثبان

وقال ابن الساعاتى فى فتح القدس يمدح صلاح الدين بن أيوب من أبيات

فقد أصبحت تجلى العيون بأرضها * مخافة هند الظبى تنكر السقما
وأصبح ذاك الثغر جذلان باسما * والسنة الاغماد توسعه لثما
وكانت سيوف الهندسر غمودها * فهاهى سر لا تطيق له كتما
ينم على فتكاته زهر القنا * كذاك حديث الزهر يحلو اذا نما
ويخلو مع الحظى من كلف به * ويحسبه قدا فيوسعه ضما

وهذا مأخوذ من قول عنترة

فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

و من قول أبى الحسن بن القبطرية البطليوسى

ذكرت سليمى والوغى * بقلبى كساعة فارقتها
وأبصرت بين القنا قدها * وقد مان نحوى فعانقتها

وقال ابن الساعاتى

يهوى قوام الرمح وهو مهفهف * والسيف فى وجناته تورد

وسلم بحافر دابته ووجه الرشيد الى مالك رضى الله تعالى عنه ليأتيه فيحدثه فقال مالك ان العلم يأتى فصار الرشيد الى منزله واستند الى الجدار فقال مالك يا أمير المؤمنين من اجلال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلال العلم فقام فجلس بين يديه فحدثه فبعث الرشيد الى سفيان بن عيينة فاتاه سفيان فقعد بين يديه فحدثه فكان الرشيد يقول يا مالك تواضعنا العلم فانتفعنا به وتواضع لنا علم سفيان فلم ننتفع به * وحكى أن أبا يوسف القاضى حضر مجلس مالك فقال أبو يوسف من جملة كلام الانسان تارة يخطى وتارة لا يصيب فقال مالك هكذا عرفنا مشايخنا فضحك بعض الحاضرين فلما خرجوا قال بعض أصحاب مالك ان أبا يوسف قال كذا ولعله متعمد وأجبت كذا فجعل مالك يدعو على أبى يوسف أن لا ينتفع بعلمه فكان كذلك مع جودة كتبه عند الحنفية (وحكى) ابن حمدون فى تذكرته أن حسن بن نعمان قال كنت بالمدينة فخلا لى الطريق نصف النهار فجعلت أتغنى فى شعر ذى يزن وأقول

مابال قومك يارباب
حذرا كأنهم غضاب
فاذا كوة قد فتحت واذا وجه قد بدا منها تتبعه لحية

فكأنما سمر الرماح معاطف * والهام فوق صدورهن نهود

وقال أبو بحر صفوان المرسى

يرى اعتناق العوالى فى الوغى غزلا * لان خرصانها من فوقها مقل

وقال أبو عبد الله بن عثمان الحداد الاندلسى

انى أراع لهم وبين جوانحى * شوق يهون خطبهم فيهون

أوهل يهاب ضرابهم وطعانهم * صب بألحاظ العيون طعين

فكأنما بيض الصفاح جداول * وكأنما سمر الرماح غصون

وقال المعتمد بن عباد

ولما اقتحمت الوغى دارعا * وقنعت وجهك بالمغفر

حسبنا محياك شمس الضحى * عليها سماء من العنبر

وقال أبو بكر الرصافى

لو كنت شاهده وقد غشى الوغى * يختال فى درع الحديد المسبل

لرأيت منه والقضيب بكفه * بحرا يرق دم الكماة يجدول

وجمع معنى هذين المقطوعين المولى شهاب الدين أحمد بن مهاجر فيما أنشدنى من لفظه بحلب سنة ثلاثة وعشرين وسبعمائة

مالاح فى درع يصول بسيفه * والوجه منه يضىء تحت المغفر

الا حسبت البحر مد بجدول * والشمس تحت سحائب من عنبر

ومن قول الرصافى قول ابن سناء الملك

وقام من الدرع فى منهل * ويمناه بالسيف فى جدول

وقال ابن خفاجة

يعللنى منه بموعد رشفه * خيال له يغرى بطل وليان

شققت عليه لجة من صوارم * عليها حباب من أسنة مران

وقال آخر

كثير نجوم البيض ليل قتامه * طويل وجفن السيف فيه مسهد

وأضحوا وكل بات من سكرة الردى * يقبل خد الارض وهو مورد

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه

ونحن معاشر نأبى الدنايا * ونلبس من صوان العرض سردا

نعانق من رماح الخط بانا * وننشق من سيوف الهند وردا

وقلت أنا

وسيوف اذا مضت فى جراح * قلت هذا بنفسج فى شقيق

ينشد الجسم روحه من ظباها * ودماه بين النقا والعقيق

*(ولا أخل بغزلان أغازلها * ولو دهتنى أسود الغيل بالغيل)*

(اللغة) أخل يقال أخل الرجل بمركزه اذا تركه واختل الى الشئ احتاج اليه الغزلان جمع غزال ويجمع على غزلة مثل غلمان وغلمة ويقال للشادن غزال حين يتحرك وقد أغزلت

جراءة فقال يا فاسق أسأت التأدية ومنعت القائلة وأذعت الفاحشة ثم اندفع فغنى الصوت غناء لم أسمع بمثله فقلت أصلحك الله من أين لك هذا الغناء قال نشأت وأنا غلام فأعجبنى الاخذ عن المغنين فقالت أمى يا بنى ان المغنى اذا كان قبيح الوجه لم يلتفت الى غنائه فدع الغناء واطلب الفقه فتركت المغنين وتبعت الفقهاء فبلغنا الله بى الى ما ترى فقلت أعد الصوت جعلت فداك فقال لا ولا كرامة تريد أن تقول أخذته عن مالك بن أنس واذا به مالك رضى الله تعالى عنه *ومن كلامه اذا ترك العالم قول لا أدرى أصيبت مقاتله * وقال ليس العلم بكثرة الرواية وانما هو نور يقذفه الله فى القلب وسأله رجل عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال الاستواء معقول والكيف مجهول وما أظنك الا رجل سوء

(وأنك الذى أقام البراهين ووضع القوانين)

البرهان فى اللغة بيان الحجة وظهورها وهو مصدر برهبره اذا ابيض وامرأة برهاء وبرهرهة شابة بيضاء وقال الراغب البرهان أوكد الادلة وهو الذى يقتضى

الطيبة أغازلها أحادثها مغازلة ومغازلة النساء محادثتهن وقد تقدم فى قوله حلوا الفكاهة دهتنى دهته الداهية أصابته ودواهى الدهر مايصيب الناس من عظيم نوبه أسود تقدم الكلام عليها فى قوله فالحب حيث العدى والاسد رابضة الغيل الاجمة وهو موضع الاسد والغيل مثل خيس لايدخلها الماء والجمع غيول وقال الاصمعى الغيل الشجر الملتف يقال منه تغيل الشجر بالغيل الغوائل الدواهى وفلان قليل الغائلة أى الشر (الاعراب ولا) الواو حرف عطف لاحرف نفى (أخل) فعل مضارع مرفوع خلا من ناصب وجازم وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره ولا أخل أنا (بغزلان) جار ومجرور والباء هنا للتعدية (أغازلها) فعل مضارع مرفوع تخلوه عن ناصب وجازم والهاء والالف ضمير الغزلان وهو فى موضع نصب بالمفعولية والجملة فى موضع جر صفة لغزلان تقديره مغازلة لى (ولو) قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك رحمه الله لو فى الكلام على ضربين مصدرية وشرطية أما المصدرية فهى التى يحسن فى موضعها أن وأكثر ما تقع بعد ود أو ما فى معناها كقوله تعالى يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وأما الشرطية فهى للتعليق فى الماضى كما أن ان فى المستقبل ومن ضرورة كون التعليق فى الماضى أن يكون شرطها منفى الوقوع لانه لو كان ثابتا لكان الجواب كذلك ولم يكن تعليق فى البين بل ايجاب لايجاب لكن لو للتعليق لا للايجاب فلابد من كون شرطها منفيا وأما جوابها فان كان مساويا للشرط فى العموم كما فى قولك لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجودا فلابد من انتفائه أيضا وان كان أعم من الشرط كما فى قولك لو كانت الشمس طالعة لكان الضوء موجودا فلابد من انتفاء القدر المساوى منه للشرط ولذلك تسمع النحاة يقولون لو حرف يمتنع به الشئ لامتناع غيره أى يدل على امتناع الجواب لامتناع الشرط ولا يرون أنها تدل على امتناع الجواب مطلقا لتخلفه فى نحو لو ترك العبد سؤال ربه لاعطاه وانما يريدون أنها تدل على انتفاء المساوى من جوابها للشرط والاولى أن يقال لو حرف شرط يقتضى نفى مايلزم من ثبوته ثبوت غيره فينبه على انها تقتضى لزوم شئ لشئ وكون الملزوم منفيا ولا يتعرض لنفى اللازم مطلقا ولا لثبوته لانه غير لازم من معناها انتهى *(مسئلة)* قوله تعالى ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله قال الشيخ شهاب الدين أحمد ابن ادريس القرافى فى قاعدة لو أنها اذا دخلت على ثبوتين كانا منفيين وعلى نفيين كانا ثبوتين وعلى نفى وثبوت فالنفى ثبوت والثبوت نفى تقول لو جاءنى لاكرمته فهما ثبوتان فجاءك ولا أكرمته ولو لم يستدن لم يطالب فهما نفيان وقد استدان وطولب ولو لم يؤمن أريق دمه التقدير انه آمن ولم يرق دمه وبالعكس لو آمن لم يقتل واذا تقررت هذه القاعدة فيلزم أن تكون كلمات الله قد نفدت وليس كذلك لان لو دخلت على ثبوت أولا ونفى آخرا فيكون الاول نفيا وهو كذلك فان الشجرة ليست أقلاما ويلزم أن يكون النفى الاخير ثبوتا فتكون نفدت وليس كذلك ونظير هذه الآية قوله عليه الصلاة والسلام نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اذ يقتضى أنه خاف وعصى مع الخوف وهو أقبح فيكون ذلك ذنبا لكن الحديث سيق فى المدح وعادة الفضلاء الولوع بالحديث كثيرا أما الآية فقليل من يتفطن لها وقد ذكروا فى الحديث وجوها وأما الآية فلم أر لاحد فيها شيأ ويمكن تخريجها على ماقالوه فى الحديث غير انه ظهر لى جواب عن الحديث والآية جميعا وسأذكره بعد وقال ابن عصفور لو فى الحديث بمعنى ان لمطلق

الصدق أبدا لاحالة ودلالة تقتضى الكذب أبدا ودلالة الى الصدق أقرب ودلالة الى الكذب أقرب ودلالة هى اليهما سواء وقال بعض الحكماء مبادى البرهان خمس الاوليات والمشاهدات والمتواترات والمجربات والحدسيات وقال آخر البرهان حجة تنتج يقينا وينقسم الى برهان انى وبرهان لمى وأمثلته معروفة وقد ذكرت ان أول من حرر كتب المنطق ارسطا ليس وقد تقدم ذكره (والقوانين) واحدها قانون وهو لفظ رومى ومعناه عند المنطقيين صورة كلية تتعرف منها أحكام جزئياتها المطابقة لها

(وحد الماهية وبين الكيفية والكمية) ماهية الشئ تصوره فى الفكر ومعرفة ماهو وأوجز حدوده فى المنطق قولهم ماهية الشئ ماتحصل فى الذهن من صورة كلية مطابقة له بعد حذف المشخصات عنه ان كان جزئيا وهى أحد حدود العلم عند الحكماء فان العلم ينقسم الى ثلاثة أقسام علم ماو علم كيف وعلم كم فالعلم الذى يطلب منه ماهيات الاشياء هو العلم الالهى والذى يطلب منه كيفيات الاشياء هو الطبيعى والذى

تطلب منه كميات الاشياء هو
الرياضي والكمية والكيفية
النسبة لى كم وكيف
وكم عبارة عن العدد ومن
النحاة من يجعله اسما ناقصا
مبنيا على السكون والنسبة
اليها الكمية بالتخفيف ومنهم
من يجعله اسما تاما فشدد
آخره وصرفه فقال أكثرت
من الكم والنسبة اليه
الكمية بالتشديد وهو عند
المنطقيين قسم من أقسام
العرض وهو نوعان منفصل
ومتصل فان لم يكن بين أجزائه
حد مشترك فهو الكم المتصل
وان كان بين أجزائه حد
مشترك فهو الكم المنفصل
وهو ان كان قار الذات فهو
المقدار وان لم يكن قار الذات
فهو الزمان وكيف اسم مبهم
غير متمكن وانما حرك آخره
لالتقاء الساكنين وبني على
الفتح دون الكسر لمكان
الياء قال الراغب يسأل به
عما يصح أن يقال شبهته وغير
شبهته كالاسود والابيض
والصحيح والسقيم ولهذا
لا يصح أن يقال في الله عز
وجل كيف وقال بعض
الحكماء هو كل هيئة قارة في
جسم لا تقتضي قسمة ولا
نسبة فقولنا قارة يخرج
الزمان وقسمة يخرج الكم
ونسبة تخرج المقولات في
العرض والله تعالى بكل شئ

الربط وأن لا يكون نفيها ثبوتا ولا ثبوتها نفيا فيندفع الاشكال وقال الشيخ شمس الدين الخسر وشاهي ان لو في أصل اللغة لمطلق الربط وانما اشتهرت في العرف بانقلاب ثبوتها نفيا وبالعكس والحديث انما ورد بمعنى اللفظ في اللغة وقال الشيخ ابن عبد السلام الشئ الواحد قد يكون له سبب واحد فينتفي عند انتفائه وقد يكون له سببان لا يلزم من عدم أحدهما عدمه لان السبب الثاني يخالف الاول كقولنا في زوج هو ابن عم لو لم يكن زوجا لورث أي بالتعصيب فانهما سببان لا يلزم من عدم أحدهما عدم الآخر وكذلك ههنا اذ الناس في الغالب انما لم يعصوا لاجل الخوف فاذا ذهب الخوف عصوا لاتحاد السبب في حقهم فأخبر صلى الله عليه وسلم أن صهيبا رضي الله عنه اجتمع له سببان يمنعانه عن المعصية وهذا مدح جليل وكلام حسن وأجاب غيرهم بأن الجواب محذوف تقديره لو لم يخف الله عصمه الله ويدل على ذلك قوله لم يعصه وهذه الاجوبة تتأتى في الآية غير الثالث فان عدم نفود كلمات الله تعالى وانها غير متناهية أمر ثابت لها لذاتها وما بالذات لا يعلل بالاسباب فتأمل ذلك هذا كلام الفضلاء الذي اتصل بي والذي ظهر لي أن لو اصلها أن تستعمل للربط بين شيئين نحو ما تقدم ثم انها أيضا تستعمل لقطع الرابط فتكون جوابا لسؤال محقق ومتوهم وقع فيه ربط فتقطعه أنت لاعتقادك بطلان ذلك الربط كما لو قال القائل لو لم يكن ذلك زوجا لم يرث فتقول أنت لو لم يكن زوجا لم يحرم تريد أن ما ذكرته من الربط بين عدم الزوجية وعدم الارث ليس بحق فقصدك قطع ربط كلامه لا ربط كلامه وتقول لو لم يكن زيد عالما لما أكرم أي لشجاعته جوابا لسؤال سائل يتوهمه أو سمعته يقول انه اذا لم يكن عالما لم يكرم فيربط بين عدم العلم وعدم الاكرام فتقطع أنت ذلك الربط وليس مقصودك أن تربط بين عدم العلم والاكرام لان ذلك غير مناسب ولا من أغراض العقلاء ولا يتجه كلامك الا على عدم الربط فكذلك الحديث لما كان الغالب على الناس أن يرتبط عصيانهم بعدم خوف الله تعالى وان ذلك في الاوهام قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الربط وقال لو لم يخف الله لم يعصه وكذلك لما كان الغالب على الاوهام ان الاشجار كلها اذا صارت أقلاما والبحر المحيط مع غيره يكتب به الجميع والوهم يقول ما يكتب بهذا شئ الا نفد وما عساه أن يكون قطع الله هذا الربط وقال ما نفدت الخ وهذا الجواب أصلح من الاجوبة المتقدمة لوجهين أحدهما شموله لهذين الموضعين وبعضها لم يشمل كما تقدم وثانيهما أن لو بمعنى خلاف الظاهر وما ذكرته من الجواب ليس مخالفا لما عرف أهل اللغة فانهم يستعملون ما ذكرته ولا يفهمون غيره في تلك الموارد ونعم هذا الجواب الواجب لذاته لصفات الله تعالى وكلماته والممكن القابل للتعليل كطاعة صهيب رضي الله عنه انتهى كلام شهاب الدين (رجع دهتني) فعل ماض والتاء علامة لتأنيث الفاعل والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول وهو المتكلم (أسود) جمع أسد وهو مرفوع على انه فاعل دهت (الغيل) مضاف اليه والاضافة بمعنى اللام والالف واللام للجنس (بالغيل) جار ومجرور والباء للاستعانة أو التعدية وهو متعلق بدهتني (المعنى الكلام في هذا البيت كالكلام في قوله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب ومعناه لو دهتني أسود الغيل بالغيل ما تخللت بغزلان أغازلها فكيف وما دهتني فعدم اخلالي بالطريق الاولى فالاخلال مرتبط بدهاء الاسود له وتخريجه على ما قاله القرافي ان الغالب على الاوهام أن الانسان يخل

بعادته من يحادثه اذا دهته الاسود باغتيالها فقطع الشاعر هذا الربط وقال ما أخن بعادته هذه الغزلان مع وجود دهاة الاسود لى واغتيالها اياى وهذه مبالغة عظيمة فى الاشتغال بالمحبوب والانس به عن كل ما يذهل النفوس ويشغل القلوب التى ترتاع وتنفر من حصوله ولقد بالغ أبو الحسن على بن رشيق فى قوله

ولقد ذكرتك فى السفينة والردى * متوقع بتلاطم الامواج
والجو يهطل والرياح عواصف * والليل مسود الذوائب داجى
وعلى السواحل للاعادى غارة * يتوقعون لغارة وهياج
وعلت لاصحاب السفينة ضجة * وأنا وذكرك فى الذنا ناجى

والاصل فى هذا المعنى قول عنترة

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

وقال الارجانى

وانى لأرعاكم على القرب والنوى * وأذكركم بين القنا والقنابل

ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم له

الا من يبلغ المحبوب أنى * وقفت وللظبا حولى صليل
وانى جلت فى جيش الاعادى * برمحى وهو فى فكرى يجول

وقال الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح

أرسلتها والعوالى فى الطلا ترد * فى موقف فيه ينسى الوالد الولد
وما نسيتك والارواح سائلة * على السيوف ونار الحرب تتقد

قلت ليس فى نسيان الولد لوالده كبير أمر ولا مبالغة ولو عكس كان أبلغ فان اشفاق الوالد على الولد أكثر وحنوه أكبر قيل لبعض الحكماء لاى شئ نحب أولادنا ومايحبوننا فقال لانهم منا ولسنا منهم وقيل لآخر ذلك فقال لان آدم لم يكن له أب قال الشاعر

وانما اولادنا بيننا * أكبادنا تمشى على الارض

فاذا ذهل الولد عن الوالد ما خرج عن العادة المألوفة وانظر الى البلاغة فى قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت كيف جاءت المبالغة فى المرضع دون الوالدة لان المرضع اشد اشفاقا وأكثر تطلعا على ولدها الرضيع من الوالدة على الولد الذى خرج عن الرضاعة وترعرع

وقال ابن مطروح

ولقد ذكرتك والصوارم لمع * من حولنا والسمهرية شرع
وعلى مكافحة العدو فنى الحشا * شوق اليك تضيق عنه الاضلع
ومن الصبا وهو لم جراشيمتى * حفظ الوداد فكيف عنه أرجع

وقال الشريف البياضى

ولقد ذكرتك والطبيب معبس * والجرح منغمس به المسبار
وأديم وجهى قد فراه حديده * ويمينه حذرا على يسار
فشغلتنى عما لقيت وانه * لتضيق منه برحبها الاقطار

عليم وناظر فى الجوهر والعرض وميزا الصحة من المرض

قال بعض الادباء الكلام فى الجوهر والعرض على رأى الحكماء طويل غامض وانما أنقل نبذة من أقرب ما سمعت فالجوهر هو الجسم كالانسان والفرس والحجر ونحو ذلك والعرض الحال والوصف المتعاقب عليه كالالوان من بياض وسواد وحمرة والحركات المختلفة من قيام وقعود واضطجاع وجميع ما عدا الجوهر فاسم العرض واقع عليه وانما مثلنا الجوهر بالجسم دون غيره مما يقع عليه اسم الجوهر لان الذين أثبتوا جواهر ليست باجسام كالعقل والنفس والجزء الذى لا يتجزأ أليس يمتنع أحد منهم أن يسمى الجسم جوهرا فصار الجسم هو الجوهر المتفق عليه وقال بعض الحكماء الجوهر خمسة أنواع المادة والصورة والجسم والنفس والعقل ووجه الحصر أنه ان كان حالا فى محل فهو الصورة وان كان محلا للحال فهو المادة وان كان مركبا منهما فهو الجسم وان لم يكن كذلك فهو الجوهر المفارق وهو ان تعلق بالجسم بالتدبير فهو النفس والا فهو العقل والعرض عند اكثرهم احد وعشرون ضربا وعند بعضهم ثلاثة

ونقلت من خط ابن القيسراني له

ذكرتك في حسنة والروابي * ملفعة المناكب بالرياض
ورعن الكثيب مخضر المجاني * على الغدران مترعة الحياض
وقد سئمت من السير المطايا * ومل قتودها حنق العضاض
وضاقت ساحة الاخلاق حتى * نبا الخلق الكريم عن التقاضي
وعندك انني مع ما الاقي * نسيتك لا وأعينك المراض

وأنشدني لنفسه اجازة الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود

ولقد ذكرتك والسيوف لوامع * والموت يرقب تحت حصن المرقب
والحصن من شفق الدروع تخاله * حسناء ترفل في رداء مذهب
سامي السماء فمن تطاول نحوه * للسمع مستقرا رماه بكوكب
والموت يلعب بالنفوس وخاطري * يلهو بطيب ذكرك المستعذب

وأنشدني لنفسه اجازة المولى صفي الدين عبد العزيز الحلي

ولقد ذكرتك والرماح كأنها * مطل الغنى وسوء عيش المعسر
والشوس بين مجدل في جندل * منا وبين معفر في معفر
فظننت أني في صباح مسفر * بضيائه وجهك أو مساء مقمر
وتعطرت أرض الكفاح كأنما * فتقت لنا ريح الجلاد بعنبر

وأنشدني أيضا له اجازة

ولقد ذكرتك والسيوف مواطر * كالسحب من وبل النجيع وطله
فوجدت انسانا عند ذكرك كاملا * في موقف يخشى الفتى من ظله

وأنشدني لنفسه اجازة أيضا

ولقد ذكرتك والجماجم وقع * تحت السنابك والاكف تطير
والهام في أفق النجاة حوم * فكأنها فوق النسور نسور
فاعتارني من طيب ذكرك نشوة * وبدت على بشاشة وسرور
فظننت اني في مجالس لذتي * والراح تجلى والكؤس تدور

وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ الامام الحافظ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بالقاهرة سنة سبعمائة وثمانية وعشرين

لقد ذكرتك والبحر الخضم طغت * أمواجه والورى منه على سفر
في ليلة أسدلت جلباب ظلمتها * وغاب كوكبها عن أعين البشر
والماء تحت وفوق المزن واكفة * والبرق يسل أسيافا من الشرر
والفلك في وسط الماءين تحسبها * عينا وقد أطبقت شفرا على شفر
والروح من حزن راحت وقد وردت * صدري فيالك من ورد بلا صدر
هذا وشخصك لا ينفك في خلدي * وفي فؤادي وفي سمعي وفي بصري

وكانت أنا في سنة سبعمائة وعشرين نظم شئ في هذه المادة فقلت

ولقد ذكرتكم وبحر يثني * عن بأسها الليث الهزبر الاغلب

وعشرون عشرة منها تختص بالاحياء وهي الحياة والقدرة والشهوة والقوة والارادة والكراهة والاعتقاد والظن والنظر والالم واحد عشر تكون للاحياء وغير الاحياء وهي الكون وتشتمل على اربعة اشياء الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والتأليف والاعتماد كالثقل والخفة والبرودة واليبوسة والرطوبة واللون والرائحة والطعم والاثنان اللذان زادهما بعضهم هما البقاء والموت * والصحة هي وجود الاعتدال الخاص بالانسان وتستعار لغيره والمرض الخروج عن الاعتدال والتمييز الفصل بين الشيئين والمعنى انك الذي حرر صناعة الطب وذكر الطب عقب الجوهر والعرض لان الجميع من اعلوم العقليات وقد يكون مراده التمييز بين صحة الاشياء ومرضها كالحقائق والشكوك والفضائل والرذائل وانما شبهت الشكوك والرذائل بالمرض لكونها مانعة عن ادراك الفضل كالمرض المانع للبدن عن ادراك التصرف الكامل وعلى كلا الوجهين فالمراد انك أنت الحكيم الذي نظر في هذه العلوم واظهرها

والصافنات بركضها قد أنشأت * ليلا وكل سنا سنان كوكب
والبيض تنثر كالنظام القنا * والنبل يشكل والعجاج يترب
وحشاشة الابطال قد تلفت ظما * ودم الفوارس مستهل صيب
والنفس قد سالت على حد القنا * وأنا بذكرك وأميل وأطرب

وقلت أيضا في هذه المادة على غير هذا النحو

ذكرتكموكاسات الندامى * تدور على بدور مثل شمس
واضواء الشموع نجوم أفق * قضت بالانس فيه لكل نفس
وأصوات المثالث والمثانى * علت ولها خفوضا كل حس
وقد رق النسيم وراق حتى * يكاد يفوت لطفا كل لمس
وقد رمت الجفون سهام سحر * يلاقيها الحجب بغير ترس
وقد غنى النديم عن الحميا * بكأس مراشف كالشهد لعس
فنغص كل ما أنا فيه ذكرى * لكم فضى السرور وغاب أنسى

وكل هذه الحالات يمكن فيها ذكر المحبوب وأما ما روى عن ابراهيم عليه السلام فلا يقع ذلك الا من مثله صلوات الله وسلامه عليه فانه لما رماه نمرود من المنجنيق التى رماه منها فى النار المضرمة وصار فى الهواء اعترضه جبريل عليه السلام وقال له ألك حاجة قال أما اليك فلا وأما قصة ليلى الاخيلية مع توبة بن الحمير فهى مشهورة بين أهل الادب وهى أنها لما ماتت مع زوجها بقبر توبة قال لها هذا قبر الكذاب الذى يقول

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت * على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

فقالت دعه فقال أقسمت عليك الا ما دنوت منه وسلمت عليه فأبت فكرر عليها ذلك فلما تقدمت الى القبر وقالت السلام عليك يا توبة طار من جانب القبر طائر كان هناك ففزر منه جمل ليلى فوقعت من أعلاه فدق عنقها وماتت من وقتها ودفنت الى جانب توبة وقد أفرط توبة فى استحضار ذكرها وبالغ الى أن خرج عن حيز الامكان لان الحالات المتقدمة تحتمل ذكر المحبوب اذا كان الانسان متمكنا من ذاكرته اذا أرادها عرضت عليه ما فى خزانتها وأما من يفقدها جملة ويغيب الذاكر ويدخل فى العدم فهذا غير ممكن وقال عثمان بن ابراهيم حجت أنا وأصحابى فلما رجعنا من مكة مررنا بالمدينة فزرنا عمر بن ابى ربيعة فسلمنا عليه وجلسنا وهو سا كت لا يكلمنا فقال لبعضنا أيعجبك قول الفزارى يا أبا الخطاب

سرت لعينك سعدى بعد مغفلها * فبت مستلها من بعد مسراها

حتى أتى على آخر الابيات فلم يهش لذلك فقال آخر أيعجبك قول العذرى

لو حز بالسيف رأسى فى مودتها * لقلت وهى سريعا تحوها راسى
ولو بلى تحت أطباق الثرى جسدى * لكنت أبلى وما قلبى لكم ناسى
أو يقبض الله روحى صار ذكركمو * روحا أعيش به ما دمت فى الناس

فتحرك وقال ويحك بعد ما يحز رأسه يميل اليها ثم التفت يحدثنا

(وفك المعمى)

عمى الامر اذا التبس وعميت معنى البيت من الشعر اذا أخفيته ومنه المعمى اللغز والمراد ههنا حروف يصطلح عليها الكاتب مع نفسه ويكاتب بها ويسمى الآن المترجم ولها طرائق مذكورة تعين على استخراجها وأول من وضع بها الخليل واضع العروض ولا بأس بايراد نبذة من أخباره وفوائده وكذلك أفعل عند كل بيت أو لفظة يمثل بها ابن زيدون فى هذه الرسالة فما أحفظه من ألفاظ المتقدمين فانى أذكر قائلها وشيئا من نوادره اذ لابد فى ذلك من فائدة ونكتة والكلام عليها أولى من الكف عنها * والخليل هو أحمد بن عمر الفراهيدى الازدى ويكنى أبا عبد الرحمن ولد بالبصرة سنة مائة وتنشأ بها واشتغل بالعلوم وصنف الكتب الكثيرة مثل كتاب العين ولم يتمه وكتاب النقط والشكل وكتاب النغم وكتاب الشواهد وأجودها العروض وهو أول من وضعه فجاء من عجائب اختراعات كالشطرنج وشبهه ثم تبعه فيه الناس واستخرج من بحر المتقارب بحر مخبون الاجزاء ويسمى الخبب ووصل الامر الى ابى نصر الجوهرى

فاوضحه اعنى العروض واختصره أحسن اختصار واول ما خالفه فيه أن الخليل جعل الاحرف التى يوزن بها الشعر ثمانية اثنان خماسيان فعولن وفاعلن وستة سباعية متفاعلن فاعلاتن مستفعلن مفاعيلن مفعولات فنقص الجوهرى منها جزء مفعولات واقام الدليل على انه مقبول فى مستفعلن مفروق الوتد لان مفعولات مركب من سببين خفيفين ووتد مفروق مؤخر وزعم ان مفعولات لو كان جزأ صحيحا لركب من مفرده بحر كما يركب من سائر الاجزاء يريد انه ليس فى الاوزان وزن انفرد به مفعولات ولا يكرر فى قسم منه ثم استخرج المعمى وهو ايضا أول من نظر فيه وذلك ان بعض اليونان كتب بلغتهم كتابا الى الخليل فخلا به شهرا حتى فهمه فقيل له فى ذلك فقال علمت انه لا بد وان يفتتح باسم الله تعالى فبنيت على ذلك وقست وجعلته أصلا ففتحته ثم وضعت كتاب المعمى وكان الجاحظ يقول ليس المعمى بشئ قد كان كيسان مستملى أبى عبيدة يسمع خلاف ما يقال ويكتب خلاف ما يسمع ويقرأ خلاف ما يكتب وكان أعلم الناس باستخراج المعمى

*(حب السلامة يثنى هم صاحبه * عن المعالى ويغرى المرء بالكسل)*

(اللغة) الحب العشق وقد تقدم الكلام عليه فى قوله يقتلن انضاء حب البت السلامة الرفاهية والنجاة من الخوف يثنى يعطف ويكف ثنيت الشئ عطفته وكففته وثنيته بالتشديد جعلته اثنين هم الهم العزم والارادة هممت بالشئ أهم هما وهو المراد هنا والهم أيضا الحزن المعالى تقدم الكلام عليها الاغراء أن تولع الانسان بشئ وتهيجه وتحثه عليه والقصيدة المغربية التى أولها

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا * ولا يسوغه المقدور ما وهبا

منهورة لا فائدة فى سردها المرء الرجل تقول هذا امرؤ ورأيت امرأ ومررت بمرئ وضم الميم لغة وهما مرآن ولا يجمع على لفظه وبعضهم يقول هذه مرأة صالحة ومرة يترك الهمزة ويفتح الراء فان جئت بالف الوصل كان فيه ثلاث لغات فتح الراء على كل حال حكاه الفراء وضمها على كل حال واعرابها على كل حال تقول هذا امرؤ ورأيت امرأ ومررت بامرئ ولا جمع له من لفظه وهذه امرأة مفتوحة الراء على كل حال فان صغرت أسقطت ألف الوصل فقلت مرئى ومرئية الكسل التثاقل عن الامر وقد كسل بالكسر فهو كسلان وقوم كسالى وكسالى بالضم فى الكاف والفتح وان شئت كسرت اللام كما فى الصحارى وامرأة مكسال لا تكاد تخرج عن محلها وهذا مدح مثل نؤوم الضحى قال امرؤ القيس نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل وما سمع فى الكسل أبلغ من قول القائل

دعوت الله يجمعنى بسلمى * ويطرحها ويلقينى عليها
وأرزق من يحركنى بلطف * وينزلنى اذا أنزلت فيها
ويأتى بعد ذاك سحاب غيث * يطهرنى ولا أسعى اليها

(الاعراب حب) مبتدا (السلامة) مضاف اليه والاضافة معنوية بمعنى اللام والالف واللام لتعريف الحقيقة (يثنى) فعل مضارع من ثنى يثنى فهو ثلاثى وهو مرفوع لخلوه من الناصب والجازم وعلامة الرفع ضمة مقدرة على الياء لانه معتل بالياء تقول هو يثنى ولن يثنى ولم يثن وهو فى موضع رفع لانه خبر المبتدا (هم) منصوب على أنه مفعول يثنى (صاحبه) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام والهاء فى موضع جر بالاضافة وهى راجعة الى حب (عن المعالى) جار ومجرور وعن معناها التجاوز والجار والمجرور يتعلق بيثنى (ويغرى) الواو عطفت الفعل على الفعل يغرى فعل مضارع مرفوع كما قلت فى يثنى وهو خبر ثان للمبتدا (المرء) منصوب على أنه مفعول والفاعل ضمير تحمله يغرى وهو يرجع الى حب والالف واللام للجنس (بالكسل) الباء هنا للتعدية والجار والمجرور متعلق بيغرى (المعنى) يقول لصاحبه حب السلامة يعطف عزم صاحبه عن اكتساب المعالى ويغرى الانسان بالكسل كأنه لما عرض على صاحبه المرافقة الى الحى الذى وصفه وجده متثاقلا عن مرافقته غير قابل للتوجه معه الى ذلك الحى والمشاركة له فى المشاق والاخطار فاخذ يعظه بمثل هذا الكلام هذا ان قلت ان الكلام لصاحبه وان قلت انه قد قطع الكلام عنه وأخذ يخاطب نفسه فهذا الذى يسميه ارباب البلاغة التجريد وهو أن يخاطب المتكلم غيره وهو يريد نفسه كأن الانسان يجرد من نفسه مخاطبا اقامة للواجهة بالقول وأحسن ما جاء فيه قول الصمة بن عبد

الله القشيري من الحماسة

حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وشعبا كما معا

الابيات ولعمري ان السلامة في الخمول خير من العطب في المعالي فما بقي الوصل بالصدود

قال الشاعر

ان مدحت الخمول نبهت قوما * غفلا عنه سابقوني اليه

هو قيد دلني على لذة العيش فما لي أدل غيري عليه

وقال أبو العلاء المعري

ولو جرت النباهة في طريق الشخ مول الى لاخترت الخمولا

قد رضي بالخمول جماعة من الرؤساء الاكابر المتقدمين في العلم والمنصب وفارقوا مناصبهم وأخلوا الدست من تصديرهم منهم مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن الاثير صاحب جامع الاصول والنهاية في غريب الحديث وغيرهما فانه اتصل بخدمة كثيرة بخدمة عز الدين بن مودود صاحب الموصل وتولى ديوان رسائله الى أن مات ثم خدم نور الدين ارسلان شاه وحظي عنده وتوفرت حرمته لديه فلم يزل الى أن عرض له مرض كف يديه ورجليه فمنعه من الكتابة مطلقا فانقطع في منزله وكان الاكابر يغشونه ويترددون اليه فحضر اليه من التزم بعلاجه وافاقه من مرضه فلما طابه وقارب البرء وأشرف على الصحة دفع اليه ذهبا وقال امض الى سبيلك فلاموه على ذلك فقال لخواصه متى عوفيت طلبت وألزمت بالخدمة وذا أحب الي فاني توفرت على نفسي ومطالعة ما أختاره من العلم وأنا مع هذا أجانب عندهم لا أشاركهم في سلطانهم ولا أدخل معهم فيما يغضب الله ويرضيهم والرزق لا بد منه فأختار العطلة مع عطلة جسمه على المنصب وفي هذه الحالة جمع جامع الاصول وغيره وابن طلحة كان وزيرا للملك الناصر الصغير وله عمل كتاب العقد وهو كتاب مفيد وله الدائرة المعروفة به بين أرباب هذا الشان ترك منصب الوزارة وخرج فقيرا وهذا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال لمعاوية ان علي دينا فأوفوه مني وأنتم في حل من الخلافة فأوفوا دينه وترك لهم الخلافة وقد فعل ذلك جماعة من الاعيان وقال بعض العارفين آخر ما ينزع الله من رؤس الصديقين حب الرياسة وقال أبو اسحق ابراهيم الغزي

الجد سهل والطريق اليه بالاجماع وعر

وقال ابن وكيع

لقد رضيت همتي بالخمول * ولم ترض بالرتب العاليه

وما جهلت طيب طعم العلى * ولكنها تطلب العافيه

وقال آخر

بقدر الصعود يكون الهبوط * فاياك والرتب العاليه

وكن في مكان اذا ما وقعت * تقوم ورجلك في عافيه

وهذا يشبه قول ابن رشيق

تنازعني النفس أعلا الامور * وليس من العجز لا أنشط

ولكن بمقدار قرب المكان * تكون سلامة من يسقط

وكان النظام على قدرته على أصناف العلوم لا يقدر على استخراج أخف ما يكون من المعمى والجاحظ تحامل على مصنفات الخليل ليس هذا موضع ذكره ثم استخرج الخليل أيضا اتفاق الحروف مع النجم فقال عدد الحروف العربية عدد منازل القمر ثمانية وعشرون وغاية ما بلغ الكلام اليه مع الزيادة سبعة على عدد النجوم السبعة وصور الزوائد اثنا عشر على عدد البروج وأربعة عشر تدغم مع لام التعريف مثل منازل القمر التي يسيرها تحت الارض وأربعة عشر فوقها ثم وضع في الشطرنج جملين في طرفي الرقعة لعب بهما زمانا ثم تركت ثم أراد ان يخترع شيأ في الحساب فقال أريد أن أقرر نوعا من الحساب تمضي الجارية بدرهم الى البياع فلا يمكنه ضلها اذا دخل المسجد وهو يعمل فكره في ذلك فصدمته سارية وهو غافل عنها لفكره فانقلب على ظهره فكان سبب موته ومات سنة ستين ومائة وكان من العقلاء الزهاد واجتمع هو وابن المقفع يتحدثان الى الغداة فلما تفرقا قيل للخليل كيف رأيت ابن المقفع قال رأيت رجلا علمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف

وقال الأرجاني

أناصائن عرضي وان صفرت يدى * كم من أغر ولا يكون محجلا
أناعلى غض الزمان لعثر * من دون ماء وجوهنا ماء الطلا

وقال شهاب الدين بن مسعود السنبلي

لذ خولي وحلاه * واذصانني عن كل مخلوق
نفسي معشوقي ولي غيرة * تمنعني عن بذل معشوقي

وعلى الجملة فالزهد أمر تمسك العقلا بعروته الوثقى ولهذا أفتى الفقهاء بأنه لو أوصى بثلث ماله لاعقل الناس انصرف الى الزهاد والسلامة كنز مفتاحه الزهد وكل ماتراه عينك رهن الزوال ومقدمات نتيجتها العدم ولله در ابن الشبلي البغدادي اذ يقول

صحة المرء للسقام طريق * وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نفتدي نموت ونحيا * أقتل الداء للنفوس الدواء
ما لقينا من غدر دنيا فلا كا * نت ولا كان أخذها والعطاء
صلف تحت راعد وسراب * كم رعت منه مومس خرقاء
راجع جودها عليها فهما * يهب الصبح يسترد المساء
ليت شعري جلما تمرنه الأيـ * ـام أم ليس تعقل الأشياء
من فساد يكون في عالم الكو * ن فما للنفوس منه انقضاء
وقليلا ما تصحب المهجة الجسـ * ـم ففيم الشقا وفيم العناء
قبح الله لذة لشقانا * نالها الامهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نالم الفقـ * ـد فايجادنا علينا بلاء

وهي طويلة وقال الآخر

هذه الدنيا وهذا شأنها * أتعب الناس بها أعوانها
وذوو الأحلام قالوا انها * حلم يقضي بها يقظانها

وما أحسن قوله وذوو الأحلام ههنا ويقال ان الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى أرسل اليه بعض الخلفاء فأتاه الرسول وهو يأكل كسرة بماء ويأكل منها فقال له أجب أمير المؤمنين فقال مالي اليه حاجة فقال انه يغنيك قال مادمت أجد هذين فاني لا أحتاج اليه وقال تلميذه النضر بن شميل أقام الخليل في خص من خصاص البصرة لا يقدر على فلسين وأصحابه يكتسبون بعلمه الاموال وأخبار الزهاد في اعراضهم عن الدنيا مشهورة وهذا الذي تقدم كله يخالف مراد الطغرائي في البيت فان رأيه السعي والكدو الجدو الكدح والانتصاب لتلقي الأهوال في تحصيل المعالي والترقي الى منازل العز وكسب المجد بالحركة والنقلة والاقدام على ركوب الاخطار لنيل الامالي وبلوغ الاوطار وقال بعضهم

فما قضى حاجته طالب * فؤاده يخفق من رعبه
وغاية المفرط في سلمه * كغاية المفرط في حربه

ومن الكلام النوابغ صعود الآكام وهبوط الغيطان خير من القعود بين الحيطان وقال بعض الشعراء

رأيت الخليل قال رأيت رجلا عقله أكثر من علمه فكان كذلك أدى الخليل عقله الى أن مات زاهدا وابن المقفع الى أن مات قتيلا بسبب كتاب كتبه وحكي أن سليمان بن المهلب بعث اليه يوما بألف دينار ليتجهز بها ويأتيه الى الاهواز فدخل عليه الرسول وهو يأكل كسرة يابسة ويأكلها فرد الالف دينار وقال للرسول مادمت أجد هذه فلا حاجة لي الى سليمان وقرأ عليه شخص كتاب العروض مدة فلم يفهم منه شيأ وأتعبه فقال له الخليل لو ماقطع هذا البيت

اذا لم تستطع شيأ فدعه

وجاوزه الى ماتستطيع ففهم الرجل التعريض ولم يعد * ودخل يوما الى مريض يعوده فقال أخو المريض أفتح عينيك فان أبو عبد الرحمن حضر فقال الخليل مادام أخيك الامن كلامك وكتب اليه بعض الثقلاء معمى يحله فاذا هو بيت من الشعر يقول فيه

أنا ان لم أك أهوا

ك فرأسي فحرامي

فكتب الخليل تحته وان هويت أيضا * ومن كلامه الزاهد من لم يطلب المفقود حتى يفقد الموجود وقال من

أما ترينى على شأن العلا لا عشباء العناجولا دائم النصب
فما استوى شرف الاعلى كلف * ولا صفا ذهب الا على لهب

وقال ابن نباتة السعدى

لحى الله ملآن الفؤاد من المنى * اذا أمكنته فرصة لا يثمر
يلاحظها حتى يفوت طلابها * ويصبح فى ادبارها يتدبر

وقال أيضا

ومن طلب النجوم أطال صبرا * على بعد المسافة والمنال
وتثمر حاجة المحتاج نجحا * اذا ما كان فيها ذا احتيال

ومما ينسب الى على بن أبى طالب رضى الله عنه

كد كدا العبد ان آ * ثرت أن تصبح حرا
لا تقل ذا مكسب يز * رى سؤال الناس أزرى

وقد ظرف السراج الوراق فى قوله

دع الهوينا وانتصب واكتسب * واكدح فنفس المرء كداحه
وكن عن الراحة فى معزل * فالصنع موجود مع الراحة

وما أحسن ما استخدم الراحة هنا فى معنييها الاول الراحة من الاستراحة والثانى الراحة من اليد وكذا فعل أبو الحسين الجزار فى قول أبى نواس لما ضمنه فى ما قاله يوم نيروز وكتبه الى بعض أصحابه

كتبت بها فى يوم لهو وهمتى * تمارس من ابطاله ما تمارس
وعندى رجال للمجون ترجلت * عمائمهم عن هامهم والطيالس
فللراح مزورت عليه جيوبها * وللماء ما دارت عليه القلانس
مساحب من جراء الرفاق على القفا * وأصغاث انطاع جنى ويابس

فانظر الى هذا الرجل كيف تلاعب بالكلام ونقل المعنى بحسن التوطئة له من وصف الكأس المصورة فى الابيات السينية المشهورة حتى كأن هذا البيت لم يقله أبو نواس الا فى وصف الصفاع يوم النيروز فنقل الراح من اسم الخمر الى جمع راحة وهى اليد وقد ذكرت لهذا نظائر فى كتابى المسمى بفض الختام (عن التورية والاستخدام فمن أراد الوقوف على ما يزيد عطفه ويخلب لبه فليقف عليه هناك ومن هذا النوع ما كتبته على مجلد قديم مضمنا

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده * وما أحد فى دهره يتخلد
اذا عاينت كتبى الجديدة حاله * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

فنقلته من التجلد الى التقليد وقلت مضمنا

قل للرقيب يستريح من رصدى * ما أصبح المعشوق عندى مشتهى
وارتد قلبى عن سيوف لحظه * وكل شئ بلغ الحد انتهى

نقلت الحد من الغاية فى الاصل الى حد السيف وانتهى من النهاية والكمال الى الانتهاء والارعواء

*(فان جنحت اليه فاتخذ نفقا * فى الارض أو سلما فى الجو فاعترل)*

استعمل الحزم فى وقت الاستغناء عنه غنى عن الاحتيال فى وقت الحاجة اليه وقال بحسب امرئ من الشر أن يرضى من نفسه فسادا لا يصلحه ومن علم بفساد نفسه علم بصلاحها وأقبح التحول أن يتحول المرء من ذنب الى غير توبة منه وقال من الابواب ما لو شئنا شرحناه حتى يستوى فى علم القوى والضعيف كفعلنا ولكنا نحب أن يكون للعالم مؤنة * ومن محاسن شعره ما أورده أبو حيان التوحيدى

زر وادى القصر نعم القصر والوادى
لا بد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شبه يماثله
من منزل حاضر ان شئت أو باد
تلقى سفائنه والعيس سائرة
والنون والضب والملاح والحاد

ومنه ما قاله فى سليمان بن المهلب

ان الذى شق فى ضامن
للرزق حتى يتوفانى
أحرمنى خيرا قليلا فما
زادك فى مالك حرمانى

وقال فيه وقد قطع عنه برا

بازلة يكثر الشيطان ان ذكرت
منها التعجب جاءت من سليمانا

(اللغة) جنح يجنح جنوحا بفتح النون ويجنح بكسرها أيضا اذا مال واجتنح مثله وأجنحه غيره نفقا النفق سرب في الأرض له مخلص الى مكان وفي المثل ضل دريص نفقه أي جحره والنفقة احدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها وهو موضع يرفقه فاذا أتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق أي خرج والجمع النوافق السلم الذي يرتقى عليه وجمعه سلالم والجو ما بين السماء والارض فاعتزل اطلب العزلة اعتزله وتعزل بمعنى والمعتزلة طائفة من المسلمين يرون أن أفعال الخير من الله تعالى وأفعال الشر من الانسان وأن الله تعالى يجب عليه رعاية الأصلح للعباد وأن القرآن مخلوق محدث وليس بقديم وأن الله تعالى غير مرئي يوم القيامة وأن المؤمن اذا ارتكب ذنبا مثل الزنا وشرب الخمر كان في منزلة بين منزلتين يعنون بذلك انه ليس بمؤمن ولا كافر وأن اعجاز القرآن في الصرفة عنه لا أنه في نفسه معجز ولم يصرف الله العرب عن معارضته لا توانيا يعارضه وأن المعدوم شئ وأن الحسن والقبيح يثبتان بالعقل وأن الله تعالى حي بذاته عالم بذاته قادر بذاته لا بحياة ولا علم ولا قدرة وأن من دخل النار لم يخرج منها وانما سموا معتزلة لان واصل بن عطاء كان يجلس الى الحسن البصري رضي الله تعالى عنه فلما ظهر الخلاف وقالت الخوارج بكفر مرتكبي الكبائر وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وان فسقوا بالكبائر خرج واصل بن عطاء عن الفريقين وقال ان الفاسق من هذه الامة لا مؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين منزلتين فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه وجلس اليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولاتباعهما معتزلة وهم يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد ويسمون الاشاعرة مجبرة وليس الامر كما ادعوه لان الاشاعرة لا يعتقدون الجبر بل يقولون ما قاله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الامر بين أمرين لا جبر ولا تفويض وانما الاشاعرة يبحثون مع المعتزلة في خلق الافعال الى أن يلتزموا بالجبر فاذا ثبت الجبر نقلوا البحث مع الجبر من الجبر الى مذهب الاشاعرة وهو أن للعبد مشيئة ما وكسبا ما وذلك أن الاشعري يقول للمعتزلي أنت توافقني على انه اذا حصلت القدرة والداعي تعين وجود الفعل وأنا أقول ان القدرة هي سلامة الاعضاء والداعي ان كان من الانسان احتاج الى داع آخر يبعثه ويحركه فاما أن يدور أو يتسلسل وكلاهما محال فبطل القول بأن الداعي من العبد فلم يبق الا أن الداعي أمر يوقعه الله في نفس العبد يبعثه على وجود الفعل مع سلامة الاعضاء فيتعين بهما ايجاد الفعل وايقاعه فيضطر المعتزلي الى الاعتراف بذلك اذ لا محيد له عنه حتى قال أبو الحسين البصري منهم لولا مسئلة الداعي والقدرة تم دست الاعتزال فاذا تقرر أن سلامة الاعضاء من الله تعالى والداعي من الله تعالى كان الفعل كله مخلوقا لله تعالى وهذا هو الاجبار ويحتاج الاشعري من هنا أن يبحث مع المجبرة على أن الاجبار ليس بصحيح فيقول ان الاجبار هو مثل حركة المرتعش الذي لا يجد محيصا ولا محيدا عن حركة يده كالسعفة في الريح أو الريش الطافي على وجه النهر فهذا هو الجبر في الحركة وأما الانسان فقادر على مديده الى الكأس أو الى السجدة وعلى أن تكون الحركة الى المسجد أو الى الخانة السيئة والحانة فلكون العبد متمكنا من نفسه في كل حركة علم أنه غير مجبر وله مشيئة ما في الفعل وكسب ما وعلى تلك الدقيقة حسن الثواب والعقاب وخلصنا من شناع المعتزلي في انه اذا كان الفعل مخلوقا لله تعالى ففيم العقاب والثواب

والذم

لا تحزن لرقد زل من يده
فالكوكب النحس يسقى
الارض أحيانا

وقال أيضا

أبلغ سليمان أني عنه في سعة
وفي غنى غير أني لست ذا مال
شحا بنفسي اني لا أرى أحدا
يموت هزلا ولا يبقى على حال

وقال نظرت في علم النجوم فهجت منه على ما لزمني تركه فقلت منشدا اذ ذاك

بلغا عني المنجم أني
كافر بالذي قضته الكواكب
عالم ان ما يكون وما كا
ن قضاء من المهيمن واجب

(وفصل بين الاسم والمسمى) الاسم ما يعرف به ذات الاصل وأصله من السمو وهو الذي ذكر به المعرف ويقال اسم وسم وسما واختلف في تقدير أصله والمسمى هو المعنى الذي وضع له الاسم وللقدماء مباحث طويلة في معنى الاسم والمسمى فمنها قول بعضهم وعليه الجمهور الاسم غير المسمى وهو الذي يراد به التسمية كقولك للرجل عرفني ما اسمك لست تسأله أن يعلمك بذاته وانما تلتمس منه العبارة المعبر بها عنه واستشهد بقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقوله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة ولو كان

والذم والمدح ومع ذلك فلا بد لمشيئة العبد أن تقارن مشيئة الله تعالى قال الله تعالى وما تشاؤون الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما فأثبت الله تعالى للعبد مشيئة ولهذا قال الامام الشافعي

ماشئت كان وان لم أشأ * وماشئت ان لم تشالم يكن
خلقت العباد لما قد علمت * ففي العلم يجزي الفتى والمسن
فمنهم شقي ومنهم سعيد * ومنهم قبيح ومنهم حسن
على ذا مننت وهذا خذلت * وهذا أعنت وذا لم تعن

وبالجملة أن الامام فخر الدين شرح هذه الابيات في مجلدة ولم أرها الى الآن وهذه المسئلة من أعظم مسائلهم قال الامام فخر الدين اذا ناظرت المعتزلي في خلق الافعال فلا تنس مسئلة الداعي والقدرة ولم يزل مذهب الاعتزال يبدو شيأ فشيأ الى أيام الرشيد وظهور بشر المريسي واحضار الشافعي مكبلا في الحديد وقوله لبشر ما تقول يا قرشي في القرآن فقال اياي تعني قال نعم قال مخلوق فخلى عنه وواقعته بين يدي الرشيد مشهورة ولما أحس الشافعي رضي الله عنه بالشر وأن الفتنة ستشتد في اظهار القول بخلق القرآن هرب من بغداد الى مصر ولم يقل الرشيد رحمه الله تعالى بخلق القرآن وكان الامر بين الاخذ والترك الى أن ولي المأمون فقال بخلق القرآن وبقي يقدم رجلا ويؤخر أخرى في دعوة الناس الى ذلك الى أن قوي عزمه في السنة التي مات فيها وطلب الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فأخبر في الطريق أنه توفي فبقي أحمد رضي الله عنه محبوسا بالرقة حتى بويع المعتصم فاحضر الى بغداد وعقد له مجلس المناظرة وفيه عبد الرحمن بن اسحق والقاضي أحمد بن أبي دؤاد وغيرهما فناظروه ثلاثة أيام فذكر بعضهم قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وقال أفيكون غير مخلوق فقال أحمد قال الله تعالى ص والقرآن ذي الذكر فالذكر هو القرآن وتلك ليس فيها ألف ولام وذكر بعضهم حديث عمران بن حصين ان الله خلق الذكر فقال هذا خطأ حدثنا غير واحد أن الله كتب الذكر وذكر بعضهم حديث بن مسعود ما خلق الله من جنة ولا نار ولا سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي فقال انما وقع الخلق على الجنة والنار والسماء والارض ولم يقع على القرآن ولم يزل في جدال معهم الى بعد ثلاثة أيام فأمر به فضرب بالسياط الى أن أغمي عليه ونخسه عجيب بالسيف ورمي على الارض وديس عليه وهو مغشي عليه ثم حمل الى منزله ولم يقل بخلق القرآن وكان مدة مكثه في السجن ثمانية وعشرين شهرا ولم يزل يحضر الجمعة بعد ذلك والجماعة ويفتي ويحدث حتى مات المعتصم وولي الواثق فأظهر ما اظهر من المحنة وقال لاحمد بن حنبل لا تجتمع الي أحدا لا تساكني في بلد أنا فيه فاختفى الامام أحمد وصار لا يخرج الى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق وولي المتوكل فأحضره وأكرمه وأطلق له ما لا فلم يقبله وفرقه وأجرى على أهله وولده في كل شهر أربعة آلاف درهم ولم تزل عليهم جارية الى أن مات المتوكل وفي أيام المتوكل ظهرت السنة وكتب الى الآفاق برفع المحنة واظهار السنة وبسط أهلها ونصرهم وتكلم في مجلسه بالسنة فلم يزالوا أعني المعتزلة في قوة وغناء الى أيام المتوكل فخمدوا ولم يكن في هذه الملة الاسلامية أهل بدعة أكثر منهم والمعتزلة جنس يطلق على فرق منهم الواصلية والهذلية والنظامية والجاحظية والمعمرية والمزدارية والثمامية

الاسم ههنا هو المسمى لكان الله تعالى تسعة وتسعين شيأ وهذا كفر وقول عائشة رضي الله تعالى عنها والله يا رسول الله ما أهجر الا اسمك وقال آخرون الاسم هو المسمى لا بمعنى أن العبارة عين المعبر عنه وأن اللفظ هو الشخص فان ذلك محال ولكن الاسم هو المسمى على معان ثلاثة الاول انما وضعت الاسماء ليتصور بها المسميات في نفوس الناطقين وتقوم عند الغيبة مقامها لوشاهدوها فلما ناب الاسم من هذا مناب المسمى في التصور جاز أن يقال ان الاسم هو المسمى الثاني ان أكثر ما يتبين في الاسماء التي تشتق للمسمى من معان موجودة فيه قائمة به كقولنا لمن وجدت فيه الحياة حي فالاسم من هذا النوع لازم للمسمى يرتفع بارتفاعه ويوجد بوجوده ألا ترى أن الحياة اذا بطل وجودها من الجسم بطل أن يقال له حي واذا بطل أن يقال له حي بطل أن يكون به حياة فيجوز من هذا أن يقال ان الاسم عين المسمى يوجد بوجوده ويرتفع بارتفاعه الثالث ان العرب قد تذهب بالاسم الى المعنى الواقع تحت التسمية فتقول هذا مسمى زيد اي هذا المسمى

والهشامية والجاحظية والبشرية والخابطية والجبائية وهم البهشمية ومن مشاهيرهم الفضلاء الأعيان الجاحظ وأبو الهذيل العلاف وابراهيم النظام وواصل بن عطاء وأحمد ابن حائط و بشر بن المعتمر ومعمر بن عباد السلمي وأبو موسى عيسى الملقب بالمزدار ويلقب براهب المعتزلة وثمامة بن أشرس وهشام بن عمرو الفوطي وأبو الحسين بن أبي عمرو الخياط أستاذ الكعبي وأبو علي الجبائي أستاذ الشيخ أبي الحسن الأشعري أولا وابنه أبو هاشم عبد السلام وهؤلاء رؤساء مذهب الاعتزال وهم أساطين هذه البدع واليهم تنسب هذه الفرق وبينهم خلاف في مسائل معروفة بين أصحاب الكلام ومن فضلاء المعتزلة أبو الحسن البصري والكعبي والقاضي عبد الجبار والرماني النحوي وأبو علي الفارسي وأقضى القضاة الماوردي الشافعي وهذا غريب فان الغالب في الشافعية أشاعرة والغالب في الحنفية معتزلة والغالب في المالكية قدرية والغالب في الحنابلة حشوية ومن المعتزلة الصاحب بن عباد والزمخشري صاحب الكشاف والفراء النحوي والسيرافي وما أظرف قول ابن سناء الملك

رب علق قال لي عاتبا * ياهاجري ظلما ولم أهجر
معتزلي صرت فقلت اتئد * واعتب على مبدع الاشعر (ى)

ولغيره

قلت وقد لج في معاتبتي * وظن أن الملال من قبلي
حسنك مازال شافعي أبدا * يامالكي كيف صرت معتزلي
خلدك ذا الاشعري حنفني * وكان من أحمد المذاهب لي

(الاعراب فان) ان حرف شرط اذا دخلت في الكلام اقتضت جملتين تسمى الاولى شرطا والثانية جزاء وجوابا أيضا وحق الجملتين أن تكونا فعليتين ويجب ذلك في الشرط دون الجزاء لان الجزاء قد يكون جملة فعلية وقد يكون اسمية واذا كان الشرط والجزاء فعلين جاز أن يكونا فعلاهما مضارعين وهو الأصل وان يكونا ماضيين لفظا وان يكون الشرط ماضيا (والجواب) مضارعا وبالعكس فالمضارعان نحو وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله والماضيان نحو وان عدتم عدنا والماضي والمضارع نحو من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها والمضارع والماضي نحو قول الشاعر

ان تصرمونا وصلناكم وان تصلوا * ملأتم أنفس الاعداء ارهابا

قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك وأكثر النحاة يخصون هذا النوع بالضرورة وليس بصحيح بدليل ما رواه البخاري من قوله صلى الله عليه وسلم من يقم ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وقول عائشة رضي الله عنها ان أبا بكر رجل أسيف متى يقم مقامك رق انتهى وانما اقتضت الجزم في عمها الا انها دخلت على جملتين فلطول ما اقتضته ناسب أن يكون جزما لانه أقل من الحركات فناسب الاختصار لمقابل الطول *(فائدة) نص النحاة والاصوليون على أن ان لا يعلق عليها الا مشكوك فيه فلا تقول ان غربت الشمس آتك بل اذا غربت آتك وان اذا يعلق عليها المشكوك والمعلوم وقد جاء في القرآن الكريم عدة مواضع كقوله تعالى ان كنتم اياه تعبدون وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا والشك على الله تعالى محال والجواب أن الخصائص الالهية لا تدخل في أوضاع العربية بل هي مبنية

على

بهذه اللفظة التي هي الزاي والياء والدال و يقولون في هذا المعنى هذا اسم زيد وهو باب ظريف من كلام العرب يحتاج الى فضل نظر ويجيء في كلامهم على ضربين الاول ما صرح فيه بلفظ الاسم حتى بان لمتأمله مثل قول ذي الرمة يصف بذلك خشفا

ما رفع الطرف الا ما تخونه * داع يناديه باسم الماء مبغوم

يعني ان هذا الخشف لا يقتنصه من الناس الا اذا تفقدته امه للرضاع فصاحت به ماء ماء وكان ابو عبيدة يذهب في تأويل هذا اللفظ الى ان الاسم زائد والتقدير يناديه بالماء وابو علي الفارسي يحمله على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فالتقدير يناديه باسم ماء والثاني ما لم يصرح فيه بذكر معنى الاسم الا انه موجود من طريق المعنى مثل قولهم كتبت اسم زيد فليس المراد انه كتب هذه الاحرف وانما يريد انه كتب اسم المسمى الواقع تحتها وقال قوم يكون الشيء الواحد مسمى من جهة وتسمية من أخرى فان قولنا اسم لفظة تحوي الجنس والنوع لانه يوقع تحتها الالفاظ التي يعبر بها عن المعاني كجوهر وعرض ورجل

على خصائص الخلق وهذا منزل منزلة كلامهم فيما بينهم كأنه قيل ان العادة بين الناس الشك في أمر الاله والرسول والمعاد وليس ذلك مما وقع القطع به في الذهن الا بعد النظر وقيام الادلة فلهذا ورد القرآن العظيم على العادة فيما بينهم لانه خطاب لهم وعكس هذا الايراد قولنا ان كان الواحد نصف العشرة فالعشرة اثنان وهذا مما لا شك فيه والتعليق جائز ولا يرد هذا فقد علق عليها أمر قطعي والجواب ان هذه أمور مفروضة في الذهن دون غيره والفروض والتقديرات يحتمل أن تقع وأن لا تقع فصار هذا من قبيل المشكوك فيه فلهذا حسن تعليقه بان وذكرت بالتعليق هنا ما حدث به قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بدمشق في ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة من أنه وقع ببغداد فتيا صورتها في رجل قال لزوجته ان ثم وقف عندان فانت طالق فقرأها جميع من أفتى فيها ان تم وقف عبدان وكتبوا تحتها ان تم وقف الشخص المذكور طلقت فلما وقف القاضي ابن البيضاوي عليها علم أن التصحيف قد وقع على المفتين فيها وأن بعضهم قلد البعض في قراءتها فقال الصحيح انها في رجل قال لزوجته ان ثم وقف عندان ثم انه كشف عن ذلك من صاحب المسئلة فوجد كما قال ابن البيضاوي رحمه الله وأما المسئلة السريجية المنسوبة الى ابن سريج رحمه الله في الطلاق فهي اذا قال الرجل لزوجته ان طلقتك فأنت طالق قبله ثلاثا فطلقها وقع المنجز على الراجح ولا يقع معه المعلق للدور لانه لو وقع المعلق وهو الطلاق الثلاث لم يقع المنجز لانه زائد على عدد الطلاق واذا لم يقع المنجز لم يقع المعلق فأدى وقوعه الى عدم وقوعه وقيل لا يقع شئ لان وقوع المنجز يقتضي وقوع المعلق ووقوع المعلق يقتضي عدم وقوع المنجز وجرى عليه كثير لكن الاول هو الصحيح وقال بعضهم لا يجوز في ذلك التقليد لما قيل من أن ابن سريج برئ مما نسب اليه فيها (رجع جنحت) فعل ماض ومعناه الاستقبال وهو في موضع جزم بالشرط والتاء ضمير الفاعل وهو المخاطب (اليه) جار ومجرور وقد تقدم الكلام على الى في شرح قوله فسرينا في ذمام الليل البيت (فاتخذ) الفاء جواب الشرط اتخذ فعل أمر والفاعل مستتر فيه تقديره أنت * قاعدة جميع أفعال الامر فاعلها يجب استتاره فيها ولا وجه لابرازه الا ان قصد التوكيد أو العطف على الفاعل كقوله تعالى اسكن أنت وزوجك الجنة وعلى هذا فيرد على الشيخ جمال الدين بن الحاجب ومن تابعه في قولهم الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد فان ضمير الفاعل المستتر في الامر كلمة باجماع النحاة ولم يتلفظ به وأجيب بأن المراد باللفظ ما كان بالقوة أو بالفعل فالضمائر المستترة في الاوامر كلها لفظ بالقوة أي في قوة المنطوق به ولهذا قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك في التسهيل الكلمة لفظ مستقل دال بالوضع تحقيقا أو تقديرا أو منوى معه كذلك وقال ولده محمد بدر الدين الكلمة لفظ بالقوة أو الفعل مستقل دال بجملته على معنى بالوضع (رجع نفقا) منصوب على انه مفعول به (في الارض) جار ومجرور والالف واللام لتعريف الحقيقة (أو سلما) أو حرف عطف وتكون لمعان منها التخيير نحو خذ هذا أو ذاك والاباحة نحو جالس الحسن أو ابن سيرين والفرق بين التخيير والاباحة ان الاباحة لا تنافي الجمع والتخيير يأباه والتقسيم كقولك العدد زوج أو فرد والابهام كقولك أنت في هدى أو ضلال وشك المتكلم كقولك قام زيد أو عمرو والاضراب نحو قولك أنا أخرج ثم يبدو لك فتقول أو أقيم وانشد الشيخ جمال الدين بن مالك على مجيئها للاضراب قول جرير

وفرس وزيد وعمرو فكل واحد من هذه الالفاظ يقال له اسم وهو تسمية لما تحته من معناه فيكون باضافته الى الاسم الذي فوقه مسمى ويكون باضافته الى المعنى الذي تحته تسمية واسما مثال ذلك قولنا زيد وانسان وحي فانك تجد الانسان الذي هو الواسطة بين زيد والحي مسمى اذا كان يقال على الحي واسما اذا كان يقال على زيد وتجد زيدا والانسان وان كان أحدهما مسمى والآخر اسما قد تساويا في انهما مسميان للحي اذا كان الحي يقال على كل واحد منهما وتجد الحي الذي هو اسم الانسان والانسان الذي هو مسمى قد تساويا في انهما اسمان لزيد وقد طال هذا الفصل عن الغرض في هذا الكتاب وانما ذكرته لتعلق بعضه ببعض بعد حذف حشو كثير

(وصرف وقسم وعدل وقوم) لم أتحقق المعنى المراد بهاتين الكلمتين فسألت عنهما بعض علماء الاسلام فقال الصرف نوع من المعاوضة وهو ما كان العوضان فيه من النقدين أعني الذهب والفضة وقوله وقسم كأنه يريد به تقسيم الاموال المشتركة ووجه مناسبة الصرف أن المال

ماذا ترى فى عيال قد برمت بهم * لم أحص عدتهم الا بعداد
كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية * لولا رجاؤك قد قتلت أولادى

(وحكى) الفراء اذهب الى زيد أودع ذلك فلا تبرح اليوم وقد تجىء بمعنى الواو كقول امرئ القيس

فظل طهاة القوم مابين منضج * صفيف شواء أو قدير معجل

وقول الآخر

قوم اذا سمعوا الصريخ وجدتهم * مابين ملجم مهره أو سافع

(مسئلة) قوله تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون ذهب كثير الى انها بمعنى الواو وقال قوم بل هى بمعنى بل لان الشك فى كلام الله تعالى محال قال المبرد فى كتاب الازمنة قول المتكلفين للتفسير بغير معرفة ان معنى أو يزيدون بل يزيدون يقال لهم بل للاضراب والاضراب اما للغلط أو للنسيان ولكن يجوز أن يكون ذلك النبى صلوات الله عليه افترض عليه ربه والزمه الرسالة الى مائة ألف وأباحه ما بعد ذلك فيكون الى مائة ألف معدودين معلومين عنده لا يدمنهم أو يزيدون ان شاء ذلك النبى وهذا كلام بين صحيح ويجوز أن يكون أرسله الى عالم لم يقع عليهم عدد عاد الا الذى خلقهم فقال الى مائة ألف أو يزيدون عندكم هذا ملخص كلام المبرد وأوفى البيت للتخيير وسلما منصوب على انه مفعول اتخذ (فى الجو) فى هنا للظرف والجو مجرور بفى والالف واللام لتعريف الحقيقة والجار والمجرور متعلق باتخذ (فاعتزل) الفاء للعطف وهى مرتبة واعتزل فعل أمر والامر مبنى على السكون وانما حركه للضرورة فى القافية على ما تقدم (المعنى) فان ملت الى حب السلامة فاتخذ نفقا فى الارض أو اصعد فى سلم فى الجو لان السلامة متعذرة عليك مادمت بين الناس ولا سبيل الى النزول فى النفق ولا الى الصعود فى سلم فى الجو اذ لا بد لك من الناس والسلامة منهم عزيزة وفى هذا تحريض على الحركة والسعى والاجتهاد فى احراز المعالى لان السلامة ممتنعة فالاولى بالانسان الحركة والطلب وقد قال أبو العلاء المعرى فى وصف النوع الانسانى بالاذى وانه لا يسلم من أذاه حيوان بحرى ولا حيوان جوى

أتعبتم السابح فى لجة * ورعتم فى الجوذات الجناح
هذا وأنتم عرض للردى * فكيف لو خلدتم يا قباح

وطلب السلامة بالتحرز والتوقى ممنوع لان القضاء والقدر لا محيص عن وقوعهما قال ابن الرومى فيما أظن

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

وأخذه أبو اسحق الغزى فقال

كل يفر من الردى ليفوته * وله الى ما فر منه مصير

وقال آخر

يوشك من فر من منيته * فى بعض غراته يوافقها

ويحسن أن ينشد فى هذه المادة قول جميل

أريد لانسى ذكرها فكأنما * تمثل لى ليلى بكل سبيل

المشترك اذا كان ذهبا قليلا فقد يتعذر قسمه بالدنانير فيصرف بالدراهم ثم يقسم وقوله وعدل وقوم يريد به تعديل الاقسام وتقويمها فان المال المشترك اذا كانت أجزاؤه مختلفة فى الصورة والقيمة كالدور والبساتين فاذا أريد قسمتها ولا بد فتعدل بالتقويم ثم تقسم مثلا اذا كان البستان بين ثلاثة بالسوية تقوم البستان فى الاول ثم تعدل الاجزاء باعتبار ذلك فتجعل الثلاثة أجزاء متساوية ثم تقسم بالاقراع أو بتعيين الحاكم كل هذا داخل فى أبواب الفقه وقد قيل ان مالكا أول من صنف فيه وقد تقدم ذكره

(وصنف الاسماء والافعال)

(الاسماء والافعال) هنا ما اصطلح عليه النحويون فى أقوالهم وتصنيفهم فى كتبهم الموجودة والاسم عندهم ما وقع على معنى غير مقرون بزمان ويعرف بدخول الجر عليه ويصح فيه نعتى وضربى ويدخل عليه أيضا الالف واللام وهو أصل والفعل فرع عليه وقسمه بعض القدماء على ثلاثين قسما وهى معرب ومبنى وظاهر ومكنى ومعرفة ونكرة ومعين ومبهم وعربى وأعجمى وذكر وأنثى ومقصور

وقول أبي العتاهية ومن الاول أخذ

كأن بعيني في حيثما * نظرت من الارض تمثالها

وأخذه العباس بن الاحنف أيضا فقال

وما عرضت لي نظرة مذ عرفتها * فانظر الا مثلت حيث أنظر

وحكي أن كثيرا أتى الفرزدق فقال الفرزدق يا أبا صخر أنت أنسب العرب حيث تقول اريد لانسى ذكرها البيت فقال كثير وأنت أفخر العرب حيث تقول

ترى الناس ان سرنا يسيرون خلفنا * وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا

والبيتان جميل وكان كثير سرق الاول والفرزدق سرق الثاني فقال له ما أشبه شعرك بشعري أو كانت أمك أتت الى البصرة فقال لا ولكن كان كثير امارز ورها أبي وينزل في بني دارم الجواب لكثير وبيت الطغرائي يسميه أرباب البديع التلميح وبعضهم يسميه الاقتباس وهو نوع من التضمين ولكن التضمين هو أن يأتي لفظ الآية أو الحديث أو البيت كاملا وان لم يأت كاملا فهو الاقتباس والطغرائي اقتبس كلامه هنا من قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء وما أحسن ما استعمل القاضي الفاضل النفق والسلم في قوله وكذلك فتوحات هذه الايام مفتاحها سبقها وسمة مهابتها فيلقها ودم الاعداء امدادها واعلام النصر ورقها ولا يعادي سيفها من الاعداء الا عنقها واذا اسيقت الى أرض كادت الارض بالعجاج تسبقها وان ابتغت الاعداء نفقا في الارض أو سلما في السماء فالجزع سلمها والقبر نفقها انتهى وما أحسن قول ابن سناء الملك من قصيدة

وكم قلعة فوق السماء أساسها * وعامرها أسلاف عاد وجرهم

رقى سلما للعز أوصله لها * فقد نال أسباب السماء بسلم

واتفق لي استعمال السلم والنفق فقلت

كن في الخمول آمنا * واخش المعالي واتق

كم نافق في سلم * وسالم في نفق

ويعجبني قول ابن خفاجة الاندلسي

ولا تقف بطلول الكتب تسألها * فلست تحظى بغير الهم والحزن

وكن اذا التقت الارماح سائلة * فربما اندق صدر العامل اليزني

وقال ابن التعاويذي

وقالوا الغنى عرض للخطوب * فكيف تعرض للعدم

وقالوا السلامة تحت الخمول * فما لي خملت ولم أسلم

ودخل القاضي المنازي على أبي العلاء المعري فاخذ أبو العلاء يشكو اليه طعن الناس فيه وثلبهم لعرضه وأذاهم له وقال ياقاضي أيفعلون بي هذا كله وقد تركت لهم دنياهم فقال القاضي المنازي والله واخراهم فقال ياقاضي وأنت تقول مثل هذا وجعل يكرر هذا القول

(ودع غمار العلى للمدمنين على * ركوبها واقتنع منهن بالبال)

(اللغة) دع معناه اترك أوذر وقد جاء في كلام العرب فعلان لا ماضي لهما ولا مصدر ولا اسم

وممدود وعامل وغير عامل ومشتق وغير مشتق ومضارع وغير مضارع ومعتل وصحيح وزائد وناقص ومنصرف وغير منصرف ومفرد ومضاف ومدغم ومظهر وشرح ذلك موجود في كتبهم والفعل ما تصرف بالزمن كقولك ضرب ويضرب وقال السيرافي وهو محتمل للزوائد التي هي الياء والتاء والنون والالف وهو الحال قال التوحيدي وسمعت أبا حفص الاشعري يقول لا معنى للحال انما هو الماضي والمستقبل وتحصيل الحال محال وتوهم باطل لانك لا تفرغ من الماضي الا الى المستقبل ومتى فرضت بينهما واسطة كنت فيها وأنت ما فقيل له ان الذي يوضح الحال أنك اذا أتيت بالسين في سيصلي لم يكن المعنى الا في الاستقبال فلولا أن الغرض قد كان كامنا في قولنا يصلي لم توضحه السين فكان الشبهة أن يصلي دال على الحال متضمن معنى الاستقبال حتى يقترن باللفظ ما ينصب دليلا على الغرض الواضح فكان يكثر عند هذا البيان ويقول لوضح هذا الصح قول الفلاسفة في الفصل بين الشيئين أي ما يكون مشتركا بين شيئين كأنه مركب من بدئهما فقيل

فاعل ولا اسم مفعول وانما استعمل منهما فعل الامر والمضارع خاصة وهما دع وذر فلا يقال ودعه الا ما جاء في ضرورة الشعر كقوله

ليت شعري عن خليلي ما الذي * غاله في الحب حتى ودعه

وقرئ في الشاذ ما ودعك ربك وما قلى بتخفيف الدال ولا يقال وادع بل تارك وكذا ذر وما تصرف منه يقال ترك فهو تارك غمار يقال بحر غمر وبحار غمار والغمرة الشدة والزحمة في الماء والناس والجمع غمار ودخلت في غمار الناس بكسر الغين وضمها وفتحها العلي تقدم الكلام عليه في شرح قوله أريد بسطة كف البيت المقدمين اسم فاعل من أقدم يقدم فهو مقدم وهم مقدمون والاقدام الشجاعة والدخول في الاخطار من غير تروّ ولا فكر اقتنع افتعل أمر بالقناعة البلل النداوة اليسيرة وما أحسن قول أبي الطيب

الهجر أقتل لي مما أراقبه * أنا الغريق فما خوفي من البلل

وتضمين الآخر أحسن منه حيث قال

عاتبت فيكه ايري وقلت له * يا ايري خف سلحه وادخل على مهل

فظل يوسعه رهزا وينشدني * أنا الغريق فما خوفي من البلل

(الاعراب ودع) الواو للعطف عطفت هذا الامر على قوله فاعتزل ودع فعل أمر وقد تقدم الكلام عليه في اللغة وذكرت هنا قوله تعالى أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قالوا ما الحكمة في العدول عن أن يقول أتدعون بعلا وتدعون الى ما أتى به لفظ القرآن مع أن المعنى واحد فان يدع مثل يذر ويكون في اللفظ زيادة الجناس وهو من أنواع البديع الذي هو احد أثافي البلاغة وأجيب بانه لو أتى على هذه الصفة لاحتمل التحريف في اللفظ ويقال بالعكس أي أتدعون بعلا وتدعون أحسن الخالقين بتحريك الدال من الاول وسكونها من الثاني هذا الذي ذكروه قلت هذا الجواب ليس بشيء لان سياق الكلام وقرينة اللفظ والحال يمنعان من هذا الوهم ويبطلان هذا التحريف لانه انكار على من دعا الصنم وترك الله وقوله أحسن الخالقين قرينة توجه الانكار على دعاء الصنم وترك أحسن الخالقين والجواب أن لفظ القرآن الكريم أعذب في السمع وأخف على اللسان فان تكرار الحروف على اللسان بالثقل والخفة أعقد ويحتاج الى احضار الذهن لئلا يقع التحريف وينطق بالاول كالثاني وعكسه فان قلت هذا يرد على باب الجناس كله وهو معدود من البديع قلت الجناس وان كان من أنواع البديع لكن بعض صوره مستثقل كقول ابن الفارض من قصيدة

أما لك عن صد أمالك عن صدي * لظلمك ظلما منك ميل لعطفة

ومنها فرحن بحزن جازعات بعيدما * فرحن بحزن الجزع بي لشبيبتي

فانظر الى استثقال البيت الاول لما فيه من جناس التحريف في صدو صد الاول من الصدود والثاني صداي عطشان وفي ظلم وظلم الاول الظلم بالفتح وهو الريق والثاني بالضم وهو الجور مع التقديم والتأخير الذي يحتاج الى اقليدس حتى يستخرج ترتيبه على خط مستقيم والتقدير فيه أمالك ميل لعطفة عن صد أمالك ظلما منك عن صدا لظلمك فأمالك الاولى مركبة من همزة الاستفهام وما النافية ولام الجر وكاف الخطاب وأمالك الثانية مركبة من فعل ماض من الامالة وكاف الخطاب وأما البيت الثاني ففيه فرحن مرتين الاولى الفاء فاء العطف

له أيضا هذا كما قاله من خالفته وأنت في ذلك أجهل من هرة فانها تمشي على حافة الجدار غير متمكنة من سمته وتربع مع ذلك مكانا آخر للفضل الذي يلوح لها وهي لا تملك نفسها ولا ترسلها فما ظنك يا أبا حفص بشبهة تكشفها هرة * والافعال تنقسم أيضا الى أقسام كثيرة كالماضي والمضارع والامر والمتعدي الى واحد واثنين وثلاثة وغير المتعدي والتام والناقص وما سمي فاعله وما لم يسم فاعله وأفعال القلوب وغيرها * وأفعال المقاربة وأفعال التعجب وغيرها وأفعال المدح والذم وغيرها وأول من وضع علم النحو أبو الاسود الدؤلي واسمه ظالم ابن عمرو بن سفيان وكان من فقهاء البصرة وعلمائهم وفصحائهم وشيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وولاه البصرة وسبب وضعه لذلك انه دخل على ابنته بالبصرة فقالت له يا أبت ما أشد الحر فقال شهر اذار فقالت يا أبت انما أخبرتك ولم أسألك وكان مرادها التعجب فاتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب

ورحن فعل ماض من الرواح لجماعة الاناث والثانية فعل ماض من الفرح لجماعة الاناث أيضا والراء فى الاولى مضمومة وفى الثانية مكسورة وفيه الحزن مرتين الاولى بضم الحاء ضد الفرح والثانية بفتح الحاء من الارض ضد السهل ولهذه الالفاظ التى عقدها عقد الميزان لاجل الجناس صار كلامه وحشيا من العوام بل من بعض الخواص الذين لم يتهروا فى الادب وقل ان تجد لديوانه نسخة صحيحة وأكثر ما يساعد الافاضل على تصحيح ألفاظه وزن الشعر كما فى قوله صد وصد الاولى مشددة والثانية مخففة وكما فى قوله

واذا أذى ألم ألم بهجتى * فشذا أعيشاب الحجاز دوائى

فانظر الى هذا الكلام الابرياء الوزن فانه يضطر الواقف عليه الى أن يجعل الاول من الالم والثانى من الالمام ولهذا احاجناس العماد الكاتب فى الشعر أخف منه فى النثر لان الوزن يضع كل كلمة فى مكانها ومن الجناس المستقل جناس التصحيف كقوله أيضا

وما احترت حتى اخترت حبيك مذهبا * فواحيرتى ان لم تكن فيك خيرتى

ومنها وجذ بسيف العزم سوف فان تجد * تجد نفسا فالنفس ان جدت جدت

فان فى البيت الاول احترت من الحيرة واخترت الثانية من الاختيار وفى الثانى تجد الاول من الجود والثانية من الوجدان وهذه الاشياء لا يخفى على ذى الذوق السليم ما فيها من الاستقال ولم أقل هذا الكلام جهلا بمقدار الشيخ شرف الدين بن الفارض رحمه الله وانه لم يكن من الفصحاء الا ترى قصائده التى أخلاها من الجناس مثل الميمتين والجيمية واللامية والمهموزة وغيرها فما أرقها وأحلاها والجناس اذا كثر فى الكلام مل اللهم الا أن يكون سهل التركيب ليس على المتكلم فيه كلفة كما حكى عن بعض جوارى المعتمد بن عباد أنها قالت له وهما فى سجن اغمات يا مولاى لقد هنا هنا فقال المعتمد

قالت لقد هناهنا * مولاى أين جاهنا
قلت لها الهنا * صيرنا الى هنا

وكما حكى عن جارية من جوارى القاضى الفاضل انها قالت له وقد تعبت فى بعض مرضاته والله ياسيدى ما لنا قدرة على مرضاتك ولكقول القائل

دهرنا أمسى ضنينا * بالتلاحى ضننا
يالياتى الوصل عودى * واجمعينا أجمعينا

وهما للشيخ زين الدين عمر بن الوردى أنشدنيهما لنفسه اجازة ومن خطه نقلت (رجع غمار) منصوب على أنه مفعول به (الغلى) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام ولم يظهر فيه الجر لانه مقصور (للقدمين) جار ومجرور وعلامة الجر الياء لانه جمع مذكر سالم صفة لعاقلين ومتى اجتمعت هذه الشروط أعرب بالواو فى حالة الرفع وبالياء فى حالتى النصب والجر وبنون مفتوحة فى الاحوال الثلاث وضم ما قبل الواو فى الرفع وكسر ما قبل الياء فى النصب والجر الا أن يكون جمع مقصور مثل أعلى ومصطفى فان ما قبل حرف الاعراب يكون مفتوحا قال الله تعالى وأنتم الاعلون وقال تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وقد تكسر نون الجمع على لغة قال

ماذا تبتغى الشعراء منى * وقد جاوزت حد الاربعين

لما خالطت الاعاجم وبوشك أن تضمحل وأخبره خبر ابنته فامره فاشترى صحفا فاملى عليه الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ثم قال له انح هذا النحو فسمى النحو ثم رسم رسوم النحو كلها وقيل كان سبب وضع النحو أن معاوية أرسل الى زياد يطلب ابنه فأدخل عليه ضبعه يلحن فارسل الى أبيه يلومه فارسل زياد الى أبى الاسود أن يضع فى النحو شيأ وكان ابو الاسود من افصح الناس ويقول انى لاجد للحن غمرا كغمر اللحم فابى ابو الاسود وكره اجابة زياد فوجه زياد رجلا وقال له اقعد فى طريق ابى الاسود فاذا مر بك فاقرأ شيأ من القرآن وتعمد اللحن فقعد فلما مر به ابو الاسود قرأ ان الله برئ من المشركين ورسوله بالجر فاستعظم ابو الاسود ذلك وعاد الى زياد فقال قد أجبتك ثم وضع مختصره فى أصول النحو وأول ما وضع باب التعجب ثم وضع بعده عنبسة ثم أبو عمرو بن العلاء وغيرهما الى ان وصل الى سيبويه فاخذ الغاية على من قبله وبعده * وكانت وفاة ابى الاسود سنة تسع وستين بالبصرة بالطاعون الجارف

وهو ابن خمس وثمانين سنة وكان عالما شاعرا ذا رأى الا انه كان شديد البخل جدا والتشيع فمن اخباره ما حدث ابو عمر وقال كان ابو الاسود نازلا في بني قشير وكانوا يخالفونه في المذهب لان ابا الاسود كان شيعيا فكانوا يذمونه بالليل فاذا أصبح شكا ذلك فشكاهم مرة فقالوا نحن ما نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم لو كان الله يرميني ما اخطأني وقال لهم يوما يا بني قشير ما احب الى طول بقاء منكم قالوا ولم ذاك قال لانكم اذا ركبتم امرا علمت انه غي فاجتنبته واذا اجتنبتم امرا علمت انه رشد فاتبعته وقال له رجل انت والله ظرف علم وحلم غير انك بخيل فقال وما خير ظرف لا يملك ما فيه وسأله رجل فمنعه فقال يا ابا الاسود أما أصبحت حاتما فقال بلى قد أصبحت حاتمكم من حيث لا تدري أليس حاتم يقول اما ذي اما مانع فجبين

واما عطاء لا يهنهه الزجر

وحكي ان اعرابيا مر به وهو يأكل رطبا على باب داره فقال السلام عليكم فقال ابو الاسود كلمة مقولة فقال أأدخل قال وراءك اوسع لك قال انا ابن الجماعة قال انصرف وكن ابن اي طائر شئت قال سألتك بالله الا

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة قال وقد أرسل اليه مبلغ احد واربعين درهما

عتبت ابن الفلاني وشك ظني * فأعتبني وعاد الى اليقين
وقال نواله هيهات يشكو * ذوو الأشعار من عهدي المتين
وماذا تبتغي الشعراء مني * وقد جاوزت حد الاربعين

كما ان نون التثنية تفتح على لغة من قال

على احوذيين استقلت عشية * فماهي الا لمحة وتغيب

وحرف الاعراب هنا بدل من الحركة في اعراب المفرد والنون بدل من التنوين ولهذا تحذف النون عند الاضافة كما يسقط التنوين في المفرد عند الاضافة تقول ضاربو زيد كما تقول ضارب زيد ولقد أحسن أبو الفتح البستي حيث قال

حذفت وغيري مثبت في مكانه * كأني نون الجمع حين تضاف

وقد يتصف بما لا يعقل بصفات من يعقل فيعرب بالحروف قال الله تعالى اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين وقال تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين والكواكب والسماء والارض مما لا يعقل خلافا للحكماء فانهم يعتقدون ان لكل فلك عقلا وأن الكواكب أحياء ناطقة والعلة أنها لما اتصفت بالسجود وبالقول وهما من صفات من يعقل أعطيت هذا الاعراب وانما كان اعراب الجمع المذكر بالحروف دون الحركات لان الحركات أصل في الاعراب والحروف فرع عليها والمفرد أصل والجمع فرع عليه فأعطى الاصل الاصل والفرع الفرع طلبا للمناسبة فان قلت فلاي شيء ما أبقوا الالف في النصب قلت لانه كان يشتبه المنصوب في الجمع بالمرفوع في المثنى (فان قلت) فلاي شيء كان المثنى يرفع بالالف (قلت) لان الالف أتم حروف المد وهي أصل لاختيها الواو والياء ولهذا لم تقبل الحركة والرفع هو أصل الاعراب فأعطى الاصل الاصل طلبا للمناسبة ولان الالف من ضمائر الرفع كقولك قاما قعدا فلما كانت ضمير امرفوعا ناسب أن تقع علامة للرفع في اعراب المثنى (فان قلت) فلاي شيء ما راعوا هذه المناسبة في الجمع وأعربوه بالالف (قلت) لان التثنية قبل الجمع فاختص المثنى بهذا وسبق اليه فلم يبق للجمع الا هذه الصورة (ربع على ركوبها) على حرف جر وقد تقدم الكلام عليها وركوب مجرور بعلى والهاء والالف في موضع جر بالاضافة ولم يظهر الجر لان الضمائر كلها مبنية والضمير يرجع الى العلى لانها مؤنثة أو الى غمار لانها جمع غمرة أو غمر والجار والمجرور متعلق بالمقدمين (واقتنع) الواو عاطفة عطفت فعل أمر على مثله وهو دع (منهن) جار ومجرور ولم يظهر الجر لان الضمائر مبنية ومن لبيان الجنس وهو متعلق باقتنع والضمير يعود على الغمار (بالبال) الباء هنا للاستعانة أو للتعدية تقول قنعت بكذا (المعنى) واترك لجج المعالي للذين أقدموا على مشاق ركوبها وصبروا على أهوالها وكابدوا شدائدها واقتنع من اللجج بالبال وكني بالبال عن الشيء النزر من العيش كانه قال اوض من اللجة بالبلالة اذا لم تكن تقدم على الاهوال فاذا الاتزال في ظمأ لانك ما ركبت اللجة والامر كما ذكره الطغرائي فانه لم يحظ بالدر من لم يغص عليه ولم ينل المجد من لم يصبر على ابره ولم يظفر بالسلب من لم يهن ألم الجراح

ولم يتمتع بالحسنا من لم يجد بالمهر الغالي فمن لم يغص قنع بالصدف ومن لم يصبر على السم لم يذق الحلاوة ومن لم يهون ألم الجراحة لم يلم ما عليه ومن لم يسمح بالمال في المهر عاد بالخيبة فاقتحم لجج الطلب والدأب واصبر على مضض السهر والفكر لتعد من أعيان العلماء وتتكلم على رؤوس الاشهاد وترتقي ذرى المنابر وتضدر في المجالس ويشار اليك بالأنامل وتعقد عليك الخناصر ومن الكلم النوابغ قرب ابن قريب بأصعيه لا بأصمعه والالم يشر اليه الرشيد بأصبعه ابن قريب هو الاصمعي وهو منسوب الى جده اصمع والاصمعان القلب الذكي والرأي الحازم وأما القناعة بالنزر القليل والرضى بالدون من العيش فهو أمر يوجب السلامة ويؤمن الخطر ومن كلام البديع الهمذاني الثناء منجح أني سلك والسخي حوده بما ملك وان لم تكن غرة الأنجبة فلمعة دالة وان لم يكن خمر فخل فان لم يصبها وابل فطل وبذل الموجود غاية الجود وما قل خير من عدم ماجل وقليل في الجيب خير من كثير في الغيب وجهد المقل خير من عذر المخل وكوخ في العيان خير من قصر في الوهم وما كان أجود من لوكان وعصفور في الكف خير من كركي في الجو ولأن تقطف خير من أن تقف ومن لم يجد الجيم رعى الهشيم ومن لم يحسن صهيل الانهق ومن لم يجد ساء تيم وقيل لاعرابي لم لا تضرب في البلاد قال يمنعني من ذلك طفل بارك ولص سافل ودهر فاتك ثم اني لست مع ذلك بالواثق بنجح طلبتي ولا بقضاء حاجتي ولا بالعنف على من دوني لاني أقدم على قوم قد أطغاهم السلطان واستمالهم الشيطان وساعدهم الزمان واسكرتهم حداثة الاسنان وفي معنى قول الطغرائي ما قاله أبو اسحق الغزي

لا تحقرن طفيف الرزق وارض به * ما الغمر مجتمع الا من الوشل
وانزل اذا لم تجد للمرتقى سببا * فباسق العرد يرجو نازل السبل

ولو كان لي في بيت الطغرائي حكم لقلت ودع غمار العلى للمقدمين على اخطارها أو أهو الحالان المقام هنا مقام تهويل وهذا اللفظ اذ مهابة في السمع بخلاف ركوبها الا ترى كيف استعار اللجة للعالي لان اللجة مخوفة قل من يقدم على هولها أو يركب ظهرها وأنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف قال أنشدني من لفظه لنفسه بدر الدين أبو المحاسن يوسف المهمندار سنة تسع وثمانين وستمائة

لو عاينت عيناك يوم نزالنا * والخيل تضبح في العجاج الاكدر
وسنا الاسنة والضياء من الظبا * كشفا لاعيننا قتام العثير
وقد اطلخم الامر واحتدم الوغى * ووهى الجبان وساء ظن المجتري
لرأيت سدا من حديد مائرا * فوق الفرات وفوقه نار اترى
حتى سبقنا اسهما طاشت لنا * منهم الينا بالحيول الضمر
طفرت وقد منع الفوارس مدها * تجري ولو لاخيلنا لم تطفر
لم يفتحوا للرمي منهم اعينا * حتى كمان بكل لدن أسمر
ما كان أجرى خيلنا في أثرهم * لو أنها برؤسهم لم تعثر
فتسابقوا هربا ولكن ردهم * دون الهزيمة رمح كل غضنفر
كم قد فللنا صخرة من صرخة * ولكم سللنا بحرا من محجر

اطعمتني مما تاكل فالقى اليه ثلاث رطبات فوقعت احداهن في التراب فاخذها فمسحها بثوبه فقال دعها فان الذي تمسحها منه أنظف من الذي تمسحها به فقال انما كرهت ان ادعها للشيطان فقال لا والله ولا لجبريل وميكائيل تدعها وجلس يوما الى معاوية يتحدثان في خلوة ثم تحرك فضرط فقال لمعاوية استرها علي قال نعم فلما خرج حدث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان ابن الحكم فلما غدا اليه ابو الاسود قال له عمرو ما فعلت ضرطتك يا ابا الاسود قال ذهبت مع الريح كما تذهب من شيخ ألان الدهر اعضاءه عن امثالها وكل اجوف ضروط وان امرأ ضعفت امانته عن كتمان ضرطة لحقيق ان لا يؤتمن على المسلمين * واسر يوما الى معاوية بشئ وكان اخبر فأصغى اليه معاوية ما سكا أنفه فتحى أبو الاسود يده عن أنفه وقال لا والله لا تسود حتى تصبر على سرار البخر ومن شعره يقول

وكنت متى لم ترع سرك منشرا * نوازعه من مخطئ ومصيب
فما كل ذي لب بمؤتيك نصحه * ولا كل مؤت نصحه بلبيب

وكتب الى معاوية وقد وعده فأبطأ عليه يقول

فانظر الى هذه الالفاظ المفخمة التى أتى بها هذا الشاعر البليغ فى وصف هذا المقام المهول وأظن أن هذه الابيات نظمها منداروا العرب فى واقعة الملك الظاهر رحمه الله لما ألقى روحه فى الفرات ورمى الجيش نفوسهم خلفه وفيها يقول القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر

تجمع جيش الشرك من كل فرقة * وظنوا بأنا لا نطيق لهم غلبا
وجاؤا الى شاطئ الفرات وبادروا * بأن جياد الخيل تقطعها وثبا
وجاءت جنود الله فى العدد التى * تميس بها الابطال يوم الوغى عجبا
فعينا بسد من حديد سباحة * اليهم فما استطاع العدو له نقبا

ويقول الموفق عبد الله بن عمر الانصارى

الملك الظاهر سلطاننا * نفديه بالمال وبالاهل
اقتحم الماء ليطفى به * حرارة النار من الغل

ويقول ناصر الدين حسن بن النقيب

ولما ترامينا الفرات بخيلنا * سكرناه منا بالقرى والقوائم
فأوقفت التيار عن جريانه * الى حيث عدنا بالغنى والغنائم

وأنشدنى لنفسه اجازة الشيخ الامام شهاب الدين أبو الثناء محمود رحمه الله قصيدة نظمها فى هذه الواقعة التى خاض الظاهر فيها الفرات منها

لما تراقصت الرؤس وحركت * من مطربات قسيك الاوتار
خضت الفرات بسابح أقصى منى * هوج الصبا من نعله الآثار
جعلتك أمواج الفرات ومن رأى * بحرا سواك تقله الانهار
وتقطعت فرقا ولم يلك قودها * اذ ذاك الا جيشك الجرار

ومنها رشت دماؤهم الصعيد فلم يطر * منهم على الجيش السعيد غبار

ومنها وقد قرأتها عليه وهو يسمع

شكرت مساعيك المعاقل والورى * والترب والآساد والاطيار
هذى منعت وهؤلا حميتهم * وسقيت تلك وعم ذى الآبار

(رجع الى ما يتعلق بتفخيم الالفاظ) ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم له

كم معرك اشتد غدت أبطاله * كالاسد تزأر فى عرين صعاده
ضاق المجال بخيلهم فتقيلهم * يقضى ويمكث فوق ظهر جواده

وخبر أبى زبيد الطائى عن الاسد ووصفه له فى مجلس عثمان رضى الله عنه مشهور فانه أتى فيه بألفاظ مفخمة جدا وروى صاحب الاغانى أن بعض الحاضرين حيق فى أثناء سماعه الوصف فقال له عثمان بن عفان رضى الله عنه أسكت رضى الله فاك فقد رعبت قلوب المسلمين

وأبيات بشر بن أبى عوانة فى وصف الاسد وأبيات البحترى وأبيات أبى الطيب الجميع مشهور فلا فائدة فى التطويل بذكر ذلك

(رضى الذليل بخفض العيش مسكنة * والعز عند رسيم الاينق الذلل)

(اللغة) الرضى والرضوان بكسر الراء وضمها فى الثانى وهما من القراآت السبع والمرضاة جميع ذلك واحد ورضيت الشئ وارتضيته فهو مرضى وقد قالوا مرضو فجاؤا به على الاصل

لا يبعدن برقك برقا خلبا
ان خير البرق ما الغيث معه
لا تهنى بعد أن أكرمتنى
فشديد عادة ننزعه
وقال يخاطب ولده الله كان لا يطلب الرزق
وما طلب المعيشة بالتمنى
ولكن ألق دلوك فى الدلاء
تجى ء بملئها طورا وطورا
تجى ء بحمأة وقليل ماء
وقال أيضا
يقول الارذلون بنو قشير
طوال الدهر لا تنسى عليا
بنو عم النبى وأقربوه
أحب الناس كلهم اليا
أحبهم حب الله حتى
أجى ء اذا بعثت على هويا
فان يكن حبهم رشدا أصبه
ولست بمخطئ ان كان غيا
فروى أن بنى قشير قالوا له قد شكتك يا أبا الاسود فقال كلا ما شكتك أما سمعتم قول الله تعالى وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين أفتروون أن الله تعالى شك وقوله هويا بلغة هذيل قال أبو ذؤيب
سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم
فتخرموا ولكل جنب مصرع
(وبوب الظرف والحال)
(الظرف) فى النحو يقال للزمان والمكان اذا جعل محلا لامور تقع فيه كقولك أعجبنى الخروج اليوم فاليوم محل للخروج الذى أسندت

ورضيت عنه رضى مقصور مصدر والرضاء ممدود اسم المصدر عن الاخفش وعيشة راضية بمعنى مرضية الذليل ضد العزيز رجل ذليل بين الذل والذلة والمذلة من قوم أذلاء وأذلة والذل بكسر الذال اللين الخفض الدعة يقال عيش خافض وهم في خفض من العيش والخفض في الصوت غضه وخفض عليك الامر هونه العيش الحياة وقد عاش الرجل معاشا ومعيشا كل منهما يصلح أن يكون مصدرا وأن يكون اسما مثل معاب ومعيب وعمال وعميل وأعاشه الله عيشة راضية مسكنة المسكنة مصدر تمسكن والمسكين الفقير العاجز عن الاكتساب وقد يكون بمعنى الذلة والضعف وهو المراد هنا يقال تمسكن الرجل كما قالوا تمدرع وتمندل في المدرعة والمنديل على تفعل وهو شاذ وقياسه تسكن وتدرع وتندل مثل تشجع وتحلم وفي الحديث ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان بل المسكين الذي لا يسأل ولا يفطن له فيعطى العزض الذل الرسيم ضرب من سير الابل وهو فوق الذميل قال أبو عبيدة اذا ارتفع السير عن العنق قليلا فهو البريد فاذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ثم الرسيم والعنق سير مسبطر وقد رسم يرسم بالكسر لا يقال أرسم الا في جمع الناقة تقديرها فعلة بالتحريك لانها جمعت على نوق مثل بدنة وبدن وخشبة وخشب وفعلة بالتسكين لا تجمع على ذلك وقد جمعت في القلة على أنوق مثل أسهم ثم انهم استثقلوا الضمة على الواو فقدموها فقالوا أونق حكاه يعقوب عن بعض الطائيين ثم عوضوا من الواو ياء فقالوا أينق وقد تجمع الناقة على نياق مثل ثمرة وثمار الا أن الواو صارت ياء لانكسار ما قبلها الذال دابة ذلول بينة الذل اذا كانت طائعة سهلة القياد ودواب ذلل ومنه قولهم بعض الذل أبقى للأهل والمال (الاعراب رضى) مبتدأ وان لم يظهر فيه الرفع لانه مقصور والمقصور يقدر اعرابه في أحوال الثلاث (الذليل) مجرور بالاضافة اليه وهي اضافة معنوية بمعنى اللام (يخفض) الباء هنا للتعدية أو هي للاستعانة (العيش) مجرور بالاضافة الى خفض وهي اضافة معنوية بمعنى اللام (بسكنة) مرفوع على انه خبر المبتدأ الذي تقدم (والعز) الواو للابتداء والعز مرفوع على انه مبتدأ والالف واللام لتعريف الحقيقة أو للعهد الذهني (عند) ظرف مكان وفيها لغات كسر العين وفتحها وفتح النون مع فتح العين تقول عند قال الشاعر

وكل شئ قد يحب ولده * حتى الحبارى ويطير عنده

قال الحريري في درة الغواص ويقولون ذهبت الى عنده فيخطئون فيه لان عند لا يدخل عليه من أدوات الجر الا من وحدها ولا يقع في تصاريف الكلام مجرورا الا بها كما قال سبحانه وتعالى قل كل من عند الله وانما خصت من بذلك لانها أم الباب ولام كل باب اختصاص تمتاز به وتنفرد بمزيته كما خصت ان المكسورة بدخول اللام في خبرها وخصت كان بجواز ايقاع الفعل الماضي خبرا عنها وخصت باء القسم باستعمالها مع ظهور فعل القسم وبدخولها على الاسم المضمر وأما قول الشاعر

كل عند لك عندى * لا يساوى نصف عند

فانه من ضرورات الشعر كما أجرى بعضهم ليت وسوف وهما حرفان مجرى الاسماء المتمكنة فأعربهما في قوله

ليت شعرى وأين منى ليت * ان ليتا وان سوفا عناء

وقد تستعمل عند اعدة معان فتكون بمعنى الحضرة كقولك عندى زيد وبمعنى الملك كقولك

اليه الحديث فاذا قلت أعجبني اليوم لم يسم ظرفا لانك انما تحدث عنه لا عن شئ وقع فيه فمن خاصة الظرف أن لا يكون محدثا عنه وأن يصلح فيه تقدير في وكان الخليل يقول أنا أول من سمى الاوعية ظروفا لما يحل فيها (والحال) ما يعرف من هيئة الفاعل والمفعول في حال وقوع الفعل كقولهم جاء زيدا كبا وضربت اللص قائما فالركوب هيئة زيد في وقت مجيئه والقيام هيئة اللص في وقت ضربه والحال اما أن يكون نكرة أو في حكمها وبعد كلام تام أو حكمه وبعد اسم معرفة أو حكمها ولها أقسام مثل المستحقة والسادة والمحكية والموطئة والمؤكدة وغير ذلك

(وبنى وأعرب ونفى وتعجب) المبنى ما لم يتغير آخره من الكلام بدخول العامل عليه * والمعرب ما تغير آخره بدخول العامل عليه بحركة أو حرف ولا يعرب من الكلام الا الاسم المتمكن والفعل المضارع * وأشار بالنفى والتعجب الى أن الكلمة الواحدة قد يراد بها النفى وقد يراد بها التعجب فمن لا يدرى النحو لا يميز بين محليهما كما في قولهم ما أحسن

عندى مال وبمعنى الحكم كقولك زيد عندى أفضل من عمرو أى فى حكمى وبمعنى الفضل والاحسان كما قال سبحانه وتعالى اخبارا عن خطاب شعيب لموسى عليهما الصلاة والسلام فان أتممت عشرا فمن عندك أى من فضلك (رجع رسيم) مجرور بالاضافة الى عند (الاينق) مجرور بالاضافة اليه لان رسيم أضيف الى الاينق وتقدم الكلام فى اللغة على تصريف أينق (الذال) مجرور على انه صفة للاينق تبعه فى أربعة من عشرة وهى التعريف والجمع والتأنيث والجر وأما الخبر الذى يطلبه المبتدا وهو العز فانه محذوف وهو ما تعلق به الظرف الذى سد مسده وتقديره والعز مستقر أو مطلوب أو كائن عند رسيم الاينق (المعنى) يقول رضى الذليل بلين العيش ودعته مع وجود الذل مسكة عند صاحب النفس الابية وانما العز موجود عند سير النوق المذللة فى الاسفار وهذا حث على الحركة والتنقل على مواطن الذل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمؤمن أن يذل نفسه قالوا يا رسول الله وكيف يذل نفسه قال يتعرض من البلاء لما لا يطيق ومن الكلام النوابغ الحر لا يدر على العصاب ولا يذل وان منى بالصعاب العصاب الجمل الذى يعصب به فخذ الناقة ومنها كم لأيدى الركاب من أيادى فى الرقاب الأيدى جمع اليد التى هى الجارحة والايادى جمع اليد وهى النعمة هذا هو الصحيح وقد أخرجهما عوام العلماء باللغة عن أصل وضعهما فاستعملوا الايادى فى جمع اليد الجارحة وتجد أكثر الناس يكتب الى صاحبه المملوك يقبل الايادى الكريمة وهو لحن وانما الصواب الايدى الكريمة قال أبو العلاء المعرى

وأضعف الرعب أيديهم وطعنهم * بالسمهرية دون الوخز بالابر

فجمع اليد الجارحة على أيد وقال أبو الطيب

أقامت فى الرقاب له أياد * هى الاطواق والناس الحمام

ولقد جرى لى محاورة مع بعض أهل العصر ممن عانى الادب وهو انى أنشدت يوما بحضرته هذا البيت وأخذت فى استحسانه فأخذ يرد على فى ذلك ويقول الا انه صفع الناس كلهم فى هذا البيت لجمعه بين الرقاب والايادى فبينت له مكان غلطه وقلت له ليس هذا البيت من هذا الباب ولو أوردت هذا فى قول الشاعر

اذا الجمل الثقيل توازعته * اكف القوم هان على الرقاب

لمشى لك الذى تريد فلم يحر جوابا وذكرت هنا قول القائل

ماذا يفيد المعنى * من الجوى المتتابع
بصر ذات الايادى * وتيلها ذى الاصابع

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة

وقفت أصابع نيلنا * وطفت وطافت فى البلاد
وأتت بكل مسرة * ماذى أصابع ذى أياد

وهذان المقطوعان يغتفر فيهما اللحن الخفى لرشاقة نظمهما وعلى ذكر النيل فما أحسن قول القائل

النيل قال وقوله * اذ قال مل معى معى
فى غيظ من طلب الفلا * عم البلاد منافعى
وعيونهم بعد الوفا * قلعتها بأصابعى

وأنشدت

زيدوفا أحسن زيدا فانها فى الاول للنفى ولهذا ارتفع زيد لانها نفت المسند الى زيد وفى الثانى للتعجب ولهذا انتصب زيد لان فاعل أحسن هو ضمير مستكن فيه يعود على ما فان معناها فى الاصل شئ أحسن زيدا وبسبب هذه المسئلة وضع علم النحو كما تقدم فى ذكر أبى الاسود الدؤلى مع ابنته (ووصل وقطع وثنى وجمع) أشار الى معرفة مواقع همزة الوصل من مواقع همزة القطع وقد أنشد البيت المشهور فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم على وجهين وهو

فشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

فقيل شق له من اسمه باثبات الهمزة وسلامة النظم من الزحاف وقيل شق له من اسمه باستعمال الوصل ويكون ذلك مع دخول القبض فى الجزء الثانى من الطويل وهو ومفاعيلن بحذف الياء فيصير مفاعلن وهو زحاف مستعمل فى هذا البحر تقع المعاقبة بينه وبين الكف وهو أخف منه وأكثر استعمالا (والتثنية) زيادة ألف أو ياء مفتوح ما قبلها فى آخر الكلمة مع نون مكسورة كقولهم الزيدان والرجلين (والجمع) ضربان أحدهما

وأنشدت لخليل الهمذاني الكفتي

مولاى ان البحر لما زرته * حياك وهو أخو الوفا بالاصبع
فانظر لبسطته فرؤيتك التي * هي مشتهاه وروضة المتمتع
أرخى عليه الستر لما جئته * خجلا ومد تضرعا بالاذرع

وما أحسن قول علاء الدين الوداعي ومن خطه نقلت

روضة صر وبـ ـكانها * شوقي وجدد عهدي الخالي
وصف لي القرط وشنف به * سمعي وما العاطل كالحالي
وارو لنا يا سعد عن نيلها * حديث صفوان بن عسال
فهو مرادي لا يزيد ولا * ثور وان رقا وراقالي

ومن كتاب أنشأه القاضي محيي الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر السعدي رحمه الله في بشارة النيل ولما تكامل إبانه وصح في ديوان الفلاح والفلاحة حسابه أظهر ما عنده من ذخائر اليسر وودائعه ولقط عموده جل ذلك على أصابعه وكتب ابن سناء الملك الى القاضي الفاضل رحمه الله يخبره بعدم وفاء النيل وأما النيل فانه نضبت مشارعه وتقطعت أصابعه وتيمم العمود لصلاة الاستسقاء وهم المقياس من الضعف بالاستلقاء وما أحسن قول ابن عماتي

ولقد عهدت النيل سنيا ري * عمرا ويتبع رأيه تسديدا
والآن أضحى في الورى متشيعا * متوقفا ما ان يحب يزيدا

وكتبت أنا في البشارة بالنيل كتابا جاء منه فلو خاصم النيل مياه الارض لقال عندي قبالة كل عين اصبع ولو فاخرها لقال أنت بالجبال أثقل وأنا بالملق اطبع والنيل له الآيات الكبر وفيه العجائب والعبر منها وجود الوفاء عند عدم الصفاء وبلوغ الهرم اذا اشتد واضطرم وأمن كل فريق اذا قطع الطريق وفرح قطان الاوطان اذا كسر والماء كما يقال لسلطان الى غير ذلك من خصائصه وبراءته مع الزيادة من نقائصه وهو أنه في هذا العام المبارك جذب البلاد من الجدب وخلصها بذراعه وعصمها بخناقه التي لا تراع من تراعه وحصنها بسواري السواري تحت قلوعه وماهي الا عمد تحت قلاعه وراعى الادب بين أيدينا الشريفة بعطا العتنا في كل يوم بخبر قاعه في رقاعه حتى اذا أكمل الستة عشر ذراعا وأقبلت سوابق الخيرات سراعا وفتح أبواب الرحمة بتغليقه وجد في طلب تحليقه تصرع بعد ذراعيه الينا وسلم عند الوفا بما صابعه علينا ونشر علم سيره وطلب لكرم طباعه مجبر العالم بكسره فرسمنا بان يحلق ويعلم تاريخ هنائه ويعلق فكسر الخليج وقد كاد يعلوه فوج موجه ويهبل كثيب سده هول هيجه ودخل يدوس زرابي الدور المبثوثه ويجوس خلال الحنايا كأن له فيها خبايا موروثه ومرق كالسهم من قسي قناطره المنكوسه وعلا زبد حركته ولولا لظهرت في باطنه من بدور أناسه أشعتها المعكوسه وبشر بركة الفيل ببركة الفال وجعل الجنونة من تياره المخدور في السلاسل والاغلال وازدحمت في عبارة شكره أفواج الافواه وملأ كف الرجاء بما وال الاموال وأعلم الاقلام بحزها عما يدخل من خراج البلاد وهنأت طلائعه بالطلائع التي نزلت بركاتها من الله تعالى على العباد وقلت في زيادته سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة

جمع التصحيح وهو ما سلم فيه بناء مفرده وهو قسمان جمع المذكر ويكون بزيادة واو أو ياء مكسور ما قبلها في آخر الكلمة ونون مفتوحة نحو المسلمين والمسلمون وجمع المؤنث ويكون بزيادة ألف وتاء في آخر الاسم كتمرات ومسلمات في جمع تمرة ومسلمة والضرب الثاني جمع التكسير وهو ما لم يسلم فيه بناء مفرده كرجال وأصحاب في جمع رجل وصاحب

(وأظهر وأضمر واستفهم وأخبر)

(الاضمار) أن يؤتى في الكلمة بلفظ مضمر وهو ما وضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب كانا وأنت وهو مأخوذ من الضمر وهو الخفاء (والاظهار) أن يؤتى باللفظ المظهر وهو ما عدا المضمر مأخوذ من ظهر الشيء اذا كان على ظاهر الارض واضحا (والاستفهام) طلب الاخبار بشيء واللفظ الدال عليه بالوضع اما اسم كقولنا ما الانسان ومن زيد وكيف أنت ومتى تقوم واما حرف وهو الهمزة في نحو قولك أقام زيد وهل في هل قام زيد (والاخبار) الاتيان بالجملة المحتملة للصدق والكذب كقولك قام زيد وما أشبه ذلك

قالوا علا نيل مصر فى زيادته * حتى لقد بلغ الاهرام حين ظما
فقلت هذا عجيب فى بلادكم * أن ابن ست وعشر يبلغ الهرما

وقلت فيه أيضا
قد زاد هذا النيل فى عامنا * فأغرق الارض بانعامه
وكاد ان يعطف من مائه * عرى على أزرار اهرامه

وقلت مضمنا
يقول لنا المقياس والنيل هابط * لنقطع آمال المنى والمطامع
ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

وقلت أيضا
لم لا أهيم بصر * وأرتضيها واعشق
وما ترى العين أحلى * من مائها ان تملق

(رجع ومن الكلام النوابغ) ان لم تكن ذا عرنين أشم كنت لريح الذل أشم وقال بعض الاعراب سأعمل نص العيس حتى يكفنى * من المال يوما أو عن الحدثان
فللموت خير من حياة يرى لها * على المرء بالاقلال وسم هوان

وقيل ظلم اعرابى من بنى بكر بن وائل فقتل ظالمه فعنف فقال ما أسأ من قتل ظالمه فقيل له أتحب أن تلقى الله ظالما أم مظلوما فقال بل ظالما ما عذرى غدا عند الله تعالى اذا قال خلقتك مثل الغير ثم تجبى وتشكو لى قال الجربادى كان لابن أبى عتيق صديق من الاعراب فغاب عنه حينا ثم رآه يوما يحمل فى المدينة مقيدا بالحديد فقال له ويحك ما هذا قال لطمت حوضا لى فظلمه بعض جيرانى فخطرت يدى خطرة فأصابت صدره فأتى على أجله فقال له ولم فعلت ذلك فأنشد

فأى امرئ فى الناس يهدم حوضه * اذا كان ذا رمح ولسانا يمانع

فقال ابن أبى عتيق أما والله كنت أصلحه بكف طين ولا يكون فى رجلى ما فى رجلك وفى أمثال العرب رهبوت خير من رحموت معناه لأن ترهب خير من أن ترحم وقال المتلمس

ان الهوان جار البيت يألفه * والحر ينكره والفيل والاسد
ولا يقيم بدار الذل يألفها * الا الذليلان غير السوء والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته * وذا يشج فلا يرثى له أحد

وتقول العرب فى أمثالها قال الحائط للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى فان الذى ورائى ما خلانى ورائى وقال أبو تمام الطائى

لا يمنعنك خفض العيش فى دعة * نزوع نفس الى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها * أهلا بأهل وجيرانا بجيران

وقال أبو الطيب
واطلب العز فى لظى وذر الذل * ولو كان فى جنان الخلود

وقال أيضا
انى أصاحب حلمى وهو بى كرم * ولا أصاحب جهلى وهو بى جبن
ولا أقيم على حال أذل به * ولا أسر بما عز رضى به درن

وقال أيضا
من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام
ذل من يغبط الذليل بعيش * رب عيش أخف منه الحمام

وقال أيضا
عش عزيزا أو مت وأنت كريم * بين طعن القنا وخفق البنود

وقال القرمطى الخارجى بالشام

(وأهمل وقيد وأرسل وأسند وبحث ونظر)
اما أن يكون أراد الحروف المهملة التى هى غير المقيدة بالنقط والشكل وعلى ذلك وضع الخليل كتاب النقط والشكل واما أن يكون أراد بالمهمل المطلق وعدل عنه اليه لموازنة قوله فى السجعة الثانية أرسل وأسند والمطلق ما لم يقيد (والمقيد) ما ضمن وصفا كقوله تعالى حرمت عليكم أمهاتكم الى قوله وأمهات نسائكم فأطلق وقال فى الربائب وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فقيد (والمرسل والمسند) ما اصطلح عليه فى علم الحديث فالمرسل عند المحدثين قول التابعى الكبير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وفعل كذا فهذا مرسل عندهم باتفاق وأما قول التابعى الصغير كالزهرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم يسمى مرسلا وقال قوم بل يسمى منقطعا لان أكثر رواياتهم عن التابعى وأما المسند فهو ما اتصل سنده من روايه الى منتهاه وفيه أقوال وينقسم الى صحيح وحسن وضعيف فالصحيح ما اتصل سنده برواية العدل الضابط عن مثله وسلم من شذوذ وعلة

أرى أن المنية بالمعالى ✻ أحب الى من ذل القعود

وقال ديك الجن

حتى أصادف مالا أو يقال فتى ✻ لاقى الردى بين أسياف وأرماح

وقال التهامى واذا الفتى ألف الهوان فبينى ✻ ما الفرق بين الكاب والانسان

موت الذليل كعيشة ويد الفتى ✻ شلاء أو مقطوعة سيان

وقال الارجانى ولم أغترب الا لأكتسب الغنى ✻ فأسقى منه كل ذى ظمأ سجلا

ويعلو الغمام الارض من أجل انه ✻ يسوق اليها وهى لن تبرح الوبلا

اذا ما قضت نفسى من العز حاجة ✻ فلست أبالى الدهر أمسى لها أم لا

وقال آخر حاولت أن ألقى الزمان بطبعه ✻ لولا الوفاء وشيمة لا تنقل

فى الارض متسع لنفس حرة ✻ ان تنب منزلة وعاها منزل

وقال ابن عنين فامامقاما يضرب الجد حوله ✻ سرادقه أو باكيا لحمام

فان أنا لم أبلغ مقاما أروم ✻ فكم حسرات فى نفوس كرام

✻(فادر أبهاء فى نحور البيد حافلة ✻ معارضات مثانى اللجم بالجدل)✻

(اللغة) ادر أفعل أمر من الدرء وهو الدفع ومنه قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها أى تدافعتم ومنه ادرؤا الحدود بالشبهات أى ادفعوا النحور جمع نحر وهو موضع القلادة فى الحلق وهو هنا مجاز استعاره للبيد والبيد جمع بيداء وهى المفازة ومنه باد الشئ يبيد أى هلك وأبادهم الله تعالى أى أهلكهم جافلة جفل اذا أسرع والجافل المنزعج واجفلت الريح فهى مجفل أى أسرعت وجافلة أيضا وأجفلت الريح التراب فهى مجفل أى أذهبته وطيرته وأنشد الاصمعى ✻وهاب كعثمان الحمامة أجفلت ✻ به ريح برح والصبا كل مجفل

وانجفل القوم أى انقلبوا كلهم فضوا مه معارضات تقول عارضته فى المسير اذا سرت حياله وعارضته بمثل ما صنع أى أتيت اليه بمثل ما أتى وعارضت كتابى بكتابه أى قابلته وذكرت هنا ما نظمته فى مليح قابل معى كتابا وهو

جئت خدك وردا ✻ غضا وقدك ذابل

فهات أنا كل وقت ✻ أجنى وأنت تقابل

أجنى هنا من الجناية ومن الجنى وتقابل من مقابلة المذنب بالعقوبة على جنايته ومن مقابلة الكتاب بغيره طلبا التصحيحه مثانى جمع مثنى من قولك جاء القوم مثنى مثنى أى اثنين اثنين ومثنى لا ينصرف لما فيه من العدل والصفة لانه عدل به عن اثنين اثنين فالعدل فيه تحقيقى قال الله تعالى أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع وقال تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع معناه اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة وقد تمسك بعض الرافضة بهذه الآية فجوز للرجل أن يتزوج بتسعة قال لان اثنين وثلاثة وأربعة جملتها تسعة ولأن النبى صلى الله عليه وسلم مات عن تسع نسوة وهذا كلام من لم يطعم ثمرة العربية لانك اذا قلت جاء القوم مثنى وثلاث ورباع معناه انهم جاؤا اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة فتنصب ذلك على الحال والحال هى التى تبين هيئة الفاعل أو المفعول فأنت تريد أن تبين كيف كان مجيئهم أى لم يجيئوا جماعة ولا فرادى فالله سبحانه وتعالى أبان ما أباحه من النكاح بقوله

والشاذ ما روته الثقة مما يكون مخالفا لما رواه الناس والمعتل ما فيه سبب قادح على نص ظاهره السلامة واما الحسن فهو ما عرف مخرجه واشتهر رجاله وقال بعضهم هو الذى فيه ضعف يحتمل ويصلح العمل به والضعيف كل حديث لم يجتمع فيه شروط الحديث الصحيح ولا الحسن المتقدم ذكرهما (والبحث) الكشف عن الشئ والطلب يقال بحثت عن الامر وبحثت كذا (والنظر) تقليب البصيرة لتأمل الامر مأخوذ من تقليب البصر لادراك الشئ

✻(وتصفح الاديان)✻

صفح الشئ عرضه كصفح الكتاب والوجه وتصفحته استعرضته وتأملت وجهه (والاديان) جمع دين وهو الشريعة والملة والاصل فى الدين الطاعة واستعير للشريعة للانقياد اليها والطاعة والمراد النظر فى مذاهب أهل الاديان وشرائعهم واختلاف فرقهم كالمسلمين والاسلام على ضربين أحدهما دون الايمان وهو الاعتراف باللسان وبه يحقن الدم ومنه قوله تعالى ولكن قولوا أسلمنا والثانى فوق الايمان وهو أن يكون مع

فانكحوا ما طاب لكم الخ أى اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة فلا يفهم من هذا الكلام الجمع بين المجموع وأما النبي صلى الله عليه وسلم فان ذلك من خواصه التي انفرد بها عن أمته ولم يشركوه فيها وذكر لى بعض الافاضل أن الشيخ نجم الدين بن الرفعة ذكر له تسعين خاصة وهذا تتبع كثير واطلاع مفرط وغالب خواصه صلى الله عليه وسلم فى النكاح وأمر الزوجات ولهذا ترى الفقهاء سردوها فى كتاب النكاح واختلف أهل العربية هل هذا العدد من الواحد الى العشرة أو هو ما نطق به القرآن الكريم فقط والصحيح أنه الى رباع حسب وقيل الى سداس وقيل الى عشار وأنشدوا فى ذلك شعرا يتضمن العدد الى عشار وأورده الحريرى فى درة الغواص وغيره وهل يقال موحد ومثلث ومربع الى العشرة ضعيف الى الغاية وقال الحريرى فى هذا الكتاب بعدما أورد قول ابى الطيب

أحاد أم سداس فى أحاد * ليلتنا المنوطة بالتناد

غلط أبو الطيب هنا فى عدة مواضع من هذا البيت الاول انه قال أحاد وسداس ولم يسمع فى الفصيح الا مثنى وثلاث ورباع والخلاف فى خماس وما بعده الى عشار الثانى انه صغر ليلة على ليلة وانما تصغر على لييلة الثالث انه صغرها والتصغير دليل القلة فكأنها قصيرة ثم قال المنوطة بالتناد ولا يكون شئ أطول منها حينئذ فناقض آخر كلامه أوله (قلت) ليس فى هذا تناقض لان التصغير فى كلام العرب على أربعة أنواع الاول تصغير التحقير كفليس ورجيل والثانى تصغير التقريب كقويق وبعيد وقبيل ودوين والثالث تصغير التحبيب كقولك ما أمليحه وما أحيسنه والرابع تصغير التعظيم كقولك انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وقال الشاعر

وكل اناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

فأبو الطيب صغر الليلة هنا للتعظيم لانه استطالها حتى جعلها منوطة بالتناد وقال النور الاسعردى مضمنا

ندمى لا تهزأ بمشمولة وان * بدا لك منها بهجة وشمائل
وراقك فيها رقة فى قوامها * ولاحت كشمس أضعفتها الاصائل
فلا تغترر منها بلين فانها * دويهية تصفر منها الانامل

وأنشدنى المولى بدر الدين حسن بن على الغزى من لفظه لنفسه فى الخمر

وصفراء حال المزج يصبغ ضوءها * اكف الندامى وهو فى الحال ناصل
وتهفو بألباب الرجال لانها * دويهية تصفر منها الانامل

(رجع اللجم) جمع لجام وهو فارسى معرب وهو للخليل بمثابة الزمام للنوق الجدل جمع الجديل وهو زمام الناقة المجدول من ادم تقول جدلت الحبل أجدله جدلا اذا أحكمت فتله وجارية مجدولة الخلق حسنة الجدل (الاعراب فادراً) ادرأ فعل أمر من درأت وقد تقدم الكلام على أفعال الامر من الثلاثى فالهمزة هنا ساكنة (بها) جار ومجرور والضمير يرجع الى الاينق فى البيت الذى قبله (فى نحور) فى حرف جر وهى ظرفية ونحور مجرور بها (البيد) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام (جافلة) منصوب على الحال من الضمير الذى يعود على الاينق (معارضات) منصوب على انه حال ثانية وعلامة نصبه كونه مكسورا لانه جمع مؤنث سالم

واحده

الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل والاستسلام لله تعالى فى كل ما قضى وقدر كقوله تعالى فى قصة ابراهيم أسلمت لرب العالمين والتصفح لمذاهب المسلمين وفرقهم كالمعتزلة والاشعرية والامامية وغير ذلك وكاليهود وفرقهم من العنانية والموسكانية والعرانية والقرائين والسامرية وما أشبه ذلك واسم اليهود مأخوذ من هاد الرجل اذا رجع وتاب وانما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام انا هدنا اليك أى رجعنا وتضرعنا وكان فى الاول اسم مدح ثم صار بعد نسخ شرائعهم ذما لهم والنصارى وفرقهم من الملكانية واليعقوبية والنسطورية والارمن والروم والمارونية وغيرهم واسم النصارى مأخوذ من قول عيسى عليه السلام من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ثم صار ذما لهم بعد نسخ شريعتهم أيضا وقيل مأخوذ من نسبتهم الى قرية يقال لها ناصران والمجوس وفرقهم من المكبرية والزرادشية وما أشبه ذلك وقد استوفى ابن حزم الكلام على جميع هذه الاصول والفروع فى الملل والنحل

واحده معارضة وهذا الجمع اذا كان بالالف والتاء اعرب بالضم فى حالة الرفع وبالكسر فى حالتى النصب والجر تقول جاءنى معارضات ورأيت معارضات ومررت بمعارضات وانما أعربوه هذا الاعراب ليقابلوا به الجمع المذكر السالم لما كان يعرب بالواو فى حالة الرفع وبالياء فى حالتى النصب والجر وانما أعربوا هذا الجمع المؤنث بالحركات دون الحروف لانه تقدم فى اعراب الجمع المذكر السالم ان الاعراب بالحركات هو الاصل والاعراب بالحروف هو الفرع والافراد هو الاصل والجمع هو الفرع فاعطوا الاصل للاصل والفرع للفرع فصار اعراب الجمع بالحروف هو الاصل ولما استقر ذلك قاعدة جاؤا الى الجمع المؤنث السالم فوجدوه فرعا على الجمع المذكر فلم يعطوه اعراب الاصل فى الجمع الذى هو بالحروف فاعطوه الاعراب الفرعى بالنسبة الى الجمع وهو بالحركات لانهم مالهم اعراب بغير هذين ولا يعربون ما جمع بالالف والتاء هذا الاعراب المخصوص الا ما له مذكر يعرب بالحروف كقولك مسلمون ومسلمات وقائمون وقائمات وكانهم ألحقوا باب الجمع المذكر السالم ما ليس منه مثل عالمون وعلمون وأرضون وسنون كذلك ألحقوا بهذا الباب ما ليس منه مثل عرفات واذرعات تقول هذه عرفات ورأيت عرفات ومررت بعرفات لانه لا يقال فى مذكره عرفون وهكذا أولات تقول جاءنى أولات حسن ورأيت أولات حسن ومررت بأولات حسن والاصل فى هذه التاء أن تكون أصلية للتأنيث فى المفرد مثل شجرة ومسلمة أما اذا كانت غير أصلية مثل رواة فانها تعرب على الاصل تقول هذه رواة ورأيت رواة ومررت برواة وان كانت لغير التأنيث أعربت على الاصل تقول هذه أبيات ورأيت أبياتا ومررت بابيات لان التاء فى المفرد لغير التأنيث ولقد رأيت جماعة من الفضلاء يكتبون بخطهم وقد نظم الملوك أبياتا فاذا أنكرنا ذلك عليهم يقولون قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك رحمه الله تعالى

وما بتا والف قد جمعا * يكسر فى الجر وفى النصب معا

فاقول لهم الشيخ قال ما جمع بالالف والتاء وهذا ليس منه لانها فى المفرد أصل فيقولون وكذلك مسلمة التاء فيه أصلية فاقول التاء الاصلية فى مسلمة حذفت فى الجمع وكان اصله مسلمات فاستثقل الجمع بين علامتى تأنيث فحذفت الاولى وعلى كل تقدير فلا بد لهذا الجمع أن يكون جمع مؤنث سالما وأبيات جمع مذكر مكسر غير سالم فلا يهتدون لما أقول (رجع مثانى اللحم) مثانى منصوب بمعارضات لانه اسم فاعل يعمل عمل الفعل اذا كان غير مضاف تقول هذا مكرم زيدا وزيد مكرم عمرو فتنصب المفعول اذا نونت وتجره اذا أضفت ولم يظهر النصب فى مثانى لانه يجوز ذلك فى المنقوص وهو من أحسن الضرورات ولكن الاصل فيه معارضات مثانى اللحم بفتح الياء والوزن اضطره الى سكونها (بالجدل) الباء حرف جر وهى للتعدية الفعل تقول عارضت كذا بكذا والجار والمجرور فى موضع النصب على انه مفعول ثان لمعارضات (المعنى) فادفع بالاينق الذلل فى نحور المفاوز والقفار سرعة غير ملتفتة و بجياد الخيل فعارض لحم تلك بازمتها سرعة هذه وهذا حث منه على اعمال الركاب وان يرمى بها فى نحور البيد سرعة تبارى بازمتها لحم الخيل فى مسيرها وهذا البيت مأخوذ من قول أبى الطيب

لا أبغض العيس لكنى وقيت بها * قلبى من الحزن أو جسمى من السقم
طردت من مصر أيديها بارجلها * حتى مرقن بها من جوش والعلم

(ورجع بين مذهبى مانى وغيلان)

(هو مانى بن ماش الثنوى) الذى تنسب اليه المانوية كان راهبا بنجران قائلا ببنوة المسيح معظما فى أساقفة النصارى محمود السيرة فيهم فزنى فسقطت مرتبته وكان له حسدة من بطارقة زمانه فوجدوا السبيل الى ما أرادوا منه فلما رأى حاله أخذ فى الرد على أصحابه وقال لم أزن ولكنهم حسدونى وأنكروا على الفتى لهم فى أصل دينهم اذ كانوا يقرون بالمسيح اللاهوتى رسول الشيطان وكان مانى فى الاصل مجوسيا عارفا بمذاهب القوم فاحدث دينا ودعا اليه وظهر فى أيام سابور ابن اردشير وتبعه خلق عظيم من المجوس وادعوا له النبوة ونسبوه لها الى ان قتل فى زمان بهرام ابن سابور كما سيأتى ذكره حدث البرنجى وغيره قال زعم مانى وأصحابه ان صانع العالم اثنان فاعل الخير نور وفاعل الشر ظلمة وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا حساسين سميعين بصيرين وهما مختلفان فى النفس والصورة متضادان فى الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل حسن نير ونفسه خيرة حليمة نفاعة منها الخير والسرور والصلاح وليس

تبرى بهن نعام الدو مسرجة * تعارض الجدل المسرخاة باللجم

وما أحسن قول أبي الطيب

وجرد مددنا بين آذانها القنا * فبتن خفافا يتبعن العواليا

تجاذب فرسان الصباح أعنة * كأن على الاعناق منها أفاعيا

وهذا تشبيه حسن في العنان وفيه زيادة معنى لان الخيل تجاذب الفرسان الاعنة فهي تطلب أمام وفرسانها تجذب أعنتها التخفيف السير عنها وأخذه ابن القيسراني فقال ومن خطه نقلت

وأسرى نعاس يممت كعبة الندى * فهم سجد فوق المذاكي وركع

على كل نشوان العنان كأنما * جرى في وريديه الرحيق المشعشع

شكائمها معقودة بسياطها * تخال بأيدينا أزاقم تلسع

ولمح هذا المعنى المولى صفي الدين بن عبد العزيز بن سرايا الحلي فانشدني لنفسه اجازة ومن خطه نقلت من أبيات

فقلت لاقال ولا سابق * عرفه السوط شقي العنان

فانظر اليه كيف نظر الى ذلك المعنى من طرف خفي واختلسه ثم زاده زيادة ملحة وهو انه عرفه السوط وما سمعت أحسن من هاتين الكنايتين في شقاوة العنان ورفاهية السوط وقد أخذ عبد الصمد بن بابك قول أبي الطيب في تشبيه العنان بالافعى وزاد عليه زيادة حسنة فقال في زمام الناقة

واقد أتيت اليك تحمل برتي * حرف يسكن طيشها الدألان

يتقي الزفير خطامها فكأنما * غار يحاول نقبه ثعبان

وقال أبو نواس في جذب الازمة

يثوى لانقاض أضربها * جذب البرى فخدودها صفر

فكأنه مصغ ليسمعه * بعض الحديث باذنه وقر

وقال ابراهيم بن المهدي

اذا جذبت بها الاتساع أصغت * كاصغاء النجي الى النجي

وقال ابو اسحق بن خفاجة

طاف الخيال به فأسرج ادهما * وسما السماك به فأشرع لهذما

وسرى يطير به عقاب كاسر * امسى يلاعب من عنان ارقما

وقال آخر

رجعة اسفار كأن زمامها * شجاع لدى يسرى الذراعين مطرق

(ان العلى حدثتني وهي صادقة * فيما تحدث ان العز في النقل)

(اللغة) العلى تقدم الكلام عليها الحديث الخبر يأتي على القليل والكثير العز ضد الذل النقل جمع نقلة وهي اسم للانتقال من موضع الى موضع (الاعراب ان) حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر وقد تقدم الكلام عليها في شرح قوله اني اريد طروق الحي البيت (العلى) اسم ان فهي منصوبة ولم يظهر النصب لانها مقصورة والالف واللام للعهد الذهني أو لما تقدم في اثناء القصيدة من ذكرها في مثل على قضاء حقوق للعلى قبلي (حدثتني) حدث فعل ماض والتاء علامة التأنيث وفاعله ضمير مستتر في حدثت عائد على العلى تقديره حدثت هي والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول وهي للتكلم والجملة في موضع رفع لانها خبر ان (وهي) الواو

منها من الشر شئ وجوهر الظلمة على ضد ذلك جميعه والنور مرتفع في ناحية الشمال والظلمة منحطة في ناحية الجنوب وزعموا أن لكل واحد منهما أجناسا خمسة أربعة منها أبدان وخامس هو الروح فابدان النور الاربعة النار والنور والريح والماء وروحها الشجر المتحرك في هذه الابدان وابدان الظلمة أربعة الحريق والقلام والسموم والضباب وروحها الدخان وسموا ابدان النور ملائكة وابدان الظلمة شياطين وبعضهم يقول أبدان النور تتولد ملائكة وابدان الظلمة تتولد شياطين وان النور لا يقدر على الشر ولا يجوز منه والظلمة لا تقدر على الخير ولا يجوز منها قال بعض المتكلمين والذي حملهم على هذا انهم رأوا في العالم شرا واختلافا فقالوا لا يكون من أصل واحد شيآن متضادان كما لا يكون في عنصر النار البرد والثلج وقد رد عليهم بعض العلماء في قولهم الصانع اثنان فقال لو كانا اثنين لم يخل من أن يكونا قادرين أو عاجزين أو أحدهما قادرا والاخر عاجزا لا جائز أن يكونا عاجزين لان العجز يمنع ثبوت الالهية ولا يجوز ان يكون أحدهما عاجزا

واو الابتداء وهي ضمير مرفوع المحل على الابتداء راجع الى العلى (صادقة) خبرها (فيما) في حرف جر وهي ظرفية تتعلق بحدثتني وما اسم ناقص بمعنى الذي لا يتم الا بصلة وعائد وهو في موضع جر (تحدث) فعل مضارع وهو صلة ما التي تقدمت والعائد محذوف لانه فضلة تقديره فيما تحدثه (ان العز) ان واسمها وهي هنا مكسورة لانها محكية (في النقل) في حرف جر وهي للظرف معنى والنقل مجرور بها والجار والمجرور يتعلق بمحذوف هو خبر ان تقديره ان العز مستقر في النقل وقوله ان العز وما بعده في موضع النصب على انه مفعول حدثتني وهو مفعول ثان وقوله وهي صادقة جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب اعترضت بين قوله حدثتني وبين قوله فيما تحدث (المعنى) ان العلى حدثتني وهي صادقة فيما حدثت من الاخبار ان العز موجود في النقل من مكان الى مكان والاغتراب من مكان نبا بساكنه الى مكان يلائمه ويوافقه وينال فيه المعالي وقد اكثر الشعراء في الحث على الانتقال والحركة قال ابو تمام

وطول مقام المرء في الحي مخلق * لديباجتيه فاغترب تتجدد
فاني رأيت الشمس زيدت محبة * الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد

وقال ابو الغنائم محمد بن المعلم

سرطا لبا غاياتها اما ترى * فوق الثريا او ترى تحت الثرى
لا تخلدن الى المقام فانما * سير الهلال قضى له ان يقمرا
لا تبك دارا فارقتها من ان دعا * دمعا عصاه وان دعاه دما جرى
اين الكناس من العرين واين غز * لان اللاوي في الجدد من اسد الشرى
لو ينتج الوطن العلى ما سار عن * غمدان سيد حمير مستنصرا
ولو استتم بمكة لمحمد * ما رام لم ينصب بيثرب منبرا
والليث لو وجد الفريسة رابضا * اوناهضا في خيسه ما اسحرا
لا عار في بيع النفوس على الردى * عندي اذا كان العلاء المشترى
حتام حظي في الوهاد وحظ أصحاب الدناءة في الشواهق والذرى
ما الجبن يحمي الجاه ولا أرى الاقدام يجلب لي سوى ما قدرا
لابد منها وثبة تعرى الظبا * فيها وتكسو الجو فيها العثيرا
أشكو الى الايام ما ألقى لها * وجها على تلوينها مستبشرا
ما عذر من لم يلق وجها أبيضا * ممن ان لم يلق يوما أحمرا

أثبت هذه الابيات على طولها وان كان بعضها ماله تعلق بهذا البيت على الخصوص لان لها علاقة بالقصيدة على العموم ومن كلام الحكمة ان الله لم يجمع منافع الدنيا في أرض بل فرقها وأحوج بعضها الى بعض وقيل المسافر يجمع المحائب ويكسب التجارب ويجلب المكاسب وقيل الاسفار مما تزيد علما بقدرة الله وحكمته وتدعو الى شكر نعمته وقيل ليس بينك وبين بلد نسب خير البلاد ما حملك وقال ابن الساعاتي

أهلك والليل مضى أجملك * ثم خير البلاد ما حملك
لا خير في بقعة تروق من الأرض اذا لم تنل بها أملك
حتام لا تعمل الجياد ولا * تعمل في أم غاية ابلك

فبقي ان يقال هما قادران فيتصور ان أحدهما يريد تحريك هذا الجسم في حالة يريد الآخر تسكينه فيها ومن المحال وجود ما يريدانه فان تم مراد أحدهما ثبت عجز الآخر ورد عليهم آخر في قولهم ان النور يفعل الخير والظلمة تفعل الشر بأنه لو هرب مظلوم فاستتر بالظلمة فهذا خير وقع في شر ومن ههنا أخذ المتنبي فقال

وكم لظلام الليل عندي من يد
تخبر أن المانوية تكذب

وقال الجاحظ المانوية تزعم ان العالم لما فيه مركب من عشرة أجزاء يعني أجناسا خمسة منها خير ونور وخمسة منها شر وظلمة والانسان مركب من جميعها فحتى تظر نظرة رحمة فتلك النظرة من الخير والنور وحتى ينظر نظرة قسوة فتلك النظرة من الشر والظلمة وكذلك جميع الحواس وكان المأمون يسأل المانوية عن مسئلة قريبة المأخذ قاطعة ناظر أحدهم فقال أسألك عن حرفين فقط هل ندم موسى على اساءته قال بلى قد ندم كثيرا قال فخبرني عن الندم على الاساءة اساءة أم هو احسان قال احسان قال فالذي ندم هو الذي أساء قال نعم قال فاري

لقد تربصت خيفة الاجل الـ ـحتوم لوكان دافعا أجلك
وحبذا ذاك لو وجدت فتى * أفضل يوما عليك أو فضلك

وقال ابن قلاقس

سافر اذا حاولت قدرا * سار الهلال فصار بدرا
والماء يكسب ما جرى * طيبا ويخبث ما استقرا
وينقـله الدرر النفيسة بدلت بالبحر نحرا

وأخذه بعضهم فقال

تنقل ركابك فى الفلا * ودع الغوانى فى القصور
لولا التنقل ما ارتقى * در البحور الى النحور
ما الماكثون بأرضهم * الا كسكان القبور

وقال أيضا

شرف جاوز العلى ومن العا * رض ما انحط عن رؤس الجبال
كيف لا أسرع التنقل والمشـ ـهور للبدر سرعة الانتقال

وقال أيضا

ان مقام المرء فى بيتـه * مثل مقام الميت فى لحده
فواصل الرحلة نحو الغنى * فالسيف لا يقطع فى غمده
والنار لا يحرق مشبوبها * الا اذا ما طار عن زنده

وقال آخر

ليس ارتحالك ترتاد الغنى سفرا * بل المقام على خسف هو السفر

وقال أبو الفرج بن هندو

صح تحيك العلى الى الغايات * ما غنى الاسود فى الغابات
لا يرد الردى لزوم بيـوت * لا ولا يقتضيه جوب فلاة
مولد الدر حمأة فاذ اسا * فرحلى القيعان واللبات
اف للدهر ما ينى يتعس الفا * ضل فى بدئه وفى العقبات
يسكن المسك سرة الظبى بدأ * ثم تصليه جمرة الوقدات

وقال ابن قلاقس

والصغير الحقير يسمو به السيـ ـر فيعنوله الكبير الجليل
فرزن البيدق التنقل حتى انحط عنه فى قيمة الدست فيل

وقال أبو الفضل التميمى

دعنى أسر فى البلاد ملتمسا * فضـلة مال ان لم يفسر زانا
فبيدق الرخ وهو أيسرما * فى الدست ان سار صار فرزانا

وذكرت هنا أبياتا لابن الرومى فيمن يلعب بالشطرنج غائبا وهى

غلط الناس لست تلعب بالشـ ـطرنج لكن بأنفس اللعباء
غير ما ناظر بعينيك فى الدسـ ـت ولا مقبل على الرسلاء

صاحب الخبر هو صاحب الشرط وقد بطل قولكم ان الذى ينظر نظر الوعيد غير الذى ينظر نظر الرحمة قال فان الذى أزعم ان الذى أساء غير الذى ندم قال فندم على شئ كان من غيره أو على شئ كان منه فقطعه بهذه الحجة ولمانى وأصحابه فى امتزاج النور والظلمة وحدوث الشمس والقمر والنجوم لاستصفاء النور من الظلمة الى أن لا يبقى شئ منه فى هذا العالم وتغطبق السماء على الارض ويرجع كل شكل الى شكله أقوال عجيبة الى غير ذلك من انه لا يرى المنا كح يستعجل فناء العالم ويسرع بجمع الاشكال ولم تزل اتباعه تكثر وشوكته تعظم الى أن أحضره بهرام بن يزدجرد قيل سابور وأراد قتله باتفاق الموابذة فامر أدرياد موبذ موبذان بان يناظره فناظره فى مسئلة قطع النسل وتعجيل فراغ العالم فقال الموبذ أنت الذى تزعم وتقول بتحريم النكاح تستعجل فناء العالم ويرجع كل شكل الى شكله وان ذلك حق واجب فقال مانى واجب أن يعاون النور على خلاصه بقطع النسل مما هو فيه من الامتزاج فقال له أدرياد فمن الواجب أن يعجل لك هذا الخلاص الذى

بل تراها وأنت مستدبر الظهـ ـر بقلب مصور من ذكاء
مارأينا خصما سواك يولى * وهو يردى فوارس الهيجاء

وقال أبو اسحق في المهذب في كتاب الشهادات ان سعيد بن جبير كان يلعب الشطرنج ذكره في فضل اللعب بالشطرنج وقد رأيت أنا غير مرة بالديار المصرية شخصا متجندا يعرف بعلاء الدين بن قيران وهو أعمى يلعب بالشطرنج مع العوالي ويحطهم ويغلبهم وما راعى فيه الا انه يقعد ويتحدث وينشدنا الاشعار ويحكي كل منا حكاية في شأنه وهو يشارك فيما نحن فيه ويدع اللعب ويقوم الى الخلاء ويحضر ولم يغب عنه شيء مما هو فيه وهذا غريب وهو مشهور بالقاهرة لا يكاد يجهله من يلعب بالشطرنج الا أنا قد لائل ورأيت غير مرة أيضا بدمشق سنة احدى وثلاثين وسبعمائة شخصا يعرف بالنظام العجمي وهو يلعب الشطرنج غائبا في مجلس الصاحب شمس الدين وأول ما رأيته لعب مع الشيخ أمين الدين سليمان رئيس الاطباء وكان طبقة فغلبه مستدبرا ولم يشعر به حتى ضربه شاه مات بالفيل ولم يره حتى التفت الينا وقال مات وحكي لي أنه كان يلعب غائبا على رقعتين وحكي لي عنه صاحبنا المولى بدر الدين حسن الغزي انه رآه يلعب على رقعتين غائبا وقد امه رقعة يلعب فيها حاضرا وغلب في الثلاث والعهدة في ذلك عليه اه وكان الصاحب شمس الدين يدعه في وسط الدست ويقول له عدلنا قطعك وقطع غريمك فيسردها جميعا كأنه يراها بين يديه وأنشأ فيه المولى جمال الدين محمد بن نباتة مقامة بديعة ختمها بقوله

لله في الشطرنج فكرة لاعب * ان غاب أو حضرا جتنبت حدائقه
شكرته نفس اللعب أو نفس التهى * هاتيك صامتة وهذي ناطقه

وبقوله أيضا

ولاعب يعرف شطرنجه * عن فهمه المقتدا الصائب
يغيب لكن ذهنه حاكم * ياحبذا من حاكم غائب

قلت كذا رأيته ولو قال ياحسنه أو ياعجبا لسلم من حذف فاعل حب الذي هو بدل من ذا وهو غير جائز وأنشدني من لفظه لنفسه ملغزا في الشطرنج

وما صامت يمضي ويرجع مفكرا * ويقضي على أوصاله الوصل والصد
كان الضنا آلى عليه ألية * فما فيه الا النقس والعظم والجلد
وأحرفه خمس وأكثر شطره * ثلاثة أخماس الحروف التي تبدو

وقال بعضهم ملغزا فيه أيضا

وما اسم ثلاثة أخماسه * هو الشطر منه ومن غيره
وباقيه ان رمت معكوسه * قطعت رجاءك من خيره

وما أحسن قول أبي الحسين الجزار ملغزا فيه أيضا

وما شيء له نفس ونفس * ويؤكل عظمه ويجك جلده
يؤديه الفتى ادراك سؤال * وقد يلقى به مالا يوده
ويؤخذ منه أكثره بحق * ولكن عند آخره يرده

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

تدعو اليه وتعان على ابطال هذا الامتزاج المذموم فانقطع ماني فارتجهرام بصلبه على الخشب فجعل يصيح ويقول أيها المعبود النوراني بلغت ما أمرتني به وهذه عادتهم في وفي أمثالي وأنت الحكيم وها انا الآن ماثل اليك وما آذيت صامتا ولا ناطقا فتبارك أنت وعالمك النوراني الازلي فكان آخر قوله ثم ملأ جلده تبنا وكان بهرام في الاول قد أظهر متابعته حتى أحاط علما بمن تبعه فلما قتله أمر بقتل أصحابه ثم ظهر من يسلك مسلكهم في الاسلام بشر عظيم يسمون الزنادقة قتلهم المهدي وأبادهم * وأما غيلان فهو ابن يونس القدري الدمشقي كان أبوه مولى لعثمان بن عفان وغيلان أول من تكلم في القدر وخلق القرآن في الاسلام وقيل أول من تكلم في القدر رجل من أهل العراق كان نصرانيا فاسلم ثم تنصر واخذ عنه معبد الجهني وغيلان الدمشقي وروي ان مكحولا قال لغيلان ويلك ياغيلان ألم أجدك ترامي النساء بالسفاح في شهر رمضان ثم صرت حارثيا تخدم امرأة الجرن الكذاب وتزعم انها أم المؤمنين ثم

أشكوا السقام وتشكو مثله امراتى * فنحن فى الفرش والاعضاء ترتج
نفسان والعظم فى قطع يجمعنا * كأننا نحن فى التمثيل شطرنج

وللك فى لفظ الشطرنج لغتان بالشين المعجمة وهو الافصح لانه مأخوذ من الشطر لان كل لاعب له شطر من القطع و بالسين المهملة لانه مأخوذ من تسطير الرقعة بيوتا وان ألحقته بأوزان العربية كسرت أوله فقلت شطرنج لان فعلل فى العربية له نظير مثل قرطعب والصحيح ان هذه لفظة أعجمية كذا جاءت وأصله بالعجمية شش رنك معناه ستة ألوان وهى الشاه والفرزو والفيل والفرس والرخ والبيدق يقال ان بعضهم سمع آخر يقول باسماء هات الشطرنج من تحت السجرة بالسين المهملة فى الجميع فقال خيبت على النحوى تسع نقط وكثير من الناس يغلط فى الصولى وهو أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين الكاتب ويزعم انه واضع الشطرنج لما ضرب به المثل فيه والصحيح ان واضعه صصه بن داهر الهندى كان أردشير بن بابك أول ملوك الفرس الاخير قد وضع النرد ولذلك قيل له نرد شير جعله مثالا للدنيا وأهلها فرتب الرقعة اثنى عشر بيتا بعدد شهور السنة والمهارك ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر والفصوص مثل الافلاك ورميها مثل تقلبها ودورانها والنقط فيها بعدد الكواكب السيارة كل وجهين منها سبعة الشش ويقابله السبك والبنج ويقابله الدو والجهار ويقابله السه وجعل ما يأتى به اللاعب من النقوش كالقضاء والقدر تارة له وتارة عليه وهو يصرف المهارك على ما جاءت به النقوش لكنه اذا كان عنده حسن نظر عرف كيف يتأتى ويتحيل على الغلب وقهر خصمه مع الوقوف عند ما حكمت به الفصوص وهذا هو مذهب الاشاعرة وأخبرنى من أثق به أن الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله كان يقول اللعب بالنرد خير من اللعب بالشطرنج لان لاعبه يعترف بالقضاء والقدر والشطرنج لاعبه ينفى ذلك فهو اقرب الى الاعتزال أو كما قال وما أحسن قول الحكيم شمس الدين بن محمد بن دانيال من قصيدته اللامية

وفى الفصوص لعبنا * منقل كالمثل
تسلوح فى أكفنا * كالجوهر المفصل
تفعل فيما بيننا * فعل القضا فى الدول

ولابى عبد الله محمد بن أحمد الخياط بدمشق قصيدة سينية يصف فيها النرد أبدع فيها فلما وضع أردشير ذلك افتخرت به الفرس وكان ملك الهند يومئذ بلهيت فوضع له صصه المذكور الشطرنج فقضت حكماء ذلك العصر بتفضيله ولما عرضه على الملك وأوضح له أمره سأله أن يبنى عليه فبنى عليه عدد تضعيفه فحاسبوا صغار الملك ذلك من همته وأنكر عليه ما قابله به من طلب النزر القليل فى ذلك المقام فقال ما أريد غير ذلك فأمر له به فلما حسبه أرباب الديوان قالوا للملك ما عندنا ما يقارب القليل منه فأنكر ذلك فأوضحوه له بالبرهان فأعجبه الامر الثانى أكثر من الاول قال القاضى شمس الدين أحمد ابن خلكان رحمه الله تعالى ولقد كان فى نفسى من هذه المبالغة شئ حتى اجتمع بى بعض حساب الاسكندرية وذكر لى طريقا تبين صحة ما ذكروه وأحضر لى ورقة بصحة ذلك وهو انه ضاعف الاعداد الى البيت السادس عشر فثبت فيها اثنين وثلاثين الفا وسبعمائة وثمانية وستين حبة وقال تجعل هذه الجملة مقدار قدح وقد

تحولت بعد ذلك قديا زنديقا
وروى أن غيلان وقف يوما على ربيعة فقال له أنت الذى تزعم أن الله يحب أن يعصى فقال لربيعة أنت الذى تزعم أن الله يعصى قسرا وقيل لغيلان من كان أشد عليك قال عمر بن عبد العزيز كأنما كان يلقن من السماء وحكى ابن مهاجر قال بلغ عمر بن عبد العزيز أن غيلان وفلانا تطقا فى القدر فأرسل اليهما وقال ما الامر الذى تتطقان به فقالا هو ما قال الله يا أمير المؤمنين قال وما قال الله قالا قال هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا ثم قال انا هدينا ه السبيل اما شاكرا واما كفورا ثم سكتا فقال عمر اقرآ فقرآ حتى بلغا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا أن يشاء الله الى آخر السورة قال كيف تريان يا بنى الاتانة تأخذان الفروع وتدعان الاصول قال ابن مهاجر ثم بلغ عمر بن عبد العزيز انهما أسرفا فأرسل اليهما وهو مغضب فقام عمرو كنت خلفه قائما حتى دخلا عليه وأنا مستقبلهما فقال لهما ألم يكن فى سابق علم الله حين أمر الله ابليس بالسجود أن لا يسجد قال فاومأت اليهما

عبرتها فكان الامر كما ذكره والعهدة عليه فى ذلك النقل ثم ضاعف السابع عشر الى البيت العشرين فكان فيه وبية ثم انتقل من الويبات الى الاردب ولم يزل يضعفها حتى انتهى فى البيت الاربعين الى مائة ألف اردب وأربعة وسبعين ألف اردب وسبعمائة واثنين وستين اردبا وثلثى اردب وهذا المقدار شونة ثم انه ضاعف الشون الى بيت الخمسين فكانت الجملة ألفا وأربعة وعشرين شونة وهذا المقدار مدينة ثم انه ضاعف ذلك الى البيت الرابع والستين وهو آخر الابيات فكانت الجملة ستة عشر ألف مدينة وثلاثمائة وأربعا وثمانين مدينة وقال تعلم انه ليس فى الدنيا مدن أكثر من هذا العدد انتهى قلت آخر ما اقتضاه تضعيف رقعة الشطرنج ثمانية عشر ألف ألف ستة مرات وأربعمائة وستة وأربعون ألفا خمس مرات وسبعمائة وأربعة وأربعون ألفا أربع مرات وثلاثة وسبعون ألفا ثلاث مرات وسبعمائة وتسعة آلاف ألف مرتين وخمسمائة واحد وخمسون ألفا وسبعمائة وخمسة عشر حبة عددا واثنى فى من لفظه الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى بيتا واحدا يضبط هذا العدد وهو هذا

ان رمت تضعيف شطرنج فجملته

ها و اهه طعجز مـــد ز و د د ها

١ ٨ ٤ ٤ ٦ ٧ ٤ ٤ ٠ ٧ ٣ ٧ ٠ ٩ ٥ ٥ ١ ٦ ١ ٥

وقال انها اذا جمع هذا العدد هرما واحدا مكعبا كان طوله ستين ميلا وعرضه كذلك وارتفاعه كذلك بالميل الذى هو أربعة آلاف ذراع بالعمل الذى هو ثلاثة أشبار معتدلة على ان الاردب المصرى مساحته مذراع مكعب ووزنه مائتان وأربعون رطلا وكل رطل مائة وأربعة وأربعون درهما والدرهم أربعة وستون حبة من القمح وكل بيت اذا ربعنا ما فيه من العدد حصل من مربعه ما يجب أن يكون فى البيت الذى عدده كضعف ذلك البيت الا واحدا فاذا ربعنا ما حصل فى الثالث مثلا حصل ما فى الخامس واذا ربعنا ما حصل فى الخامس حصل ما فى التاسع فاذا ربعناه حصل ما فى السابع عشر فاذا ربعنا حصل ما فى الثالث والثلاثين فاذا ربعناه حصل ما فى الخامس والستين فاذا انقصنا منه واحدا كان الباقى جملة ما فى البيوت كلها الى البيت الرابع والستين وان نصفناه قبل أن ينقص منه واحد كان نصفه حاصل البيت الرابع والستين وبهذا العمل يحصل تضعيف رقعة الشطرنج من خمس ضربات اه كلامه وحكى لى من لفظه المولى رشيد الدين يوسف بن أبى البيان قال قال لى الشيخ تقى الدين أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى يا رشيد الدين قال ابن حزم أول كذبة كذبها بنو اسرائيل انهم دخلوا مصر اثنين وسبعين نفسا فى زمن يوسف عليه السلام وخرجوا مع موسى بن عمران عليه السلام ستمائة ألف قال فقلت له هذا ابن حزم من الصحابة قال لا قلت ولا من التابعين قال لا قلت هذا ابن حزم ما كان يدرى ان اثنين واثنين أربعة فقال لا شئ قلت ما يعلم سيدنا ان رقعة الشطرنج أربعة وستون بيتا فاذا ضعفناها من واحد انتهت الاعداد الى كذا وكذا وذكر العدد الذى حصل هناك ومع ذلك فبنو اسرائيل انما عدوا الرجال وأما النساء والصبيان والاشياخ الذين بلغوا الحرم فلم يذكروهم قال فسكت الشيخ تقى الدين رحمه الله انتهى فقلت أنا له يا مولاى رشيد الدين قوم يخرجون فى عدة ألف ألف

برأسى أن قولا نعم والا فهو الذبح فقالا نعم فقال أولم يكن فى سابق علم الله حين نهى آدم وحواء عن الشجرة أن يأكلا منها فألهمهما أن يأكلا منها فأومأت اليهما برأسى فقالا نعم فأمر باخراجهما وأمر بالكتاب الى سائر الاعمال بخلاف ما يقولان وأمسكا من الكلام فلم يلبثا الا يسيرا حتى مرض عمر ومات ولم يغد الكتاب وسأل بعد ذلك منهما السيل وكان غيلان قد تاب على يد عمر بن عبد العزيز فقال عمر اللهم ان كان كاذبا فلا تمته حتى تذيقه حر السيف فقطعت يداه ورجلاه وصلب فى أيام هشام بن عبد الملك حين قال يا غيلان ما هذه المقالة التى بلغتنى عنك فى القدر فقال يا أمير المؤمنين هو ما بلغك فأحضر من أحبت يحاجنى فان غلبتنى ضربت رقبتى فأحضر الاوزاعى فقال له الاوزاعى يا غيلان ان شئت ألقيت عليك سبعا وان شئت خمسا وان شئت ثلاثا فقال ألق ثلاثا فقال له أقضى الله على عبد ما نهى عنه قال ما أدرى ما تقول قال فأمر الله بما رحال دونه قال هذه اشد من الاولى قال فحرم الله حراما تم أحله قال ما أدرى ما تقول قال فأمر به هشام

نفس على القليل هاربين على وجوههم من فرعون على ماذا حملوا زادهم وأى ماء اذا نزلوا عليه يقوم بكفايتهم هذا بعيد من العادة فلم يحر جوا باقلت له أنا أتبرع لك بالجواب وهو انهم كان معهم موسى عليه الصلاة والسلام وبيده العصا التى يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا وعناية الله بهم تحملهم وتعينهم على ما يحتاجون اليه من كل شئ وعلى الجملة فالذى استبعده ابن حزم لا ينكر لان هذا عدد كثير على ما يزعمون (رجع الى ذكر الشطرنج) وانما يذكر الصولى ويضرب به المثل لانه أجاد اللعب به وبلغ الغاية لا لانه واضعه حكى المسعودى فى مروج الذهب ان الامام الراضى بالله أتى فى بعض منتزهاته بستانا مونقا وزهرا رائقا فقال لمن حضره ممن كان من ندمائه هل رأيتم منظرا أحسن من هذا فكل أنشأ يصف محاسنه وانه لا يفى بها شئ من زهرات الدنيا فقال الراضى لعب الصولى بالشطرنج احسن من هذا ومن كل ما تصفون وقيل انه لما دخل الصولى على الامام المكتفى فى أول أمره كان عنده انسان يعرف بالماوردى قد ألفه المكتفى زمانا فلعبا بين يديه وأخذ المكتفى يزهر الماوردى ويشجعه وينصره حتى دهش الصولى فلما اتصل اللعب بينهما ورأى اجادة الصولى قال للماوردى عد ما عليك وردك بولا ويقال فضائل الهند ثلاثة سبقوا بها من سواهم من الناس كتاب كليلة ودمنة ولعبة الشطرنج والتسعة أحرف التى تجمع أنواع الحساب وما أحسن قول ابن القيسرانى ومن خطه نقلت

وقد اختصرت لك الثناء ورب ما * وافاك بالمقصود صدر ملطف
هذا الحساب يفوت أوهام الورى * ويحوزه الهندى بتسعة أحرف

ورأيت أنا بعض الاصحاب يأخذ قطع الشطرنج يرصها رصا مخصوصا صورة دائرة ويدعى أن مركبا كان على ظهر البحر الاعظم فى اللجة وفيه مسلمون وكفار فاشرفوا على الغرق وأرادوا أن يرموا بعضهم الى البحر ليخف المركب فينجو بعضهم ويسلم المركب فقالوا نقترع ومن وقعت القرعة عليه ألقيناه فنظر الرئيس اليهم وهم جالسون على هذه الصورة فقال ليس هذا حكما مرضيا وانما الحكم أنا نعد الجماعة فكل من كان تاسعا ألقيناه فارتضوا بذلك ولم يزل يعدهم ويلقى التاسع فالتاسع الى أن ألقى الكفار أجمعين وسلم المسلمون وهذه صورة ذلك

نقطعت يداه ورجلاه فمات وقيل صلب حيا على باب كيسان بدمشق ثم قال هشام للأوزاعى يا أبا عمرو فسر لنا ما قلت قال قضى الله على عبد ما نهى عنه بنى آدم أن يأكل من الشجرة ثم قضى عليه فأكل منها وأمر ابليس أن يسجد لآدم وحال بين ابليس والسجود وقال حرمت عليكم الميتة ثم قال فمن اضطر فأحلها بعد ما حرمها ومن كان يميل الى هذا المذهب أيضا غيلان وهو ذو الرمة الشاعر قال اختصم ذو الرمة ورؤبة الراجز عند بلال بن أبى بردة فقال رؤبة والله ما خص طائر أخوصا ولا تقرمص بيض قرموصا الا بقضاء من الله وقدر فقال ذو الرمة والله ما قدر الله على الذئب أن يأكل حلوبة عيائل ضرائك فقال رؤبة أفبقدرته أكلها هذا كذب على الذئب فقال ذو الرمة الكذب على الذئب خير من الكذب على رب العالمين * قوله عيائل جمع عيل وهو ذو العيال وضرائك جمع ضريك وهو الفقير وعن اسحق بن سعد قال أنشدنى ذو الرمة قوله وعينان قال الله كونا فكانتا * عوانا بالالباب ما يفعل الخمر فقلت له فعولين خبر الكون

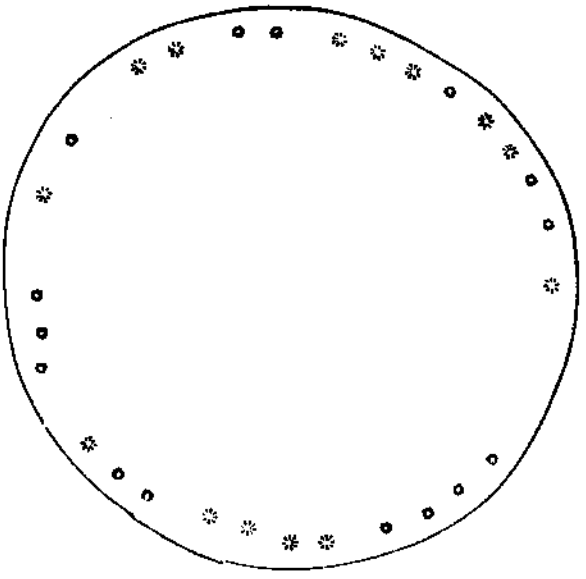

والمسلمون هم الحمر وابتداء العدد منهم أولا ويبتدئ من أول الاربعة الحمر الى جهة الشمال فينتهي التاسع الى آخر السود الخمسة ثم يبتدئ من الاحمرين بالعدد وهكذا الى أن تلقى السود باجمعها ولقد ذكرتها نور الدين علي بن اسمعيل الصفدي وهو من الذكاء في الغاية فاعجبته وأخذ يكررها مدة فيقول أربعة مسلمون ثم خمسة كفار ثم مسلمان ثم كافر وهكذا الى أن ينتهي العدد ثم يعود يريد بذلك حفظ ترتيبها فقلت له هذا متعب وقد يشذ عنك وقت الحاجة فقال كيف أصنع بحفظ هذا الترتيب فلما رأيت تشوقه لذلك قلت له الضابط في هذه بيت واحد تجعل حروفه المعجمة للكفار والمهملة للمسلمين وهو

ولما فتنت بلحظ له * عذلت فما خفت من شامت

فلما امتحن ذلك وصح قال لي كشفت عني غمة وبعضهم يحفظ له بيتا آخر وهو

الله يقضي بكل يسر * ويرزق الضيف حيث كانا

ولك أن تقيد ذلك بحروف الجمل فتقول

دهبا جا أبجا بيا

١٢٥٤ ١٣ ٢٢٢١ ١٢٢١

وذلك أربعة وخمسة واثنان وواحد وثلاثة وواحد وواحد واثنان واثنان وثلاثة وواحد واثنان واثنان وواحد ورأيت من يضع وفقا على عدد بيوت الرقعة ويضع في أبياته اعدادا مخصوصة فيحصل من مجموعها وفق كيفما عددته من اليمين الى الشمال وبالعكس أو من فوق الى أسفل وبالعكس أو من قطريه تجده مائتين وستين عددا لا يختلف وفي أربعة أو كانه أربعة أوفاق كل منها وفق بذاته على نقل الفرزان وهذه صورته

علامة المسلمين هذا الدائرة التي باطنها أبيض وما عداها علامة الكفار وذلك لعدم وجود الاحمر الذي نبه عليه المؤلف في الصفحة التي تلي هذه اه

فقال لي لو سبحت ربحت انما قلت فعولان وانما تحرز ذو الرقة بهذا الكلام عن القول بخلاف مذهبه والله تعالى أعلم بالصواب

(وأشار بذبح الجعد)

(أما الجعد) فهو ابن درهم مولى بني الحكم كان يسكن دمشق ويعلم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية فنسب اليه وقيل مروان الجعدي ويروى أن أم مروان كانت أمة وكان الجعد أخاها وهو أول من تكلم بخلق القرآن من امة محمد بدمشق ثم طلب فهرب ثم نزل الكوفة فتعلم منه الجهم بن صفوان القول الذي نسب اليه الجهمية وقيل ان الجعد أخذ ذلك من أبان بن سمعان وأخذه أبان من طالوت بن أعصم اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول بخلق القرآن وكان طالوت زنديقا وهو أول من صنف لهم في ذلك ثم أظهره الجعد بن درهم فقتله خالد بن عبد الله القسري يوم الاضحى بالكوفة

وكان واليا عليها أتى به فى الوثاق فصلى وخطب ثم قال فى آخر خطبته انصرفوا وضحوا بضحاياكم تقبل الله منا ومنكم فانى اريد اليوم أن أضحى بالجعد بن درهم فانه يقول ما كلم الله موسى تكليما ولا اتخذ الله ابراهيم خليلا تعالى الله عما يقول علوا كبيرا ثم نزل وخز راسه بالسكين بيده وطفئت نار تنتنه الى أن نشأت فى أيام ابن أبى داود وأما خالد فهو ابن عبد الله بن يزيد بن أسد القشيرى البجلى كان من أمراء الدولة الاموية ولى اليمن ومكة من قبل الوليد ابن عبد الملك وولاه هشام العراقين بعد عمر بن هبيرة وله مكايدات وأخبار فمن أعجبها ما حكى أن ابن هبيرة لما هرب من سجن خالد ووفد على هشام وأمنه أرسل خالد فائتهم الخيل فى المضمار فدانتجها وأمر السواس ان يعارضوا بها هشاما اذا ركب وكان هشام معجبا بالخيل لا يشتهى ان يكون عند غيره من جيدها شئ فلما ركب هشام ورأى خيلا راقته فسأل القوم عنها لمن هى فقالوا لابن هبيرة فاستشاط غضبا وقال واعجبى لختان ما الختان ثم قدم فوالله ما رضيت عنه بعدوهو يوائمنى

٨	٧	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٢	١
١٦	١٥	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	١٠	٩
٤١	٤٢	٢٢	٢١	٢٠	١٩	٤٧	٤٨
٣٣	٣٤	٣٠	٢٩	٢٨	٢٧	٣٩	٤٠
٢٥	٢٦	٣٨	٣٧	٣٦	٣٥	٣١	٣٢
١٧	١٨	٤٦	٤٥	٤٤	٤٣	٢٣	٢٤
٥٦	٥٥	١١	١٢	١٣	١٤	٥٠	٤٩
٦٤	٦٣	٣	٤	٥	٦	٥٨	٥٧

وقيل ان المأمون كان لا يجيد اللعب بالشطرنج ويقول عجبا منى كيف أدبر ملك الارض ولا أحسن تدبير رقعة ذراعين فى ذراعين وقال النورالاسعردى

أعييت اذ لاعبت بالشطرنج من * أهوى فابدى خده توريدا
وغدا لفرط الفكر يضرب أرضه * بقطاعة لما انثنى مجهودا
فطفقت أنشده هناك معرضا * وجوانحى فيه تذوب صدودا
رفقا بهن فما خلقن حديدا * أوما تراها أعظما وجلودا

وقال محمد بن شرف القيروانى فى مدح الشطرنج حرب سجال وخيل عجال وفرسان ورجال قريبة الآجال سريعة عودة الجمال تستغرق الفكره وتسلب اللب استلاب السكره وتترك اللسان وما أراد اساءة أو أجاد الا انها تدنى مجلس الصعلوك من أشراف الملوك حتى لا يكون بينهما فى أقرب بقعه الا عرض الرقعه وربما التقت ثيابهما فى بيت القطعه ولسانهما على بيت القطعه لعب أصولى وغريب صولى قرلجاجى ولعب لجلاجى مظفر الغنه يراها عن مائه بيوته حصينه وشاهه مصونه ودوابه مجتمعه وشاهه ممتنعه جيد النظر شديد الحذر لا يبقى ولا يذر عينه تغلى وفكرته تملى ويده تبلى وقال فى ضد ذلك آخر الطبقة وأول الآبقه لعب كل يطرح له الكل رخه أبدا فيل وشاهه قتيل لعب برمدويكمد لعب الغريب فيه غريب والصواب فيه لا يصاب دفع ما فيه نفع وقطع على نطع ما فى دفعاتها أغراب ولا لوقعاتها اطراب طويل حد الرقعه كثير مس القطعه على طول امساك وثقل حراك قلت ويعجبنى قول القائل

وهبك أتقنتها ماذا أتيت به * يا زوج أكبر ما فيها من القطع

(رجع الكلام الى قول الطغرائى) وقد استعار الحديث للعلى لان العلى أمور معنوية لا تتصف بالكلام ولكنه لما جرب وجود العز بالقلة والحركة صارت التجربة عنده علما استفاده فصار كانه حدثته العلى بذلك فاسند ذلك الى العلى تعظيما للرواية فى اسنادها الى العلى ليتلقاها السمع بالقبول وقوله وهى صادقة جملة اعتراضية أعترض بها وقد زاد الكلام

حسنا التأكيد الصدق عند المخاطب كما تقول حدثني فلان وهو صدوق فيما يرويه طلبا للتأكيد في قبول ما يأتي به من الرواية عمن يروي الحديث عنه وهذا أبلغ من قولك ان العلي حدثني فيما تحدث ان العز في النقل ومن الجمل الاعتراضية قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم فاعترض اعتراضين أحدهما أصل والثاني فرع الاول اعتراضه بقوله وانه لقسم بين قوله بمواقع وبين قوله انه لقرآن كريم الثاني انه اعترض بقوله لو تعلمون بين قوله وانه لقسم وبين قوله عظيم وقد رأيت ما أفادت هاتان الجملتان في الاعتراض من الجزالة والبلاغة ومثل هذا الاعتراض يسميه المتأخرون حشوا للوزن نحو قول عوف بن محلم

ان الثمانين وبلغتها * قد احوجت سمعي الى ترجمان

فقوله وبلغتها حشو يتم المعنى بدونه ومن فوائد هذا الحشو تكميل الوزن وافادة اللفظ رونقا لو عدمه لم يكن وقد تتعدد فوائده كقول أبي بكر القهستاني

كأني لما بي تحت الحشا * وحاشاك فوق شفا أو شفن

الشفن أخشن ما يكون من الجلود كالتمساح وغيره فقوله وحاشاك حشو يتم المعنى بدونه ولكنه أفاد هنا ثلاث فوائد اقامة الوزن والدعاء للمحبوب والجناس ومثل هذا قول أبي الحسين الجزار يمدح فخر القضاة نصر الله بن بصاقة من أبيات

ويهتز للجدوى اذا ما مدحته * كما اهتز حاشا وصفه شارب الخمر

وههنا افاد الحشو كمال الوزن وتنزيه الممدوح وهو الاحتراس والرونق الذي لولاه لم يكن في البيت على ان ابا الحسين أخذه من ابن الساعاتي حيث يقول

يهزه المدح هز الجود سائله * اولا وحاشاه هز الشارب الثمل

وهذا من الاحتراس في الادب مع الممدوح اذا خاطبه الشاعر أو الصغير اذا خاطب الكبير وما أحسن قول القاضي الفاضل

يد الجود عندي من يديك عظيمة * واعظم منها عندي الجد والشكر

ومجلسك الاعلى المطهر مسجد * فما قلت خذها خيفة انها الخمر

وكان المولى جمال الدين ابن نباتة قد امتدح الشيخ الامام العلامة كمال الدين محمد بن علي الزملكاني رحمه الله بقصيدة تائية مطولة اولها

قضى وما قضيت منكم لبانات * متيم عبثت فيه الصبابات

واستطرد في اولها الى ذكر الخمر واوصافها ونعوتها واطال في ذلك فقال المولى شمس الدين محمد بن يوسف الخياط الدمشقي قصيدة تائية على وزنها ومدح الشيخ كمال الدين بها ولم يتغزل بالخمر ثم قال في آخرها

ما شان مدحك وصفي للسلاف ولا * انحت مساجد شعري وهي حانات

والجماعة كلهم اخذوا اللفظة حاشا من ابي الطيب حيث يقول

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب * يرى كل ما فيها وحاشاه فانيا

وقد يفيد الحشو البيت حسن المناسبة ايضا كقول ابي الطيب

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * يا جنتي لوجدت فيه جهنما

في الخيل على بعمر فدعا به وهو يسير في عرض الموكب فجاء مسرعا فقال له هشام ما هذه الخيل فكأنه فطن لما صنع خالد فقال خيل أمير المؤمنين اختبرتها وطلبتها من مضانها حتى جعلتها لك فمن يقبضها فأعجبه ذلك وسلمت خالدا عن أمرها وفسدت عليه ولم يزل ابن هبيرة يبغي به الغوائل الى ان عزل وأقام بالشام برهة ثم عذب الى أن مات سنة ست وعشرين ومائة في خلافة الوليد بن يزيد وكان جوادا فصيحا عظيم الهمة الا انه كان مارقا في الدين * فاما جوده فان حيص بيص الشاعر دخل عليه يوما فقال اني مدحتك ببيتين قيمتهما عشرة آلاف درهم فاحضرها حتى أنشدهما فاحضر الدراهم ثم أنشد حيص بيص يقول

قد كان آدم قبل حين وفاته * أوصاك وهو يجول بالحوباء

بنيه ان ترعاهم فرعيتهم * وكفيت آدم عيلة الابناء

فدفع اليه خالد الدراهم وأمر ان يضرب اسواطا وينادى عليه هذا جزاء من لا يعرف قيمة شعره ثم قال له ان قيمتهما مائة ألف وروى انه دخل على خالد شيخ كبير فمثل بين يديه فقال شيخ جذبه اليك سنة أبدت العظام فان

فقوله ياجنتى حشو يتم المعنى بدونه ولكن افاد الوزن والمناسبة بين لفظة الجنة وجهنم ولو قال ياما لكى لكان تورية ولكن جنتى اخف فى اللفظ واغزل وقد يفيد التورية كما انشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

لوذقت بردثنا ياه ومبسمه * ياحار مالمت اعطاه فى التى شملت

فقوله ياحار حشو يتم المعنى بدونه ولكن أفاد كمال الوزن والتورية فى حارفانه ورى به أنه ينادى اسم حرث مرخم وهو يريد الحار الذى هو مرادف السخن بدليل قوله بردثنا ياه وهذا مع مافيه من النظر فى حار فى غاية الحسن وأخبرنى انه انشده للمولى الفاضل شرف الدين حسين ابن القاضى جمال الدين سليمان بن ريان فقال له وكذا لو قلت ياصاح بدل ياحار فانه يخدم معك فى المعنيين لان صاح ترخيم صاحب وصاح اسم فاعل من الصحو وبرشحه للتورية شملت وهذا فى غاية الذوق اللطيف وقد أورد كثير من الناس فى هذا الباب قول كثير عزة

ولوان عزة حاكمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها

وأقول ان هذا ليس من الحشو فى شئ لان من شرط ذلك ان يكون المعنى تاما بدونه ولا تمام لهذا المعنى بدون موفق لانه لابد أن يقول عند حاكم أما كونه موفقا أو غير موفق فهذا من متممات البلاغة اذ قوله موفق مبالغة لاحتمال أن يظن بالحاكم أنه يميل فى حكمه لامر ما فاذا كان موفقا فلا وغالب ورود هذا النوع اما بالنداء كقول المتنبى ياجنتى فى البيت الذى تقدم وكقول بن الساعاتى

تود نجوم الليل لو نصلت بها * وان لقيت بؤساذوابل ملده

ولو ملك الحكم الاهلة لم تكن * ويا نحرها الا نعالا لجرده

وأما بلفظة حاشا كقول القهستانى والجزار وقد تقدما وحكى ان ابن حيوس لما سمع قول ابن الخياط

لم يبق عندى ما يباع بدرهم * وكفاك شاهد منظرى عن مخبرى

الا بقية ماء وجه صنتها * عن ان تباع وأين أين المشترى

قال لو قال وأنت نعم المشترى لكان أحسن قلت اشتهر هذا بين الناس واستحسنه أهل الادب وليس ذلك وارد اعلى ابن الخياط فانه لكل مقام مقال وابن الخياط هنا ليس فى مقام التعرض للاستماحة من أحد بل هو فى مقام تشك وتظلم من الدهر وانه من الفقر فى غاية ولم يبق ما يملكه غير ماء وجهه ولو باعه لعز وجود المشترى لعدم الكرام ألا ترى كيف أكده بقوله أين ثانيا وما أحسن قول البارع

قد تعففت وارتضيت بتدفيـ * ـع زمانى وقلت انى وحدى

لالانى أنفت مع ذا من الكد * بل أين الكرام حتى أكدى

ومن محاسن الاعتراض والحشو قول المضرب السعدى

فلو سألت سرات الحى سلمى * على أن قد تلون فى زمانى

لخبرها بنو أحساب قومى * وأعدائى وكل قد بلانى

وقول كثير عزة

لوان الباخلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك المطالا

رأيت أن تجبره بفضل وتنعشه بسجل قال خالد على ان اقارعك فان قرعتك لم أعطك شيا وان قرعتنى اعطيتك فقارعه خالد فقرعه فقال اقلنى فاقاله ثم قارعه اخرى فقرعه أيضا فقال أقلنى فاقاله ثانية ثم قارعه فقرع خالدا فقال اقلنى فقال لخالد لا اقالنى الله اذا فقال أعطوه بدرة يدخلها فى رحمه فقال وأخرى أيها الامير أدخلها فى استها فضحك وأمر له ببدرتين وكان يقول أيها الناس لو رأيتم البخل لرأيتموه مشوها تنفر منه القلوب وقال له بعض أصحابه والله انا لنسالك امورا لا حاجة لنا بها فقال ولم قال لعلمنا بحبتك فيمن سالك حاجة واما فصاحته فنهاه انه أقام على المنبر يواسط فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال أيها الناس تنافسوا فى المكارم وسارعوا الى المغانم ومهما يكن لاحدكم عند احد نعمة فلم يبلغ شكرها فالله أحسن له جزاء وأجزل عليه عطاء واعلموا ان حوائج الناس اليكم نعم من الله عليكم فلا تملوها فتحول نقم وأفضل المال ما اكتسب أجرا وأورث ذكرا واجود الناس من اعطى من لا يرجوه ومن لم يطلب حرمه لم يزك نبته

وقول أبي تمام الطائي

وان الغنى لي لو لحظت مطالبي * من الشعر الا في مديحك أطوع

وهذا البيت فيه اعتراضان أحدهما بين اسم ان وخبرها والثاني ما استثنى به من قوله الا في مديحك بين ان الغنى أطوع من الشعر وبين لو لحظت مطالبي وتقدير هذا البيت وان الغنى لو لحظت مطالبي لي أطوع من الشعر الا في مديحك يعني فانه لا يتقدم مديحك شعر وقد عده جماعة في الحشو والاعتراض وأنا أرى أن أبا تمام قد أذهب حلاوة معناه بتقديم ألفاظه وتأخير هاوهو من باب التعاطل كقول الفرزدق ومامثله في الناس البيت وقلت أنا في هذا النوع

حسبي الذي ألقاه من ألم الهوى * وعلى الصحيح فبعض ذاك كفاني
فانظر الى قلبي اذا قابلته * ياعصن كيف يطير بالخفقان

وقلت أيضا

لا تلح قلب الشجي تقابل * معروف أهل الهوى بمنكر
فلو ترشفت ريق فيه * كنت يقينا ياصاح تسكر

ووقفت على أبيات لجماعة تغزلوا في المشايخ فقلت رداعليهم

كم قد أقمنا على حب الغزلان * يهواه عذرا اذا ما جاء يعتذر
وما لمنا على حب اللعى أحدا * قد هام فيها وقلنا الامر يغتفر
فكيف نقضي على حب الشيوخ وهل * يكون في الشيب حسن قط يادرر

فقولي هنا يادرر أفاد تمام الوزن والقافية والتورية في الشيب والدرة وقلت أيضا في مليحة في يدها سوار

تكون من برد زندها * وجمر السوار عليه اشتمل
فلا ذا على ما علمت انطفا * ولا ذا وحاشاه من ذا احترق

فقولي وحاشاه الضمير يعود على الزند وهو حشو حسن هنا وظرف من قال موالیا

جازت تقاطعت قالت مد في جزرك * خاب الذي أملوا في وصلنا خزرك
شيخ مفلس وقد هد الكبر ازرك * ترى الطبيب وصف يامندفع برزك
لو أن في شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

(اللغة) الشرف العلو والمكان العالي قال الشاعر

آتي الندى فلا يقرب مجلسي * وأقود للشرف الرفيع حماري

يقول خرفت فلا ينتفع برأيي ولا أستطيع أركب حماري الا من مكان عال وجبل مشرف أي عال واذن شرفاء أي طويلة وشرفة القصر واحدة الشرف التي تكون في أعاليه المأوى كل مكان يأوي اليه الشئ ليلا أو نهارا ومنه قوله تعالى ساوي الى جبل يعصمني من الماء ومأوى الابل بكسر الواو لغة في مأوى الابل خاصة وجنة المأوى أحد الجنات الثمانية وقد نطق بها القرآن الكريم وهي جنة الفردوس وجنة النعيم وجنة المأوى وجنة عدن وجنة الخلد ودار المتقين ودار السلام ودار القرار والنار سبع وهي جهنم والجحيم وسقر ولظى والحطمة والسعير والهاوية بلوغ مصدر بلغت المكان اذا وصلت الى حده ومنه قوله تعالى

والاصول عن مغارسها تنمو وباصولها تسمو أقول قولي واستغفر الله لي ولكم ومنها انه صعد يوما المنبر فارتج عليه الكلام فقال أيها الناس ان الكلام يجيء أحيانا ويعزب أحيانا وربما طلب فابى وكوبر فعصى والتأني لجميعه أيسر من التعاطي لابيه وقد يختلج في الجري، جنانه ويتعاصى على الذرب لسانه ثم لا يكابر القول اذا امتنع ولا يرد اذا اتسع وأولى الناس من عذر على النبوة ولم يؤاخذ على الكبوة من عرف ميدانه اشتهر احسانه وسأعود وأقول ثم نزل * وأما مروقه من الدين واستهتاره بخمر كي انه حفر بئرا بمكة عذبة الماء ثم نصب طستا الى جانب زمزم ثم خطب فقال قد جئتكم بماء العاذبة لا تشبه ماء ام الخنافس يعني زمزم ثم قال ان نبي الله اسمعيل استسقى ربه فسقاه ملحا اجاجا وسقى أمير المؤمنين عذبا زلالا فرأيتا يعني هذا البئر

(وحكي) أن سفيان بن أبي عبد الله قال سمعت خالدا القسري على المنبر وكان بنو أمية أمروا بلعن علي على المنابر يقول اللهم افعل بعلي بن أبي طالب بن عبد المطلب زوج فاطمة وابي الحسن والحسين كيت وكيت وكان مع ذلك

فاذا بلغن أجلهن أى وصلن منى جمع منية وهى ما يتمناه الانسان لم تبرح يقال لا أبرح عن ذلك أى لا أزال أفعله الشمس يأتى الكلام عليها فيما بعد دارة الحمل ما أعرف الدارة الا للقمر والشمس اللهم الا أن يكون أراد الدارة لغة وهى ما يدور حول الشئ والحمل أول برج من بروج الكواكب الاثنى عشر وشرف الشمس فى تسع عشرة درجة منه ويخص هذا البرج من الثمانية وعشرين منزلة منزلتان وثلث وهى السرطان وهما قرنا الحمل وتسمى هذه المنزلة النطح وما أحلى قول حسان بن المصيصى

ان النطاح من الورى خلق * حتى الكواكب بينها النطح

والمنزلة الثانية هى البطين وما أحلى قول بعضهم

وعلق تعلقته بعد ما * غدا وهو من سقطات المتاع
ولم يبق فيه على مايقا * لشئ سوى أكلة والوداع
فاعجلته عن دخول الكنيف * بجهل مطاع وحلم مضاع
فغرقنى منه نوء البطين * وغرق مسنى بنوء الذراع

وقول بن التعاويذى من أبيات

فبت وباتت الى جانبى * يعد المنازل فيها كلانا
ترينى البطين ولكننى * اقارضها فأريها الزبانا

وبعض الثريا والثريا فى صورة الحمل بنات الاليلة والجابر هو الكبش يقال ان بعضهم كان اذا لعب الشطرنج مع أى من كان تضارب معه فوصف البعض الظرفاء فقال أنا ألعب معه والتزم انه لا يحصل بيننا تضارب فلما أتى اليه ولعبا وقال له فى أثناء اللعب شاه استر فقال ملعون والله القرنان أنت والقواد أنت فقال يا أخى ما الذى قلت فال قلت استر وهى تصحيف اشتر وما يشتر الا الحمل والحمل تصحيف الحمل والحمل هو الكبش والكبش هو القرنان والقرنان هو الذى يقود فقال له يا أخى ما رأيت من يضارب بتصحيف وتفسير وتسلسل غيرك قلت كذا حكاه لى جماعة وهو غلط لان اشتر لا يعرفه أهل اللغة والذى يقولونه فى كل ذى كرش انه يجتر بالجيم فاعرفه وكتب محيى الدين يوسف بن يوسف بن زيلاق الى بدر الدين بن لؤلؤ صاحب الموصل صحبة حمل أهداه اليه

يا أيها المولى الذى * بسببه كل أمل
لولم تكن بدرا لما * أهدى لك الثور الحمل

وللصابى رسالة تحسنة كتبها عن أبى العباس بن سابور المستخرج الى أبى الخير بن سبرة أطال فيها وأطاب منها وقلت اذ نجه فيكون وظيفة للعيال واقيمه رطبا مقام قديد الغزال فانشدنى وقد اضرمت النار وحدت الشفار وشمر الجزار

اعندها نظرات منك صادقة * ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وقال ما الفائدة فى ذبحى وانا

لم يبق الا نفس خافت * ومقلة انسانها باهت

وللحمدونى فى شاة أبى سعيد بن احمد عدة مقاطيع منها

أبا سعيد لنا فى شاتك العبر * جاءت وما أن لها بول ولا بعر

وكيف

يبرقوما من بنى هاشم فحكى أن محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان اتاه يستمنحه فلم يرمنه ما يحب فقال اما المنافع فلها شهيين وانما نحن فما حبوتنا منه الا شقه عليا على منبره فبلغ خالدا ذلك فقال ان احب تناولنا له عثمان بشئ

(وقتل بشار بن برد)

هو بشار بن برد بن يرجوخ الشاعر المقدم من مخضرمى الدولتين الاموية والعباسية كان جده من طخارستان من سبى المهلب ويدعى انه مولى بنى عقيل وحدث عن نفسه قال لما دخلت على المهدى قال لى فيمن تعد يا بشار فاجبته وقلت أنا اللسان وعربى وأما الاصل فجمعى كما قلت فى شعرى يا أمير المؤمنين وبثثت قومى بهم جنة

يقولون من ذا وكنت العلم
ألا أيها السائلى جاهلا
لتعرفنى أنا أنف الكرم
نمت فى الكرام بنو عامر
فرومى وأصلى قريش العجم
وكان يتاون فى ولائه فتارة يفتخر بقيس وتارة بغيرهم وتارة ينشد ويقول

أصبحت مولى ذى الجلال
ومعظيم
مولى العذيب بجذبة فضلك
واطير
وارجع الى مولاك غير مدافع

وكيف تبعر شاة عندكم مكثت * طعامها الابيضان الشمس والقمر
لو أنها أبصرت فى يومها علفا * غمت له ودموع العين تنحدر
ياماتعى لذة الدنيا بأجمعها * انى ليقنعنى من وجهك النظر

وقد فعل الحمدونى فى هذه الشاة كما فعل فى طيلسان أحمد بن حرب المهلبى ولكن سنطبع الطيلسان فوق الخمسين وكلها بديع وقال بعضهم

اطعمنا الشيخ رئيس الكفاه * فوق ثمان من جدى شواه
فكان ماعمر فى موته * اضعاف ماعمره فى الحياه

ومما اشتهر بين الادباء قولهم أخف من دينار يحيى وهو يحيى بن على بن منارة بلى بالعباس ابن الوليد المصيصى الخياط لما أعطاه دينارا خفيفا فقال فيه عدة مقاطيع منها

دينار يحيى زائد النقصان * فيه علامة سكة الحرمان
قد رق منظره ودق خياله * فكأنه روح بلا جثمان
اهداه مكتتما الى برقعة * فوجدته أخفى من الكتمان

وضرطة وهب وما احسن قول ابن الرومى يعتذر له

قد اكثر الناس فى وهب وضرطته * حتى اقدم لما قالوا وقد بردا
لم تعل ضرطة هاجيه كضرطته * فى الذاكرين ولم يحسد كما حسدا
ياوهب لاتكترث بالعائبين لها * فانما انت غيث وهم عدا

وظرف ابن قلاقس فى قوله فى لحية بعضهم

هى فوق الصدر قد سد * ته من شرق الغرب
لحيته ردته فى النا * س ولا ضرطة وهب

ولاحمد بن ابى طاهر مصنف فى الاعتذار عن ضرطة وهب ويقال ان يعقوب ابن المهدى كان لايقدر أن يمسك الفساء اذا جاء فاتخذت دايته له مثلثة وطيبتها وتأنقت فيها فلما وضعتها تحته فسا وقال هذه المثلثة ليست بطيبة فقالت له فديتك قد كانت طيبة وهى مثلثة فلما ربعتها فسدت وقيل ان بعضهم وقعت فى رجله شوكة فلما حركتها زوجته بالابرة ضرط فقال لها رأيتيها فقالت لا ولكنى سمعت صوتها وقال النور الاسعردى يضمن قول المرضى

قلت اذ نام من أحب وأيدى * ضرطة آذنت لشملى بجمع
فانثنى أن أرى الديار بطرفى * فلعلى أرى الديار بسمعى

وقيل انه كان لمطيع بن اياس صديق من العرب يجالسه فضرط ذات يوم عنده فاستحى وغاب عن المجلس فتفقده مطيع حتى عرف السبب فكتب اليه

أظهرت منك لنا هجرا ومقلية * وغبت عنا ثلاثا ليس تغشانا
هون عليك فما فى الناس ذو ابل * الا وأينقه يشردن احيانا

ودخل البديع الهمذانى على الصاحب بن عباد فتزحزح له واجلسه على السرير معه فحقق البديع حقه وأراد أن ينفى عن نفسه التهمة فقال يامولانا هذا صرير التخت فقال الصاحب بل صفير التخت فخرج خجلا وانقطع عن المثول بين يديه فكتب اليه الصاحب

قل للصفيرى لاتذهب على خجل * من ضرطة أشبهت نايا على عود

سبحان مولاى العلى الاكبر
وكان يلقب بالمرعث لرعاث كان فى أذنه وهو صغير والرعاث القرط وقيل لبيت ذكر فيه الرعاث وولد اعمى فكان يقول اشد ماهجيت به قول الباهلى حيث يقول
وعبدى فقأ عينيك فى الرحم اره
فجئت ولم تعلم لعينيك فاقتا
وكان يشبه الاشياء بما لايقدر عليه البصراء وسئل عن ذلك فقال عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الاشياء فيتوفر حسه وسئل ابو عبيدة من اشعر عندك ابشار ام مروان بن ابى حفصة فقال ن بشار احكم لنفسه بامور لم يعطها غيره وذلك انه قال لى اثنى عشر الف بيت جيد فقيل له كيف ذلك فقال لى اثنى عشر الف قصيدة ان لم يكن فى كل قصيدة بيت جيد فلعنها الله ولعن قائلها وكان يتهم بالزندقة وروى الجاحظ قوله
الارض مظلمة والنار مشرقة
والنار معبودة مذ كانت النار
وقال بهذا البيت وجدوا صل ابن عطاء السبيل الى تكفير بشار وخطب فيه خطبته الحذوفة الراء (وحكى) سعيد ابن مسلم قال كان بالبصرة ستة من اصحاب الكلام

فانها الريح لا تستطيع حبسها * اذلست أنت سليمان بن داود

وقيل ان بعض الفقراء أصابه قولنج شديد فى بعض المساجد فجعل يتكرب ويتلوى ويقول يا الله ضرطة وأقلق رفاقه فلما كان الصبح أشرف على الهلاك وعاين الموت فقال يا الله الجنة فقال له بعض رفاقه ما رأيت أحمق منك أنت من المغرب الى الآن تسأله ضرطة ما فرحت بها وتسأله الجنة ومن الالغاز فى ذلك

ومولودة لم تعرف الطمث أمها * وليس لها روح ولا تتحرك
يقهقه منها القوم من غير رؤية * وصاحبها من عارها ليس يضحك

وما أظرف قول شمس الدين محمد بن دانيال فى ابن البعريني

أمسى الضياء منادمى وحشا لى * محشوة بغرائب الاخلاط
عصفت على رياحه فوجدتها * أقوى هبوب بامن رياح شباط
قد كنت انعس لانتشاق فسائه * غشيا فيوقظنى بصوت ضراط
مازلت أمشق منه ريحا منتنا * حتى استحال الى الخزاء مخاطى
يا أيها المفتوق من أرياحه * هذى النصيحة فيك للخياط

وكان الامير علم الدين سنجر المروزى والى القاهرة يعرف بالخياط وقال ناصر الدين بن النقيب

انفلتت منه ضرطة سمعت * فكاد منها يحمى العرق
فالترقت فى دون فاعلها * وما ظننت الضراط يلترق

ووقف بين يدى الحجاج أو غيره رجل من البادية فلما أخذ فى الكلام ضرط فضرب يده على استه وقال اما ان تتكلمى واسكت واما ان تسكتى وأتكلم فأنا مع الامير وقلت انا مضمنا فى ضروط

عاتبت من سد سمعى صوت فقحته * ولم اجد ملجأ لى من مطاردها
فقال نوق ضرائطى كلما سخت * أنام ملء جفونى عن شواردها

وممن له شهرة بين المحدثين غسيل الملائكة وهو حنظلة بن أبى عامر الانصارى خرج يوم أحد فأصيب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا صاحبكم قد غسلته الملائكة وقتيل الجن وهو سعد بن عبادة ومصافح الملائكة وهو عمران بن الحصين وحمى الدبر وهو عاصم بن ثابت ابن أبى الافلح حمته النحل الى ان كان الليل فاجتفه السيل ولم يصل عداه الى حز رأسه وذو الشهادتين وهو خزيمة بن ثابت الانصارى شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى قضاء دين اليهود وذو العينين وهو قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وذو اليدين وهو عبيد بن عبد عمرو الخزاعى كان يعمل بيديه معا وذو العمامة وهو أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية كان اذا لبس عمامته لم يلبس قرشى عمامته حتى ينزعها وذو الثدية وكان باب الخوارج وكبيرهم وجد بين القتلى يوم النهروان كانت احدى يديه مخدجة كالثدى وعليها شعيرات وذو الثفنات وكان يقال ذلك لعلى بن الحسين بن على بن أبى طالب ولعلى بن عبد الله بن عباس لما على أعضاء السجدات منهما من شبه ثفنات البعير وذو السيفين وهو أبو الهيثم بن التيهان لتقلده فى الحروب بسيفين وذات النطاقين وهى أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما لانها شقت نطاقها ليلة خرج أبوها والنبى

عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وبشار الاعمى وعبد الكريم ابن أبى العوجاء وصالح بن عبد القدوس ورجل من الازد يعنى جرير بن حازم فكانوا يجتمعون فى منزل الازدى ويختصون عنده فاما عمرو وواصل فصارا الى الاعتزال واما عبد الكريم وصالح فصحبا الثنوية واما الازدى فمال الى السمنية وهو مذهب من مذاهب اهل الهند واما بشار فبقى متحيرا فقيل انه قال بعد بمذهب الثنوية وبعده تزندق قال احمد بن خالد كنت اكلم بشارا وارد عليه سوء مذهبه بميله الى الالحاد فكان يقول لا أعرف الا ما عاينت او عاينه معاين وكان يطول الكلام بيننا فقال لى ما أظن الامر يا ابا خالد الا كما يقال انه خذلان ولذلك أقول

طبعت على ما فى غير مخير * هواى ولو خيرت كنت اللهذبا
اريد ولا اعطى واعطى فلم أرد * وغيب عنى ان أنال المغيبا
واصرف عن علمى وعلمى مبصر * فامسى وما اعقبت الا التعجبا

وروى المازنى قال قال رجل لبشار انا آكل اللحم وهو مباين لمذهبك فقال انما ادفع به شر هذه الظلمة

ومثل هذه الحكايات المنسوبة اليه دبر عليه يعقوب وزير

صلى الله عليه وسلم مهاجرين الى المدينة وسيف الله وهو خالد بن الوليد وسيأتي الكلام عليه والذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين حين فر الناس عنه تسعة وهم أبو بكر وعمر وعلي والعباس وأبو سفيان بن الحرث وابنه الفضل وربيعة بن الحرث واسامة بن زيد وأيمن بن أم أيمن بن عبيد وقتل يومئذ وبعض الناس يعد قثم بن العباس ولم يعد أبا سفيان ومما له شهرة بين ذوي الاخبار درة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الشعبي كانت درة عمر أهيب من سيف الحجاج وقميص عثمان وهو الذي تضرج بدمه يوم قتل وفقه العبادلة وهم عبد الله بن مسعود وعبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير وذكاء اياس بن معاوية القاضي وشيبة عبد الحميد ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب وكان من أجمل أهل عصره أصابته شجة في وجهه فلم تشنه وما أحسن قول محيي الدين ابن قرناص في مليح مشتور

لم يشنه شتر الجفن ولا نقص حسنه
سيف ذاك اللحظ ماض * فلهذا شق جفنه

وشيبة الحمد وهو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وذلك انه لما ولد كان في ذؤابته شعرة بيضاء وملاعب الاسنة وهو عامر بن الطفيل وازواد الراكب وهم ثلاثة من قريش مسافر بن أبي عمرو بن امية وزمعة بن الاسود بن عبد المطلب بن عبد العزى بن قصي وأبو أمية المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم سموا بذلك لانهم لم يتزودوا معهم أحد في سفر قط وعروة الصعاليك وهو عروة بن الورد كان اذا شكى اليه أحد أعطاه فرساً ورمحاً وقال له ان لم تستغن بذلك فلا أغناك الله وسليك المقانب وهو سليك بن سلكة وكان أعدى الناس حتى أن الفرس لم تدركه وطفيل الاعراس وهو من غطفان وقيل من موالي عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وكان يتتبع الاعراس فيأتي اليها من غير دعوة واليه نسبة الطفيلي وأشج بني أمية وهو عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه جاء الحديث فيه الاشج والناقص أعدلا بني أمية والناقص هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وكان فيه تأله وسمي بالناقص لانه كان ناقص الورك وقيل في قول المدني وقال غيره كان أسمر حسن الوجه نحيف الجسم معتدل القامة أعرج وقيل لانه نقص الناس من عطائهم والاول أصح وجبار بني العباس وهو هرون الرشيد لانه أغزى ابنه القاسم الروم فقتل منهم خمسين ألفا وأخذ منهم خمسة الاف دابة بسرجها اللجمة وأغزى علي بن عيسى بن ماهان بلاد الترك فقتل منهم اربعين ألفا وغزا هو بنفسه الروم ففتح هرقلة وأخذ الجزية من ملك الروم وقيافة بني مدلج وعيافة بني لهب وبنات طارق ومن بنات العلاء بن طارق بن أمية بن عبد شمس يضرب بهن المثل في الحسن والشرف وبنات الحرث بن هشام يضرب بهن المثل في الشرف وغلاء المهر وزرقاء اليمامة كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام وبغلة ابي دلامة يضرب بها المثل في جميع العيوب وعير ابي سيارة وهو رجل من عدوان كان له حمار أسود أجاز الناس عليه من المزدلفة الى منى أربعين سنة ويوسف هذه الامة قاله عمر رضي الله عنه في جرير بن عبد الله البجلي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وكان بديع الجمال تام الحسن طويلا يصل الى سنام البعير وقيل له ذراع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه مسحة ملك وفارس الاسلام وهو سعد بن أبي وقاص

المهدي حتى قتل (حكى) ابن نصر قال قدم بشار من البصرة الى بغداد وقد مدح المهدي بقصيدته الرائية ثم أنشده اياها فلم يحر منه بشيء فقيل انه لم يستجد شعرك فقال والله لقد مدحته بشعر لو مدح به الدهر لم يخش صرفه على احد ولكنا نكذب في القول فنكذب في الامل ثم مدح يعقوب ابن داود وزيره فلم يحفل به ولم يعطه شيأ وأقام ينتظر جائزته برهة فمر يعقوب يوما ببشار فصاح بشار طال الثواء على رسوم المنزل فقال يعقوب فاذا تشاء ابا معاذ فارحل فغضب بشار وقال يا هجوه بني امية هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داود ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين النأي والعود ثم رحل وحضر حلقة يونس النحوي فقال هيهنا من تخشمه فقال لا فانشده هجاءه في المهدي وهجاءه في يعقوب فسمي به الى يعقوب وكان المهدي قد قدم البصرة فدخل عليه يعقوب وقال للمهدي ان بشارا زنديق وقد قامت عليه البينة وقد هجا امير المؤمنين فامر ابن نهيك وهو صاحب الشرطة بأمره ثم

أحد العشرة وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله عز وجل وكان مجاب الدعوة وهو مقدم الجيوش في فتح العراق وآخر من خرج من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن العباس وكان ممن يشبه النبي صلى الله عليه وسلم وهم خمسة أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد ابن محمد بن سيد الناس بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

خمسة شبيه المختار من مضر * باحسن ما خولوا من شبيه الحسن
جعفر وابن عم المصطفى قثم * وسائب وأبي سفيان والحسن

فاما جعفر فهو ابن أبي طالب وأما قثم فهو ابن العباس وأما السائب فهو ابن عبيد جد الشافعي وأما أبو سفيان فهو ابن الحرث بن عبد المطلب وأما الحسن فهو ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين وأول مولود ولد في الاسلام وفارس قريش هو عبد الله بن الزبير وهو أحد السادات الطلس وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يلحد بمكة كبش من قريش اسمه عبد الله قاتله عليه مثل نصف أوزار الناس ومن السادات الطلس القاضي شريح وهو شاعر زاجر قائف وأول من سمي في الاسلام عبد الملك هو عبد الملك بن مروان قال فيه ابن عمر ولد الناس ابناء وولد مروان أبا والطلحات المعدودون في الجود طلحة بن عبيد الله أحد العشرة وهو طلحة الفياض وطلحة الجود وهو ابن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي وطلحة الدراهم وهو ابن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وطلحة الخير وهو ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ولم يعقب وطلحة الكندي وهو ابن عبيد الله ابن عوف الزهري وطلحة الطلحات وهو ابن عبيد الله بن خلف الخزاعي وأجواد الاسلام عبد الله بن عباس بن عبد المطلب وعبد الله بن جعفر بن ابي طالب وسعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية وعبيد الله بن عامر بن كريز وحمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام وعمر بن عبيد الله بن معمر التيمي وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن العيص وقيس بن سعد بن عبادة الانصاري وعتاب بن أبي ورقاء احد بني رباح بن يربوع ابن حنظلة وأسماء بن خارجة بن حصن بن بدر الفزاري وعبيد الله بن ابي بكرة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب النوادر ابن أبي عتيق وأشعب الطمع وأبو الغصن جحي وأبو العيناء وأبو العير وأبو العنبس وأبو الخصاص وزيد المدني وأغربة العرب ثلاثة عنترة العبسي وخفاف بن ندبة وسليك بن السلكة والقتال عبد الرحمن ابن ملجم قاتل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وشمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين ابن علي بن أبي طالب وعمير بن بزموز قاتل الزبير بن العوام وأبو لؤلؤة فيروز قاتل عمر بن الخطاب وأصحاب العاهات من الملوك الاسكندر كان أخنف وأنوشروان كان أعور ويزدجرد كان أعرج وجذيمة الوضاح كان أبرص والنعمان بن المنذر كان أحمر العينين والشعر وعبد الملك بن مروان كان أبخر ويزيد بن عبد الملك كان أقمح وهشام بن عبد الملك كان أحول ومروان الحمار كان اشقر ازرق وعبد الله بن الزبير كان كوسجا والهادي كان في شفته العليا تقلص وكان ابو المهدي قد رتب معه خادما يلازمه متى غفل وفتح فاه يقول له موسى اطبق وابراهيم بن المهدي كان اسود سميناً يلقب بالتنين واربعة من اهل البصرة لم يمت كل منهم حتى رأى من ولده وولد ولده مائة انسان وهم انس مالك الانصاري وابو بكرة مولى النبي صلى الله عليه وسلم وعبد الرحمن بن عمير الليثي وخليفة بن السعدي وخليفة سلم عليه وعمه وعم ابيه

وعم

ازف خروجهم فاخرجه ابن نهيك معه في زورق فلما كانوا بالبطيحة ذكره فارسل الى ابن نهيك يأمره بضرب بشار بالسياط ضرب التالف ويلقيه بالبطيحة فاقيم في صدر السفينة وامر الجلادين ان يضربوه ضربا متلفا فجعل يقول كلما وقع عليه السوط هس وهي كلمة تقولها العرب عند الالم فسال بعضهم انظروا الى زنديقه ما يراه يحمد الله تعالى فقال بشار ويلك اثر يد هو احمد الله عليه فلما بلغ سبعين سوطا اشرف على الموت فالقى نفسه في صدر السفينة فقال ليت عين ابي الشمقمق ترى حين يقول

ان بشار بن برد

تيس اعمى في سفينه

ثم مات من ساعته فالقى في خزانة البطيحة فحمله الماء الى البصرة فاخذه اهله ودفنوه (وحكى) ابن خلاد قال لما ضرب بشار بعث المهدي الى منزله من فتشه على كتب الزندقة فوجدوا طومارا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اني أريد هجاء آل سليمان بن علي فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركتهم اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأه ابني وندم على قتله وقال

وعم جده يرون وهو هرون الرشيد عمه هو سليمان بن المنصور والعباس بن محمد هو عم ابيه المهدى وعبد الصمد بن على بن عبد الله بن عباس هو عم جده المنصور وخليفة سلم عليه سبعة كلهم ابن خليفة وهو المتوكل سلم عليه محمد بن الواثق واحمد بن المعتصم وسليمان بن المأمون وعبد الله بن محمد وأبو احمد بن الرشيد والعباس بن موسى ومنصور بن المهدى واعرق الناس فى الخلافة هو المنتصر بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدى بن المنصور واعرق الناس فى الوزارة ابو على الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب كان ابو على وزير المقتدر وابوه القاسم وزير المعتضد وسليمان وزير المهتدى وبعده للمعتمد واخوا بى على ابو جعفر وزير القاهر ولم يتقلد الخلافة من ابوه حى سوى الطائع لله وابى بكر الصديق رضى الله عنه وكلاهما اسمه ابو بكر وليس لهم خليفة هاشمى من هاشمية غير الحسن بن على رضى الله عنهما ومحمد الامين بن زبيدة ولم يل الخلافة من اسمه جعفر الا المقتدر والمتوكل وقتلا جميعا المتوكل ليلة الاربعاء والمقتدر يوم الاربعاء قال الصولى الناس يرون أن كل سادس يقوم بامر الناس منذ أول الاسلام لابد أن يخلع النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن خلع ثم معاوية ويزيد ومعاوية ومروان وعبد الملك وعبد الله بن الزبير خلع وقتل ثم الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام والوليد بن يزيد خلع ثم أتى الله بالدولة العباسية فكان السفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد والامين خلع ثم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين خلع ثم المعتز بالله والمهتدى والمعتمد والمعتضد والمكتفى والمقتدر خلع فى فتنة ابن المعتز ثم رد الى هنا قول الصولى قال صاحب رأس مال النديم ثم القاهر ثم الراضى ثم المتقى ثم المستكفى ثم المطيع ثم الطائع خلع قلت ثم القادر والقائم والمقتدى والمستظهر والمسترشد والراشد خلع ثم المقتفى والمستنجد والمستضىء والناصر والظاهر والمستنصر بالله قيل انه مات مسموما وكان الذى سمه خلعه فخلع وقتل أيام قلاوون لما فتحت بغداد وكذلك العبيديون وهم الذين تسموا بالفاطميين وأول من ملك الغرب المهدى عبيد الله والقائم بامر الله والمنصور صاحب افريقية والمعز باني القاهرة والعزيز والحاكم فتلته أخته وولت ابنه الظاهر والمستنصر والمستعلى والآمر والحافظ والظافر فخلع وقتل وولى ابنه الفائز والعاضد وهو آخرهم وكذلك بنو أيوب فى ملك مصر أولهم صلاح الدين وولده العزيز وأخوه الافضل بن صلاح الدين والعادل الكبير أخو صلاح الدين والكامل ولده والعادل الصغير خلع قبض عليه أمراء دولته وأحضروا أخاه الصالح نجم الدين أيوب وكذلك دولة الاتراك أولهم المعز وابنه المنصور والمظفر قطز والظاهر وابنه السعيد واخوه العادل سلامش خلع وملك السلطان المنصور سيف الدين قلاوون وخرج عليه سنقر الاشقر بدمشق ثم فر الى حصن صهيون ثم ملك الاشرف خليل بن قلاوون ثم أخوه الناصر محمد وتوجه الى الكرك فتولى كتبغا ثم تولى حسام الدين لاجين فخلع وقتل ثم طلب الناصر ثم رحل الى الكرك فتولى الجاشنكير بيبرس المظفر ثم عاد الناصر ومات فملك المنصور أبو بكر وبعده الاشرف كجك ثم الناصر أحمد فخلع وقتل ثم ولى الصالح اسمعيل ثم الكامل شعبان ثم المظفر حاجى ثم الناصر حسن ثم الصالح صالح ثم عاد الناصر حسن أدام الله أيامه وأما من اشتهر من الفقهاء فهم فقهاء المدينة السبعة وقد نظمهم بعض الشعراء فقال

لاجزى الله يعقوب خيرا فانه
لما هجاه لفق عليه شهودا
على انه زنديق فقتله وندمت
حين لا ينفع الندم * ومن مستظرف اخبار بشار قال له
هلال بن عطية يوما يمازحه
وكان صديقا له ان الله تعالى
لم يذهب ببصر احد الا عوضه
منه شيأ فما عوضك قال
الطويل العريض قال وما هو
قال انى لا اراك ولا امثالك
من الثقلاء ثم قال يا هلال
اتطيعنى فى نصيحة انصحك
بها قال نعم قال انك كنت
تسرق الحمير زمانا ثم تبت
وصرت رافضيا فعد الى سرقة
الحمير فهى والله خير لك من
الرفض * ومرت به فسوة
حسان فقال له ايسرك اننا
بناتك يا ابا معاذ فقال اى
والله والدين كسروى ويقال
انه كفر بهذا اللفظ فانه اراد
بسر فى ايضا ان الدين كسروى
ودخل يوما الحمام وفيه بعض
ولد قتيبة فقال يا بشار وددت
انك تبصر فترانى فى الحمام
وتعلم كذبك فى قولك
حيث قلت

على استاه سادتهم كتاب
موالى عار وسيم بنار

فقال بشار يا ابن اخى ذهب
عنك الصواب انما قلت
سادتهم ولست منهم وكان
يوما فى مجلس المهدى ينشده
قصيدة فى مدحه فدخل خال

الاكل من لا يقتدى بأئمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

فعبيد الله هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى وعروة هو ابن الزبير ابن العوام والقاسم هو ابن محمد بن أبى بكر الصديق وسليمان هو ابن يسار مولى ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وسعيد هو ابن المسيب وأبو بكر هو ابن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام بن المغيرة وخارجة هو ابن زيد بن ثابت الانصارى ورواة الاقوال القديمة عن الشافعى رضى الله عنه أربعة وهم أبو على الحسن الزعفرانى وأبو ثور وأحمد بن حنبل والكرابيسى ورواة الاقوال الجديدة عنه ستة وهم المزنى والربيع ابن سليمان الجيزى والربيع بن سليمان المرادى والبويطى وحرملة ويونس بن عبد الاعلى وأصحاب القفال كلهم أصحاب وجوه فى المذهب منهم أبو على السنجى والقاضى حسين والشيخ أبو محمد الجوينى والد امام الحرمين والفورانى والمسعودى والصيدلانى وفى مقابلة القفال من العراقيين الشيخ أبو حامد الاسفرايينى شيخ العراقيين فى وقته وأصحابه أصحاب وجوه فى المذهب ومن مشاهيرهم أقضى القضاة الماوردى صاحب الحاوى والقاضى أبو الطيب والمحاملى والبندنيجى (رجع) وقد أطلت فى سرد هذه الاشياء ولكن ماخلت من افادة ان شاء الله تعالى ولو لم يكن من فوائد التاريخ الا واقعة رئيس الرؤساء مع اليهودى لكفى وذلك أن بعض اليهود أظهر كتابا ادعى فيه انه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادة الصحابة منهم على بن أبى طالب رضى الله عنه وحمل الكتاب الى رئيس الرؤساء فعرضه على الحافظ أبى بكر الخطيب ببغداد فتأمله وقال هذا مزور فقيل له من أين لك هذا وقال فيه شهادة معاوية وهو أسلم عام الفتح وفتوح خيبر سنة سبع وفيه شهادة سعد بن معاذ وقد مات سعد يوم بنى قريظة قبل خيبر بسنتين (الاعراب لو) تقدم الكلام عليها فى قوله ولا أخل بعزلان تعازلنى البيت (أن) حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر وفتحت أن ههنا لانها غير ماذكر فى الشروط الستة التى توجب كسرها (فى شرف) جار ومجرور وفى هنا ظرفية تتعلق بمحذوف هو خبر أن تقديره مستقر فالجار والمجرور هنا سد مسد الخبر وتقدم على اسم ان لان الخبر مجرور ومتعلق بنكرة (المأوى) مجرور بالاضافة ولم يظهر الجر فيه لانه مقصور ويكتب بالياء لدخول الالف واللام فيه ولانه من أويت (بلوغ) منصوب على انه اسم أن والخبر تقدم الكلام عليه (منى) فى موضع جر بالاضافة ولم يظهر الجر فيه لانه مقصور ويكتب بالياء لان واحده منية (لم) حرف يجزم المضارع ومعناه النفى وقد تقدم الكلام عليه ٣ (تبرح) فعل مضارع مجزوم بلم وانما حركت الحاء لالتقاء الساكنين وهما الحاء ولام التعريف فى الشمس وتبرح من أخوات كان ترفع الاسم وتنصب الخبر وهذه الجملة جواب الشرط الذى فى لو (الشمس) مرفوع على انه اسم تبرح والالف واللام لتعريف الحقيقة أو للعهد الحسى أو الذهنى (يوما) منصوب على انه مفعول فيه فهو ظرف والعامل فيه تبرح (دارة) مفعول به ولا يكون خبر التبرح لانها هنا تامة اكتفت باسمها كقوله تعالى فلن أبرح الارض فان قلت لاى شئ جعلتها تامة ولم تجعل الشمس اسمها ودارة خبرها قلت لان المعنى حينئذ يفسد لان الخبر فى هذا الباب انما هو الخبر الذى كان خبرا فى أول الامر فى باب المبتدا والخبر والخبر صفة يحكم بها على المبتدا تقول زيد قائم فاذا أدخلت كان قلت كان زيد قائما

المهذى وكان فيه غفلة فقال لبشار ما صنعنا عتك فقال أثقب اللؤلؤ فضحك المهدى وكل من حضر * وجلس اليه رجل فاستثقله فضرط وظن الرجل انها انفلتت منه غضبا ثم ضرط اخرى ثم اخرى فقال له الرجل ما هذا الفعل فقال مسه أرايت ام سمعت فقال بل سمعت صوتا قبيحا قال فلا تصدق حتى ترى فقام الرجل من ساعته وتركه * ووقف عليه بعض المجان وهو ينشد شعرا له فقال يا بشار استشعرك كما تستعورتك فغضب بشار وصفق بيديه وتفل عن يمينه ويساره وكان يفعل ذلك اذا غضب وارادان يقول هجاء ثم قال ويلك من انت فقال انا من باهلة واخوانى من باهلة واخوالى من سلول واصهارى من عك ومنزلى نهر بلال فضحك بشار وقال اذهب فانت عتيق لؤمك (وحكى) ابو عبيدة قال كان حماد عجرد يتهم بالزندقة وكان يعير بشارا بقبح خلقته فلما قال فيه والله ما الخنزير فى تنته

بربعه فى النتن او نخسه
بل وجهه احسن من وجهه
ونفسه افضل من نفسه

فقال بشار ويلى على الزنديق لقد نفث بما فى صدره قيل وكيف قال ما اراد الزنديق

٣ (قوله) اسم تبرح الموافق لجعلها تامة كما سيذكره جعل المرفوع بعدها فاعلا اه فالقائم

فالقائم هو زيد وزيد هو القائم فلو جعلت دارة خبر الشمس لما حسن هذا الان الشمس لا تكون دارة للحمل ولا تتصف بذلك فتعين ان تكون تبرج تامة اكتفت باسمها عن الخبر قال الشيخ جمال الدين محمد ابن مالك جميع الباب يأتي تاما الا ليس وفتئ وقال في التسهيل ان أريد بتبرج تذهب سميت تامة اه ويحتمل أن تكون دارة منصوبة بنزع الخافض أي لم تبرح الشمس يوما من دارة الحمل ونزع الخافض كثير منه قوله تعالى واختار موسى قومه أي من قومه وقوله تعالى الا من سفه نفسه أي في نفسه وقول الشاعر

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * أي أمرتك بالخير ويحتمل أن تكون تبرح بمعنى تفارق فيكون المعنى لم تفارق الشمس يوما دارة الحمل وهذا أحسن وأما قول أبي الطيب

٣ اذا كان شم الروح أدنى اليكم * فلا برحتني روضة وقبول

فللناس فيه كلام طويل وعابوا على ابن جني رحمه الله ما فسره به لانه جعل برح من أخوات كان التامة وأتى فيه بتأويل بعيد وأحسن ما قيل فيه قول الخزرجي وهو أن رحيلا واحدا بيننا في الحياة وبعده رحيل ثان وهو الموت فلا بد أن يكون رحيل واحد أقرب من أن يكون رحيلان فدعا لنفسه بالحياة لانه ما دام يشم الروح فهو أقرب منه اليهم اذا صار تحت التراب وهذا هو الصحيح وما سواه هدر ويكون برح هنا بمعنى فارق كما ادعيته في بيت الطغرائي (رجع الحمل) مجرور بالاضافة اليه والاضافة معنوية بمعنى اللام والالف واللام هنا للعهد الصفة فيما غلب عليه الاستعمال في العلمية (المعنى) لو أن المقام في المكان الشريف يبلغ المنى ما برحت الشمس مقيمة في دارة الحمل لانها في هذا البرج تشرف في تسع عشرة درجة منه وهبوطها في برج الميزان وقد ظرف أبو الجوائز هبة الله الواسطي في قوله

اني لاعجبني الفتاة اذا رأت * أن المروءة في الهوى سلطان
لاكاتبي وصلت وأكبر همها * في خدرها النقصان والرجحان
وكذاك شمس الافق في أبراجها * تعلو وبرج هبوطها الميزان

وهذا الذي مثله الطغرائي في غاية الحسن وفيه حث على الحركة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سافروا واغزوا تستغنوا وفي حديث آخر سافروا تصحوا وتغنموا وفي التوراة مكتوب ابن آدم أحدث سفرا أحدث لك رزقا وقالت العرب من أجدب انجع وقالوا الحركات بركات وقيل لاعرابي أين منزلك قال بحيث ينزل الغيث وما أحكم قول أبي الطيب

وكل امرئ يولي الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

وقال البحتري

واذا الزمان كساك جلة معدم * فالبس له حلل النوى وتغرب

وقال ابن دراج القسطلي

دعي عزمات المستضام تسير * فتنجد في عرض الفلا وتغور
ألم تعلمي أن الثواء هو النوى * وان بيوت العاجزين قبور

وقال أبو اسحق الغزي

ياخليلي حلها عاطل البيـ * ـد بوجه كالليلة الشملال
زحل أكبر الكواكب لا يحـ * ـمل الا من قلة الانتقال

الا قول الله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم فاخرج الجود بها مخرج المحاه وهذا خبث شديد من بشار وتغافل وقد وقع بشار ايضا في مثل هذه الواقعة حدث السري بن الصباح قال دخلت على بشار بالبصرة فقال أما اني قد اوجعت صاحبكم وبلغت منه يعني حماد عجرد قلت بماذا يا ابا معاذ فقال بقولي هذا وانشد يقول

يا ابن نهار أس علي ثقيل * واجتمال الرأسين خطب جليل
فادع غيري الى عبادة ربـ * ـين فاني بواحد مشغول

فقلت له قد بلغ حماد هذا الشعر ولكنه يرويه على خلاف هذا قال فما يقول قلت له يقول

فادع غيري الى عبادة ربـ * ـين فاني عن واحد مشغول

فلما سمعه اطرق وقال احسن والله ابن الفاعلة ثم كان يقول اذا سئل من هذين البيتين ليس هما لي * ومن كلام بشار وكان الجاحظ يعد مع شعره من الخطباء المذكورين قوله لقد عشت في زمان فادركت اقواما لو اخلقت الدنيا ما تجملت الا بهم واني لفي زمان ما أرى فيه عاقلا حصيفا ولا جوادا شريفا ولا جليسا ظريفا ولا

قلت قوله أكبر الكواكب ليس على ظاهره من أن مراده ان جرمه أكبر من أجرام الكواكب لان جرم الشمس أكبر منه على ما يأتي في شرح قوله وان علا في من دوني فلا عجب البيت والشعرى العبور أكبر جرما منه أيضا نعم هو أكبر من جرم القمر على ما تقرر في علم مساحات الافلاك والكواكب في الهيئة ولكن الغرض أراد بأكبر الكواكب أحد أمرين اما انه في الفلك السابع وما سواه من الكواكب تحته واما على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كأنه أراد فلك زحل ولذلك قال أبو العلاء المعري

زحل أشرف الكواكب دارا * من لقاه الردى على ميعاد

فلم يرد بشرفه الا أن فلك زحل أكبر أفلاك الكواكب السيارة وقوله لم يحمل الا من قلة الانتقال فيه ايهام انه قد يلبث في مكان دون مكان فيكون قليل الانتقال وليس كذلك انما زحل لا يقطع فلكه دون دورة كاملة الا بعد مضي ثلاثين سنة تقريبا لاتساع دائرة فلكه فهو لا ينى ولا يفتر من الانتقال طرفة عين ولكن هو بالنسبة الى غيره من الافلاك كأنه قليل الانتقال ولاجل هذا من عاني الحركات والسكنات بالطالع انما يعول على حركات القمر لانه في كل شهر يقطع فلك البروج الاثني عشر ولا يعرج على زحل في هذه الاشياء وهذا معنى خموله عند أصحاب المطالع وأغرب من هذا أنهم يقولون في فلك البروج انه فلك الثوابت وليس كذلك ولكن لما كان هذا الفلك انما يدور الدورة التامة على ما زعموه في كل ثلاثين ألف سنة مرة واحدة قالوا فلك الثوابت مبالغة في بطء حركته (رجع) قال ابن قلاقس

ان كنت تبغي وطنا * من العلا فاغترب
فالسمر في غاباتها * معدودة في القصب
والشمس لا ترقب في الا * مشرق لو لم تغرب

وقال ابن الساعاتي

وكن غانيا عن كل أرض باختها * وان حل مغناها كواعب عين
فلولا فراق الدر أصداف بحره * لأنكره تاج وصدر جبين

وقال أيضا

ولا يصدك عن شئ ترفعه * فربما صار ورد انازح السحب
لم يشرف الدر لولا هجر موطنه * والبدر ماتم حتى جد في الطلب

وقال آخر

فالتبر كالترب ملقى في مواطنه * والعود في أرضه نوع من الحطب

وهو مأخوذ من قول الآخر

أضيع في معشر ركم بلا * بعد عود الكباء من حطبه

وأنشدني من لفظه الشيخ الامام العلامة حجة العرب أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف في شعبان المعظم سنة ثمان وعشرين وسبعمائة بالقاهرة قال أنشدني أبو الحسين القشيري بقراءتي عليه قال أنشدني أبو الحسن علي بن أحمد الصوفي المؤذن ببيتة قال أنشدني أبو الشكر حماد بن هبة الله ابن حماد بحران لنفسه

قالوا تراك كثير السير مجتهدا * في الارض تنزلها طورا وترتحل

من يساوي على الخبرة وغيفا
*وقال الاصمعي قلت لبشار ان الناس يعجبون من أبياتك في المشورة ويعني بذلك قوله
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
فان الخوافي عدة للقوادم
فقال يا أبا سعيد ان المشاور بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشاركك في مكروهه
*ومات لبشار ولد فقيل له أجر قدمته وذخر أخرته فقال بلى ولد فتنته وشكل عجلته وغيب وعدته فانتظرته وان لم أجزع للنقص لم أفرح بالمزيد*ومن محاسن شعره قوله

حرم الله أن يرى كابن سلم
عقبة الخير مطعم الفقراء
مالكي تنشق عن وجهه الار
ض كما أنشقت السماء عن ذكاء
ليس يعطيك للرجاء ولا الخو
ف ولكن يلذ طعم العطاء
لا ولا أن يقال شيمته الجو
د ولكن طبائع الآباء

وقوله من قصيدة في المهدي

تسلى عن الاحباب وصال خلة
وصرام أخرى ما يقيم على أمر
وركاض أفراس الصبابة والهوى
جرت جحجاحا استتلت كما أجرى
الى ملك من هاشم في نبوة
ومن حمير في الملك والعدد الدثر

فقلت لو لم يكن فى السير فائدة * ما كانت السبع فى الابراج تنتقل

ونقلت من مسودات بخط القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان ماصورته ومن الشعر المنسوب الى الشهاب السهروردى المقتول ماروا ه عنه الجلال سليمان بن أبى القاسم بن داود الديلمى الخلخالى قال أنشدنى الشهاب لنفسه بخلاط فى سنة احدى وثمانين وخمسمائة

أقول لجارتى والدمع جارى * ولى عزم الرحيل من الديار
ذريني أن أسير ولا تلومى * فان الشهب أشرفها السوارى

وقلت أنا

سافر تنل عز الغنى والورى * الادم فى سرة الغزلان
والرمح لما فارق الوطن اغتدى * بذؤابة خفقت وتاج سنان

وقلت أيضا

سافر تنل رتب المفاخر والعلى * كالدر سار فصار فى التيجان
وكذا هلال الافق لو ترك السرى * ما فارقته معرة النقصان

وفى قول الطغرائى فى هذا البيت من البديع الايضاح وارسال المثل أما ارسال المثل فانه واضح لان كل من سمعه وحفظه تمثل به فيما يليق من المواقع وأما الايضاح فانه أزال به اللبس من خفاء الحكم الذى ادعاه فى البيت الذى تقدمه وهو ان العز فى النقل فهذا حكم خاف عند المخاطب حتى يوضحه بقوله لوأن فى شرف المأوى البيت فيزول اللبس ويتضح الحكم

(أهبت بالحظ لو ناديت مستمعا * والحظ عنى بالجهال فى شغل)

(اللغة) أهاب الراعى بغنمه اذا صاح بها التقف أو لترجع وأهاب بالبعير وهاب زجر للخيل وهى زجر للفرس معناه توسعى وتباعدى الحظ النصيب والجد وجمع القلة أحظ والكثرة حظوظ وأحاظ على غير قياس كأنه جمع أحظ ولقد حظظت تحظ فأنت حظ وحظيظ ومحظوظ وأنت أحظ من فلان ناديت النداء الصياح مستمعا اسم فاعل من استمع الجهال جمع جاهل والجهل خلاف العلم تقول جهل جهلا وجهالة شغل فيه أربع لغات شغل بضم الشين وسكون الغين وبضمهما وشغل بفتح الشين وسكون الغين وشغل بفتحهما (الاعراب أهبت) فعل ماض من أهاب والتاء ضمير الفاعل (بالحظ) الباء للتعدية والالف واللام للعهد الذهنى والجار والمجرور فى موضع النصب (لو) تقدم الكلام عليها فى قوله ولا أخل بغزلان البيت (ناديت) فعل ماض والتاء ضمير الفاعل (مستمعا) منصوب على أنه مفعول به لناديت (والحظ) الواو للابتداء الحظ مرفوع على الابتداء (عنى) جار ومجرور والنون الثانية نون الوقاية والياء ضمير المتكلم وهى فى موضع جر بعن (بالجهال) جار ومجرور والباء تتعلق بشغل (فى شغل) فى هنا ظرفية وهى متعلقة بمحذوف تقديره مستقر فوضع الجار والمجرور رفع على انه خبر للمبتدا وهو والحظ وتقديره والحظ مستقر فى شغل بالجهال عنى وما أحلى قول من قال

ورقيع أراد أن يعرف النحو * ويزى الاحبار لا المستفتى
قال لى لست تعرف النحو مثلى * قلت سانى عنه أجبك لوقتى
قال ما المبتدا وما الخبر المجرور أخبر فقلت ذقنك فى استى

من المشترين الجد تندى من الندى
يداه و ينـدى عارضاه من العطر
فالزمت حبلى حبل من لا يعيبه
عفاه الندى من حيث يدرى ولا يدرى

وقوله فى البائية المشهورة

اذا كنت فى كل الامور معاتبا
صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
فعش واحدا أو صل اخاك فانه
يقارف ذنبا تارة ويجانبه
اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

ويقول فيها ايضا

ولما تولى الحر واعتصر الثرى
لدى القيظ من نجم توقد لاهبه
غدت عانة تشكو بأبصارها الصدى
الى الحأب الا انها لا تخاطبه

ومنها يقول

اذا الملك الجبار صعر خده
مشينا اليه بالسيوف نعاتبه
كأن منار النقع فوق رؤسنا
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقوله من قصيدة لخالد السبرمكى ويقال ان خالدا كتب هذه الابيات فى صدر مجلسه وهى

اخالد ان الحمد يبقى لاهله
جمالا ولا يبقى الكثير على الكد